عبد مناه، وكثروا حولها، فقالت: من أنتم؟ قالوا: بنو عدي خالصنا إخواننا، فأقاموا رأس
الجمل، وضربوا ضرباً ليس بالتعذير، ولا يعدلون بالتطريف، حتى إذا كثر ذلك وظهر في
العسكريين جميعاً راموا الجمل، وقالوا: لا يزول القوم أو يصرع الجمل.
وصارت مجنبتا علي إلى القلب، وفعل ذلك أهل البصرة، وكره القوم بعضهم بعضاً.
وأخذ عميرة ابن يثربي رأس الجمل، وكان قاضي البصرة، فقال علي: من يحمل على
الجمل؟ فانتدب له هند بن عمرو الجملي المرادي، فاعترضه ابن يثرب، فاختلفا ضربتين،
فقتله ابن يثربي، وقتل سيحان ابن صوحان، وارتث صعصعه، فنادى عمار بن ياسر ابن
يثربي: لقد عذت بحريز وما إليك من سبيل فإن كنت صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إلي.
فترك الزمام في يد رجل من بني عدي وخرج، حتى إذا كان بين الصفين تقدم عمار، وهو
ابن تسعين سنة، وقيل أكثر من ذلك، وعليه فروٌ قد سد وسطه بحبلٍ من ليف، وهو
أضعف من بارزه، فاسترجع الناس وقالوا: هذا لاحقٌ بأصحابه! فضربه ابن يثربي، فاتقاه
عمار بدرقته، فنشب سيفه فيها، فعالجه فلم يخرج، وأسف عمار لرجليه فضربه فقطعهما،
فوقع على استه وأخذ أسيراً، فأتي به إلى علي، فقال: استبقني! فقال: أبعد ثلاثة تقتلهم؟
وأمر به فقتل، وقيل إن المقتول عمرو بن يثربي وإن عميرة بقي حتى ولي قضاء البصرة من
قبل معاوية.
قال: ولما قتل ابن يثربي ترك العدوي الزمام بيد رجل من بني عدي، وبرز، فخرج إليه ربيعة
العقيلي، فاقتتلا، فأثخن كل واحد منهما صاحبه، فماتا جميعا.
وقام مقام العدوي الحارث الضبي، فما رؤي أشد منه، وجعل يقول:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل
نبارز القرن إذا القرن نزل
ننعى ابن عفّان بأطراف الأسل
الموت أحلى عندنا من العسل
ردّوا علينا شيخنا ثمّ بجل

وارتجز غير ذلك.
فلم يزل الأمر كذلك حتى قتل على خطام الجمل أربعون رجلاً، قالت عائشة: ما زال جملي

معتدلاً حتى فقدت أصوات بني ضبة. قال: وأخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش، كلهم
يقتل وهو آخذٌ بخطام الجمل.
وكان محمد بن طلحة ممن أخذ بخطامه، وقال: يا أماه مريني بأمرك. قالت: آمرك أن تكون
كخير ابني آدم إن تركت.
فجعل لا يحمل عليه أحدٌ إلا حمل وقال: "حم لا ينصرون" واجتمع عليه نفرٌ كما ادعى
قتله، فأنفذه بعضهم بالرمح، ففي ذلك يقول:
وأشعث قوّامٍ بآيات ربّه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه فخرّ صريعاً لليدين وللفم
يذكّرني حاميم والرمح شاجرٌ فهلاّ تلا حاميم قبل التقدّم
على غير شيءٍ غير أن ليس تابعاً علياً، ومن لا يتبع الحقّ يندم
قال: وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا خبطه بالسيف، فأقبل
إليه الحارث بن زهير وهو يقول:
يا أمّنا يا خير أمّ نعلم
أما ترين كم شجاعٍ يكلم
وتختلى هامته والمعصم
فاختلفا ضربتين، فقتل كل واحد منهما صاحبه. وأحدق أهل النجدات والشجاعة
بعائشة، فكان لا يأخذ الخطام أحدٌ إلا قتل، وكان لا يأخذه والراية إلا معروفٌ، فينتسب:
"أنا فلان بن فلان"، فإن كانوا ليقاتلون عليه وإنه للموت لا يوصل إليه إلا بطلبة! وما رامه
أحدٌ من أصحاب علي إلا قتل أو أفلت ثم لم يعد، وحمل عدي بن حاتم عليهم ففقئت
عينه. وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلم، فقالت عائشة: من أنت؟ قال ابنك وابن
أختك. قالت: واثكل أسماء! فانتهى إليه الأشتر فضربه الأشتر على رأسه، فجرحه
جرحاً شديداً، وضربه عبد الله ضربةً خفيفة، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، وسقطا
على الأرض يعتركان، فقال عبد الله بن الزبير: "اقتلوني ومالكاً" فلو يعلمون من "مالكٌ"
لقتلوه، إنما كان يعرف بالأشتر، فحمل أصحاب علي وعائشة فخلصوهما.
قال: وأخذ الخطام الأسود بن أبي البختري القرشي فقتل، وأخذه عمرو بن الأشرف
الأزدي فقتل، وقتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته، وجرح عبد الله بن الزبير سبعاً

وثلاثين جراحة من كعنة ورمية وضربة، وجرح مروان بن الحكم.
فنادى علي: اعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا. فضربه رجل، فسقط، فما سمع صوتٌ
أشد من عجيجه.
وقيل في عقر الجمل: إن القعقاع لقي الأشتر وقد عاد من القتال عند الجمل، فقال: هل لك
في العود؟ فلم يجبه، فقال: يا أشتر بعضنا أعلن بقتال بعضٍ منك. وحمل القعقاع، والزمام
مع زفر بن الحارث الكلابي، وكان آخر من أخذ الخطام، فلم يبق شيخ من بني عامر إلا
أصيب قدام الجمل، وزحف القعقاع إلى زفر ن الحارث، وقال لبجير بن دلجه -وهو من
أصحاب علي- :يا بجير صح بقولك فليعقروا الجمل قبل أن يصابوا أو تصاب أم المؤمنين.
فقال بجير: "يا آل ضبة، يا عمرو بن دلجة، ادع بي إليك" فدعاه، فقال: أنا آمن حتى أرجع
عنكم؟. قالوا: نعم. فاجتث ساق البعير، فرمى بنفسه على شقه وجرجر البعير، قال
القعقاع لمن يليه: أنتم آمنون واجتمع هو وزفر على قطع بطان الجمل وجملا الهودج فوضعاه،
وإنه كالقنفذ لما فيه من السهام، ثم أطافا به، وفر من وراء ذلك من الناس.
فلما انهزموا أمر علي منادياً فقال: ألا لا تتبعوا مدبرا، ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا
الدور.
وأمر علي نفراً أن يحملون الهودج من بين القتلى، وأمر أخاها محمد بن أبي بكر أن يضرب
عليها قبة، وقال انظر: هل وصل إليها شيءٌ من جراحة؟ فأدخل رأسه هودجها، فقالت:
من أنت؟ فقال: أبغض أهلك إليك.
قالت ابن الخثعمية؟ قال: نعم.
وقيل: لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر إليه، فاحتملا الهودج،
فنحياه، فأدخل محمد يده فيه، فقالت: من هذا؟ قال: أخوك البر قالت: عقق! قال: يا
أخية هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنت وذاك؟ قال: فمن إذاً الضلال؟ قالت: بل الهداة!
وقال لها عمار: كيف رأيت بنيك اليوم يا أماه؟ قالت: لست لك بأم! قال: بلى وإن
كرهت.
قالت: فخرتم أن ظفرتم وأتيتم مثل الذي نقمتم هيهات والله لن يظفر من كان هذا دأبه!

فأبرزوا هودجها، فوضعوها ليس قربها أحد.
وأتاها علي فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير. قال: يغفر الله لك. قالت: ولك.
وجاء أعين بن ضبيعة المجاشعي حتى اطلع في الهودج، فقالت إليك لعنك الله! فقال:
والله ما أرى إلا حميراء. فقالت هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك! فقتل بالبصرة
وسلب وقطعت يده ورمي عريانا في خربةٍ من خربات الأزد!.
ثم أتى وجوه الناس إلى عائشة، وفيها القعقاع بن عمرو، فسلم عليها، فقالت: والله لوددت
أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة!وكان علي يقول بعد الفراغ من القتال:
إليك أشكو عجري وبجري
ومعشراً أعشوا عليّ بصري
قتلت منهم مضري بمضري
شفيت نفسي وقتلت معشري!
قال: ولما كان الليل أدخل محمد بن أبي بكر عائشة البصرة، فأنزلها في دار عبد الله بن
خلف الخزاعي -وهي أعظم دارٍ في البصرة- على صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي
طلحة بن عبد العزى، وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف.
وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة.
وأقام علي بظاهر البصرة ثلاثاً، وأذن للناس في دفن موتاهم، فخرجوا إليهم فدفنوهم،
وطاف علي في القتلى، فلما أتى كعب بن سور قال: "أزعمتم أنما خرج معهم السفهاء
وهذا الحبر قد ترون!" وجعل كلما مر برجل فيه خير قال: "زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا
إلا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم!" وصلى علي على القتلى من بين الفريقين، وأمر
فدفنت الأطراف في قبر عظيم، وجمع ما كان في العسكر من شيء وبعث به إلى مسجد
البصرة، وقال: من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان.
قال: وكان جميع القتلى عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب علي، ونصفهم من أصحاب
عائشة، حكاه أبو جعفر الطبري، وقال غيره: ثمانية آلاف.
وقيل: سبعة عشر ألفاً. قال أبو جعفر: وقتل من ضبة ألف رجل، وقتل من عدي حول
الجمل سبعون كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ.

قال: ولما فرغ علي من الواقعة أتاه الأحنف بن قيس في بني سعد، وكانوا قد اعتزلوا القتال،
كما ذكرنا، فقال له عليك لقد تربصت. فقال: ما كنت أراني إلا قد أحسنت، وبأمرك كان
ما كان يا أمير المؤمنين، فارفق، فإن طريقك الذي سلكت بعيد، وأنت إلي غداً أحوج منك
أمس، فاعرف إحساني، واستصف مودتي لغدٍ، ولا تقل مثل هذا فإني لم أزل لك ناصحاً.
ثم دخل علي البصرة يوم الاثنين، فبايعه أهلها، حتى الجرحى والمستأمنة، واستعمل علي
عبد الله بن عباس على البصرة، وولى زياداً الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع
منه ويطيع وكان زياد معتزلا.
ثم راح علي رضي اله عنه إلى عائشة في دار عبد الله بن خلف الخزاعي، فوجد النساء
يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف، وكان عبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع
علي، وكانت صفية زوجة عبد الله مختمرة تبكي، فلما رأته قالت له: يا علي، يا قاتل
الأحبة، يا مفرق الجمع، أيتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله منه. فلم يرد عليها
شيئاً، ودخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها، ثم قال: جبهتنا صفية. أما إني لم
أرها منذ كانت جارية! فلما خرج أعادت عليه القول، فكف بغلته، وقال: لقد هممت أن
أفتح هذا الباب وأشار إلى باب في الدار وأقتل من فيه وكان فيه ناس من الجرحى فأخبر
بمكانهم، فتغافل عنه.
قال: ولما خرج من عند عائشة قال له رجل من الأزد: والله لا تغلبنا هذه المرأة! فغضب
وقال:"مه لا تهتكن ستراً، ولا تدخلن دارا، ولا تهيجن امرأةً بأذى، وإن شتمن أعراضكم،
وسفهن أمراءكم وصلحاءكم، فإن النساء ضعيفات، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن
مشركات، فكيف إذا كن مسلمات؟ " ومضى، فلحقه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، قام
رجلان على الباب فتناولا من هو أمض شتيمة لك من صفية.
فقال: ويحك لعلها عائشة!
قال: نعم، قال أحدهما:
"جزيت عنا أمنا عقوقا".
وقال الآخر:
"يا أمتا توبي فقد خطيت".

فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب، فأقبل على من كان عليه، فأحالوا على رجلين من أزد
الكوفة، وهما عجلان وسعد ابنا عبد الله فضربهما مائة سوط، وأخرجهما من ثيابهما.
قال: وسألت عائشة رضي الله عنها عمن قتل من الناس معها وعليها، فكلما نعي واحدٌ
من الجميع قالت: رحمه الله! فقيل لها كيف ذلك؟ قالت: كذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم
فلان في الجنة وفلان في الجنة.
ثم جهز علي رضي الله عنه عائشة بكل ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك،
وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من
نساء البصرة المعروفات، وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم. فلما كان
اليوم الذي ارتحلت فيه أتاها علي فوقف لها، وحضر الناس، فخرجت وودعوها وودعتهم
وقالت: يا بني، لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما
يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار. فقال علي رضي الله عنه:
صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة. وكان
خروجها من البصرة يوم السبت غرة شهر رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالا،
وسرح بنيه معها يوما. وتوجهت إلى مكة، فأقامت إلى الحج، فحجت، ثم رجعت إلى
المدينة.
قال: ولما فرغ علي من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال، فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة،
فقسمها على من شهد معه، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة درهم، فقال لهمك إن
أظفركم الله بالشام فلكم مثلها إلى أعطياتكم، فخاض في ذلك السبئية، وطعنوا على علي
من وراء وراء، وطعنوا فيه أيضاً حين نهاهم عن أخذ أموالهم، فقالوا: يحل لنا دماءهم
ويحرم علينا أموالهم!
قال: وأراد علي رضي الله عنه المقام بالبصرة لإصلاح حالها، فأعجلته السبئية عن المقام،
فإنهم ارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم، ليقطع عليهم أمراً إن أرادوه.

فلنرجع إلى مقتل طلحة والزبير.
مقتل طلحة
رضي الله عنه وشيء من أخباره
هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن مسعد بن تيم بن مرة
بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي. وهو أقرب العشرة إلى أبي بكر الصديق رضي
الله عنه، يجتمع نسبه مع نسب أبي بكر في عمرو بن كعب بن سعد. ويجتمع نسبه ونسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم، في مرة ابن كعب. وأم طلحة: الحضرمية، وهي الصعبة
بنت عبد الله بن عباد ابن مالك بن ربيعة بن أكبر بن مالك بن عويف بن مالك بن الخزرج
ابن إياد بن الصدف من حضرموت من كندة، يعرف أبوها عبد الله ب "الحضرمي".
ويعرف طلحة ب"طلحة الخير" و"طلحة الفياض". قيل سمي بالفياض لأنه اشترى مالاً
بموضع يقال له "بيسان"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنت إلا فياض"،
فسمي بذلك من يومئذ.
وهو رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى
الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ.
وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين كعب بن مالك حين آخى بين المهاجرين
والأنصار، وقسم له سهمه وأجره يوم بدر. وقد تقدم خبره في ذلك.
ثم شهد أحداً وما بعدها، وأبلى يوم أحدٍ بلاءً حسنا،ووقى رسول الله عليه الصلاة
والسلام بنفسه، اتقى عنه النبل بيده حتى شلت إصبعه وضرب في رأسه، وحمل رسول
الله عليه الصلاة والسلام على ظهره حتى صعد الصخرة، فقال عليه السلام لأبي بكر
رضي الله عنه:" اليوم أوجب طلحة يا أبا بكر".
ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إليه فقال:" من أحب أن ينظر إلى شهيد
يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة".
وحكى أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله فقال: زعم بعض أهل العلم أن عليا رضي الله
عنه دعاه يوم الجمل، فذكره أشياء من سوابقه وفضله، فرجع طلحة عن قتاله، على نحو ما

صنع الزبير واعتزل في بعض الصفوف، فرمى بسهم، فقطع من رجله عرق النسا، فلم يزل
دمه ينزف حتى مات. ويقال: إن السهم أصاب ثغرة نحره، وغن الذي رماه مروان بن
الحكم وقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم. وذلك أن طلحة -فيما زعموا- كان ممن حاصر
عثمان واشتد عليه.
قال ابن عبد البر: ولا يختلف العلماء في أن مروان بن الحكم قتل طلحة يومئذ، واستدل
على ذلك بأخبار رواها من قول مروان تدل على أنه قاتله.
قال: وقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: والله لأرجو أن أكون أنا
وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله تبارك وتعالى فيهم: ونزعنا ما في صدورهم من غل
إخوانا على سررٍ متقابلين.
وروى أبو عمر بسنده إلى قيس بن أبي حازم قال: رمى مروان طلحة يوم الجمل بسهم في
ركبته، فجعل الدم يسيل، فإذا أمسكوه استمسك وإذا تركوه سال، فقال: دعوه فإنما هو
سهم أرسله الله. قال فمات، فدفناه على شاطئ الكلاء، فرأى بعض أهله أنه أتاه في المنام
فقال: "ألا تريحونني من هذا الماء فإني قد غرقت " ثلاث مرار يقولها، قال: فنبشوه فإذا هو
أخضر كأنه السلق فنزحوا عنه الماء، فاستخرجوه، فإذا ما يلي الأرض من لحيته ووجهه
قد أكلته الأرض، فاشتروا له داراً من دور آل أبي بكر بعشرة آلاف، فدفنوه فيها.
وروى أيضاً بسنده إلى علي بن زيد عن أبيه أن رجلاً رأى فيما يرى النائم أن طلحة بن
عبيد الله قال: "حولوني عن قبري فقد آذاني الماء" ثم رآه، حتى رآه ثلاث ليال، فأتى ابن
عباس فأخبره، فنظروا فإذا شقة الذي يلي الأرض في الماء فحولوه، قال: فكأني أنظر إلى
الكافور في عينيه لم يتغير إلا عقيصته فإنها مالت عن موضعها.
وقتل رضي الله عنه وهو ابن ستين سنة، وقيل: ابن اثنتين وستين، وذلك يوم الجمل، لعشر
خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين. وكان رضي الله عنه رجلاً آدم، حسن
الوجه، كثير الشعر، ليس بالجعد القطط ولا بالسبط وكان لا يغير شعره.
وسمع علي رجلاً ينشد:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى، ويبعده الفقر
فقال: ذاك أبو محمد طلحة بن عبيد الله.
وحكى الزبير أنه سمع سفيان بن عيينة يقول: كانت غلة طلحة بن عبيد الله ألفاً وافياً كل
يوم
قال: والوافي وزنه وزن الدينار، وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغلة.
مقتل الزبير بن العوام
رضي الله عنه وشيء من أخباره
هو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، القرشي
الأسدي.
وأمه صفية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد العشرة
المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وهو قديم الإسلام، واختلف في سنه
يوم أسلم، فقيل خمس عشرة سنة، وقيل ست عشرة، وقيل اثنتي عشرة وقيل: ثماني
سنين. والأول أصح.
وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود حين آخى بين
المهاجرين، ولما آخى بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش وكان
رضي الله عنه من الولد -فيما حكاه بعضهم- عشرة، وهم: عبد الله وعروة ومصعب
والمنذر وعمرو وعبيدة وجعفر وعامر وعمير وحمزة. وكان الزبير رضي الله عنه أول من
سل سيفاً في سبيل الله، وذلك أنه نفخت فيه نفخة من الشيطان: " أخذ رسول الله عليه
الصلاة والسلام"، فأقبل يشق الناس بسيفه، والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة، فقال
له رسول الله: مالك يا زبير؟ قال: أخبرت أنك أخذت! فصلى عليه ودعا له.
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الزبير ابن عمي وحواريي من أمتي".
وقال: "لكل نبي حواري، وحواريي الزبير". وسمع ابن عمر رضي الله عنه رجلاً يقول: " أنا
ابن الحواري" ، فقال إن كنت ابن الزبير وإلا فلا.
وذكر في معنى "الحواري": الخالص، وقيل الخليل، ولذلك قال جرير:
أفبعد مقتلهم خليل محمد ترجو القيون مع الرسول سبيلا

وقيل: الحواري: الناصر. وقيل: الصاحب المستخلص.
وجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه للزبير مرتين: يوم أحد ويوم بني قريظة، فقال:
"ارم فداك أبي وأمي!".
قال أبو عمر ابن عبد البر: وكان الزبير تاجراً! مجدوداً في التجارة، قيل له يوماً: بم أدركت
في التجارة ما أدركت؟ فقال: لأني لم أشتر غبنا ولم أردد ربحاً والله يبارك لمن يشاء.
وروي عن كعب قال: كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فما يدخل بيته منه درهماً
واحداً. يعني أنه كان يتصدق بذلك.
وكان سبب قتله رضي الله عنه أ،ه لما انصرف من وقعة الجمل وفارق الحرب مر
بالأحنف فقال: هذا الذي جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضاً ثم لحق ببيته! ثم
قال للناس: من يأتيني بخبره؟ فقال عمرو بن جرموز: أنا.
وقيل: إن الزبير لما انصرف نزل بعمرو بن جرموز، فقال له: "يا أبا عبد الله، جنيت حرباً
ظالما أو مظلوما ثم تنصرف! أتائب أم عاجز؟ " فسكت عنه الزبير، ثم عاوده، فقال:
ظن في كل شيء غير الجبن. فانصرف عنه ابن جرموز وهو يقول: " والهفى على ابن
صفية! أضرمها ناراً ثم أراد أن يلحق بأهله! قتلني الله إن لم أقتله!" ثم رجع إليه
كالمتنصح، فقال: "يا أبا عبد الله دون أهلك فيافٍ، فخذ نجيبي هذا وخل فرسك
ودرعك، فإنهما شاهدان عليك بما نكره". وأراد بذلك أن يلقاه حاسراً، ولم يزل به حتى
تركهما عنده وأخذ نجيبه، وسار معه ابن جرموزٍ كالمشيع له، حتى انتهيا إلى وادي
السباع، فاستغفله ابن جرموز وطعنه.
وقيل: إنه اتبعه إلى الوادي فقتله وهو في الصلاة. وقيل: بل قتله وهو نائم. وفي ذلك تقول
عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية زوجته ترثيه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرّد
يا عمرو لو نبّهتَه لوجدته لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد
كم غمرةٍ قد خاضها لم يثنه عنه طرادك يا ابن فقع القردد
ثكلتك أمّك إن ظفرت بمثله فيما مضى ممّن يروح ويغتدي
والله ربّك إن قتلت لمسلما حلّت عليك عقوبة المتعمّد

قال: فلما رجع برأسه وسلبه قال له رجل من قومه: "فضحت والله اليمن أولها وآخرها

بقتلك الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته!
والله لو قتلته في حرب لعز ذلك علينا ولمسنا عارك! فكيف في جوارك وحرمك؟ ! "
قال: وأتى ابن جرموزٍ علياً، فقال لحاجبه: استأذن لقاتل الزبير. فقال علي رضي الله عنه
ائذن له وبشره بالنار، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بشر قاتل ابن
صفية بالنار! فقال ابن جرموز:

أتيت عليّاً برأس الزبير أرجو لديه به الزّلفه
فبشّر بالنار إذ جئته فبئس بشارة ذي التّحفه
وسيان عندي قتل الزّبير وضرطة عيرٍ بذي الجحفه

وحكى أبو عمر ابن عبد البر في كتابه المترجم ب" الاستيعاب" من رواية عمرو بن جاوان
عن الأحنف بن قيس قال: لما بلغ الزبير سفوان موضعاً بالبصرة كمكان القادسية من
الكوفة لقيه النعر رجل من بني مجاشع فقال: "أين تذهب يا حواري رسول الله؟ إلي، فأنت
في ذمتي لا يوصل إليك"، فأقبل معه، وأتى إنسان الأحنف فقال: هذا الزبير قد لقي
بسفوان، فقال الأحنف: "ما شاء الله كان، قد جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم
حواجب بعضٍ بالسيوف، ثم يلحق ببيته وأهله!!" فسمعه عميرة بن جرموز وفضالة بن
حابس ونفيعٌ في غواة من غواة بني تميم، فركبوا في طلبه، فلقوه مع النعر، فأتاه عميرة بن
جرموزٍ من خلفه وهو على فرسٍ له ضعيفة فطعنه طعنةً خفيفةً، وحمل عليه الزبير على
فرس له يقال له "ذو الخمار"، حتى إذا ظن أنه قاتله نادى صاحبيه: "يا نفيع يا فضالة"
فحملوا عليه حتى قتلوه... قال: وهذا أصح مما تقدم.
وكان مقتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.
وكانت سنه يوم قتل سبعاً وستين سنة، وقيل ستاً وستين.
وكان الزبير رضي الله أسمر ربعةً معتدل اللحم خفيف اللحية.
وقال حسان بن ثابت يمدح الزبير ويفضله:

أقام على عهد النبيّ وهديه حواريّه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالي وليّ الحقّ والحقّ أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يومٌ محجّل
وإنّ امرأً كانت صفية أمه ومن أسدٌ في بيته لمرقّل

له من رسول الله قربى قريبةٌ ومن نصرة الإسلام مجدٌ مؤثل
فكم كرّةٍ ذبّ الزّبير بسيفه عن المصطفى والله يعطي ويجذل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشّها بأبيض سبّاقٍ إلى الموت يرقل
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدّهر ما دام يذبل

وروي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني، فقمت إلى جنبه، فقال: "يا بني، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالمٌ أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لديني، أفترى ديننا يبقي من مالنا شيئاً؟ وقال: يا بني بع مالنا واقض ديني. وأوصى بالثلث وثلثه لبنيه يعني بني عبد الله بن الزبير يقول: الثلث إليك فإن فضل من مالنا فضلٌ بعد قضاء الدين فثلثه لولدك. قال هشامٌ وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير: خبيبٌ وعباد، وله يومئذٍ تسعة بنين وتسع بنات. قال عبد الله فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بني إن عجزت عن شيءٍ منه فاستعن عليه مولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله تعالى. فوالله ما وقعت في كربةٍ من دينه إلا قلت: "يا مولى الزبير اقض عنه دينه" فيقضيه.
فقتل الزبير رضي الله عنه ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين منها الغابة وإحدى عشرة داراً بالمدينة ودارين بالبصرة وداراً بالكوفة وداراً بمصر.
قال: وإنما كان دينه الذي عليه أ، الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير رضي الله عنه لا، ولكنه سلفٌ، فإني أخشى عليه الضيعة.
وما ولي إمارةً قط ولا جباية خراج ولا شيئاً إلا أن يكون في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم أو مع أبي بكر أو عمر أو عثمان رضي الله عنهم.
قال عبد الله بن الزبير: فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألفٍ ومائتي ألفٍ.
قال: فلقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فقال: يا ابن أخي كم على أخي من الدين؟
فكتمه وقال: مائة ألف. فقال حكيمٌ: والله ما أرى أموالكم تسه لهذه. فقال له عبد الله: أفرأيتك إن كانت ألفي ألفٍ ومائتي ألفٍ؟ قال: ما أراكم تطيقون هذا فإن عجزتم عن شيء

منه فاستعينوا بي.
قال: وكان الزبير رضي الله عنه اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف، فباعها عبد الله بألف
ألفٍ وستمائة ألف، ثم قام فقال: من كان له على الزبير حقٌ فليوافنا بالغابة. فأتاه عبد الله
بن جعفر، وكان له على الزبير أربعمائة ألف، فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم. قال
عبد الله: لا. قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم. فقال عبد الله: لا، قال:
فاقطعوا لي قطعةً. فقال عبد الله لك من ههنا إلى ههنا. فباع منها فقضى دينه فأوفاه،
وبقي منها أربعة أسهم ونصف، فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير
وابن زمعة، فقال له معاوية: كم قومت الغابة؟ قال: كل سهم بمائة ألف. قال: كم بقي قال:
أربة أسهم ونصف. فقال المنذر بن الزبير: قد أخذت سهماً بمائة ألفٍ. وقال ابن زمعة: قد
أخذت سهماً بمائة ألف. فقال معاوية: كم بقي فقال: سهمٌ ونصفٌ. قال: أخذته بخمسين
ومائة ألف. قال وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف قال: فلما فرغ ابن
الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. قال: لا والله لا أقسم بينكم حتى
أنادي بالموسم أربع سنين: "ألا من كان له على الزبير دينٌ فليأتنا فلنقضه".
قال: فجعلى كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم.
قال: وكان للزبير أربع نسوةٍ، ورفع الثلث، فأصاب كل امرأةٍ ألف ألفٍ ومائتا ألفٍ، فجميع
ماله خمسون ألف ومائتا ألفٍ.
هكذا أورده البخاري رحمه الله في صحيحه، وعقد جملة المال في آخره على ما ذكرنا.
والذي دل عليه الحساب أن جملة المال تسعةٌ وخمسون ألف ألفٍ وثمانمائة ألف، وذلك أن
نصيب الزوجات الأربع وهو الثمن بعد وفاء الدين ورفع الثلث الذي أوصى به لبني عبد
الله اشتمل على أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف، يضرب في ثمانية فتكون ثمانية وثلاثين ألف
ألفٍ وأربعمائة ألفٍ، ويكون ثلث الوصية وهو نصف هذه الجملة تسعة عشر ألف ألفٍ
ومائتي ألف، والدين ألفي ألف ومائتي ألف، فتخرج الجملة على ما ذكرناه.

وقعة صفين
وابتداء أمرها
كانت وقعة صفين في أواخر سنة ست وثلاثين وأوائل سنة سبع وثلاثين.
وذلك أنه لما فرغ على رضي الله عنه من حرب الجمل أقام بالبصرة، ثم انتقل إلى الكوفة،
وأرسل إلى جرير بن عبد الله البجلي -وكان عثمان قد استعمله على همذان- وإلى
الأشعث بن قيس- وكان على أذربيجان- فأمرهما بأخذ البيعة والحضور إليه، ففعلا
ذلك.
وأراد علي أن يرسل إلى معاوية رسولا، فقال جرير: أرسلني إليه فقال الأشتر لعليك لا
تفعل فإن هواه مع معاوية فقال علي دعه حتى ننظر ما يرجع به.
فبعثه، وكتب معه إلى معاوية يعلهم باجتماع المهاجرين والأنصار عليه، وما كان من نكث
طلحة والزبير وحرب الجمل، ودعاه إلى البيعة والدخول فيما دخل فيه المهاجرون
والأنصار.
فلما قدم جريرٌ على معاوية ماطله بالجواب، واستشار عمرو بن العاص، وكان قد قدم
عليه وانضم إليه، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار معاوية، فأشار عمروٌ عليه أن
يجمعه أهل الشام ويلزم علياً دم عثمان، ففعل، فأجمع أهل الشام على حرب علي.
فعاد جرير إلى علي وأعلمه ذلك، وأن أهل الشام يبكون على عثمان ويقولون: إن عليا
قتله، وآوى قتلته، وإنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه. فقال الأشتر لعلي: كنت
نهيتك عن إرسال جرير، وأخبرتك بعداوته وغشه، فأبيت إلا إرساله. ثم تقاول الأشتر
وجرير مقاولةً أدت إلى مفارقة جرير لعلي ولحاقه بمعاوية.
قال: وخرج علي رضي الله عنه، فعسكر بالنخيلة، وتخلف عنه نفرٌ من أهل الكوفة،
منهم ميسرة الهمداني ومسعود أخذا أعطياتهما وقصدا قزوين.
وقدم عليه عب الله بن عباس في أهل البصرة.
وبلغ ذلك معاوية، فاستشار عمرو بن العاص، فقال له: "أما إذا سار علي بنفسه في الناس
فسر بنفسك، ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك. " فتجهز معاوية بأهل الشام، وقد حرضهم

عمرو وضعف علياً وأصحابه، وقال: "إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم،
وفلوا حدهم، زأهل البصرة مخالفون لعلي بمن قتل منهم، وقد تفانت صناديدهم وصناديد
أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار على في شرذمة قليلة، وقد قتل خليفتكم، فالله الله في
حقكم أن تضيعوه، وفي دمكم أن تطلوه! " وكتب معاوية في أجناد أهل الشام، وعقد لواءً
لعمرو، ولواءً لابنيه: عبد الله ومحمد، ولواءً لغلامه وردان. وسار معاوية وتأنى في مسيره.
قال: وبعث على رضي الله عنه زياد بن النضر الحارثي في ثمانية آلاف، وبعث شريح بن
هانئ في أربعة آلاف، وسار علي من النخيلة، وأخذ معه من بالمدائن من المقاتلة، وولى
على المدائن سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي، ووجه من المدائن معقل ابن
قيس في ثلاثة آلاف، وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة.
فلما وصل علي الرقة قال لأهلها ليعملوا جسراً يعبر عليه إلى أهل الشام، فأبوا، وكانوا قد
ضموا سفنهم إليهم، فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج، وخلف عليهم الأشتر،
فناداهم الأشتر: "أقسم بالله لئن لم تعملوا جسراً لأمير المؤمنين يعبر عليه لأجردن فيكم
السيف، ولأقتلن الرجال ولآخذن الأموال!" فلقي بعضهم بعضاً وقالوا: "إنه الأشتر، وإنه
قمنٌ أن يفي لكم بما حلف عليه أو يأتي بأكثر منه!" فنصبوا جسراً فعبر عليه علي
وأصحابه.
قال: ولما بلغ علي الفرات دعا زياد ابن النضر وشريح بن هانئ فيمن معهما فسرحهما
أمامه نحو معاوية على حالهما التي خرجا عليها من الكوفة، وكان سبب عودهما أنهما
أخذا من الكوفة على شاطئ الفرات مما يلي البر، فلنا بلغا" عانات" بلغهما أن معاوية قد
أقبل في جنود الشام، فقالا: "والله ما هذا لنا برأي، أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير
المؤمنين هذا البحر، وما لنا خير أن نلقى جنود الشام بقلة من معنا" فذهبوا ليعبروا من
عانات، فمنعهم أهلها، فرجعوا! حتى عبروا من هيت، فلحقوا عليا دون قرقيسيا، فقال

علي: مقدمتي تأتيني من ورائي! فأخبره شريح وزياد بما كان، فقال: سددتما. فلما عبر
الفرات سيرهما أمامه.
فلما انتهيا إلى سور الروم ليقيهما أبو الأعور السلمي في جند من أهل الشام، فأرسلا إلى
علي فأعلماه.
فأرسل علي إلى الأشتر، وأمره بالسرعة، وقال: "إذا قدمت فأنت عليهم، وإياك أن تبدأ
القوم بقتال إلا أن يبدؤوك، حتى تلقاهم فتدعوهم، وتسمع منهم، ولا يحملك بغضهم على
قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة، واجعل على ميمنتك زياداً، وعلى ميسرتك
شريحاً، ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد تباعد من يهاب البأس،
حتى أقدم عليك، فإني حثيث السير في أثرك إن شاء الله تعالى" . وكتب إلى شريح وزياد
بذلك، وأمرهما بطاعة الأشتر..
فسار الأشتر حتى قدم عليهم، وكف عن القتال، ولم يزالوا متوقفين حتى إذا كان المساء
حمل عليهم أبو الأعور، فثبتوا له واضطربوا ساعة، ثم انصرف أهل الشام، وخرج إليهم من
الغد هاشم بن عتبة المرقال، وخرج إليه أبو الأعور، فاقتتلوا يومهم، وصبر بعضهم لبعض،
ثم انصرفوا، محمل عليهم الأشتر، وقال أروني أبا الأعور! فتراجعوا، ووقف أبو الأعور
وراء المكان الذي كان فيه أول مرة، وجاء الأشتر فصف أصحابه مكان أصحاب أبي
الأعور بالأمس، وقال الأشتر لسنان بن مالك النخعي: انطلق إلى أبي الأعور فادعه إلى
البراز.
فقال: إلى مبارزتي أو مبارزتك؟ فقال: للأشتر لو أمرتك بمبارزته لفعلت. قال: "نعم والله
لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي لفعلت. فدعا له، وقال: إنما تدعو لمبارزتي. فخرج
إليهم فقال: أمنوني فإني رسول. فأمنوه، فانتهى إلى أبي الأعور فقال له: إن الأشتر يدعوك
إلى أن تبارزه. فسكت طويلاً ثم قال: إن خفة الأشتر وسوء رأيه حملاه على إجلاء عمال
عثمان عن العراق وتقبيح محاسنه، وعلى أن سار إليه في داره حتى قتله وأصبح متعباً
بدمه، لا حاجة لي في مبارزته. فقال له سنانٌ: قد قلت فاستمع مني أجبك. قال: لا

حاجة لي في جوابك، اذهب عني. فصاح به أصحابه، فانصرف عنه، ورجع إلى الأشتر
فأخبره، فقال: لنفسه نظر. فوقفوا حتى حجز الليل بينهم وعاد، الشاميون من الليل.
وأصبح علي رضي الله عنه غدوةً عند الأشتر، وتقدم الأِشتر ومن معه فانتهى إلى
معاوية، فوافقه، ولحق به معلي، فتواقفوا طويلا.
ثم إن عليا طلب لعسكره موضعاً ينزل فيه، فكان معاوية قد سبق فنزل منزلاً اختاره
بسيطاً واسعاً أفيح، أخذ شريعة الفرات، وليس في ذلك الموضع شريعة غيرها، وجعل
معاوية على الشريعة أبا الأعور.
فأتى الناس عليا، فأخبروه بفعلهم، وتعطش الناس، فدعا صعصعة بن صوحان، فأرسله
إلى معاوية يقول: "إنا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، فقدمت إلينا
خيلك ورجالك فقاتلنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال ونحن ما رأينا الكف حتى ندعوك
ونحتج عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها، منعتم الناس من الماء، والناس غير منتهين أو
يشربوا، فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء، وليكفوا لننظر فيما بيننا
وبينكم وفيما قدمنا له، فإن أردت أن نترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب
هو الشارب فعلنا".
فجاء صعصعة إلى معاوية وقص عليه الرسالة، فاستشار معاوية أصحابه وقال: ما ترون؟
فقال الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان، اقتلهم عطشاً
قتلهم الله! فقال عمرو بن العاص: "خل بين القوم وبين الماء فإنهم لن يعطشوا وأنت ريان،
ولكن بغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم". فأعاد الوليد وابن سعد مقالتهما، قالا: "امنعهم
الماء إلى الليل، فإن هم لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمة، امنعهم الماء منعهم
الله يوم القيامة! قال صعصعة: إنما يمنعه الله الفجرة وشربة الخمر، لعنك الله ولعن هذا
الفاسق يعني الوليد ابن عقبة. فشتموه وتهددوه. وقد قيل: إن الوليد وابن أبي سرح لم
يشهدا صفين.
ورجع صعصعة فأخبر بما كان... وسير معاوية الخيل إلى أبي الأعور ليمنعهم الماء.

فلما سمع علي ذلك قال لأصحابه: قاتلوهم على الماء! .
فقال الأشعث بن قيس الكندي: أ،ا أسير إليهم. فسار إليهم، فلما دنوا منهم ثاروا إلى
وجوههم يرمونهم بالنبل، فتراموا ساعة، ثم تطاعنوا بالرماح، ثم صاروا إلى السيوف
فاقتتلوا بها ساعة.
وأرسل معاوية يزيد بن أسد البجلي القسري جد خالد بن عبد الله في الخيل إلى أبي
الأعور، فاقتتلوا.. وأرسل علي شبث بن ربعي الرياحي، فازداد القتال.
فأرسل معاوية عمرو بن العاص في جند كثير، فأخذ يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد..
وأرسل علي الأشتر في جمع عظيم وجعل يمد الأشعث وشبثا..
فاشتد القتال حتى خلوا بينهم وبين الماء، وصار في أيدي أصحاب علي، فقالوا: والله لا
نسقيه أهل الشام، فأرسل علي إلى أصحابه أن خذوا من الماء حاجتكم، وخلوا عنهم،
فإن الله تعالى نصركم عليهم ببغيهم وظلمهم.
ومكث علي رضي الله عنه يومين لا يرسل إليهم أحدا ولا يأتيه منهم أحد.
إرساله إلى معاوية وجوابه
قال: ثم دعا علي رضي الله عنه أبا عمرة بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري وسعيد بن
قيس الهمذاني وشبث بن ربعي التميمي، فقال لهم: ائتوا هذا الرجل وادعوه إلى الله تعالى
وإلى الطاعة والجماعة.
فقال له شبث يا أمير المؤمنين ألا نطمعه في سلطانٍ توليه إياه ومنزلةٍ يكون له بها عندك أثرةً
إن هو بايعك؟ قال انطلقوا إليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه. وكان ذلك أول ذي الحجة
من سنة ست وثلاثين.
فأتوه فدخلوا عليه، فابتدأ بشير بن عمرو الأنصاري فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "يا
معاوية إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله محاسبك بعملك ومجازيك
عليه، وإني أنشدك الله أن لا تفرق جماعة هذه الأمة وأن لا تسفك دماءها بينها" .
فقطع عليه معاوية الكلام وقال: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال: "صاحبي ليس
مثلك، إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة

بالرسول صلى الله عليه وسلم" قال: فماذا تقول؟ قال نأمرك بتقوى الله وإجابة ابن عمك
إلى ما يدعو إليه من الحق فإنه أسلم لك في دنياك وخيرٌ لك في عاقبة أمرك.
قال معاوية: "ونترك دم عثمان! لا والله لا أفعل ذلك أبدا!"
قال: فذهب سعيد بن قيس
يتكلم، فبادره شبث بن ربعي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "يا معاوية، قد فهمت ما
رددت على ابن محصن، وإنه والله لا يخفى علينا ما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تستغوي به
الناس، وتستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم، إلا قولك: قتل إمامكم مظلوماً فنحن
نطلب بدمه، فاستجاب لك سفهاء طغام، وقد علمنا أنك أبطأت عليه بالنصر، وأحببت له
القتل، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب، ورب متمني أمر وطالبه يحول الله دونه، وربما أوتي
المتمني أمنيته وفوق أمنيته، ووالله مالك في واحدة منها خير، والله إن أخطأك ما ترجو
إنك لشر العرب حالاً، وإن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلي النار،
فاتق الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله".
قال: محمد الله معاوية، ثم قال: "أما بعد، فإن أول ما عرفت به سفهك وخفة حلمك أ،ك
قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قوم منطقه، ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك
به، فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت!. انصرفوا من
عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف!" وغضب، وخرج القوم، فقال له شبث "أتهول
بالسيف؟ أقسم بالله لنعجلنها إليك!".
فأتوا علياً رضي الله عنه فأخبروه بذلك. فكان علي يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه
جماعة من أصحابه، ويخرج إليه آخر من أصحاب معاوية ومعه جماعة، فيقتتلان في
خيلهما، ثم ينصرفان. وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام خشية الاستئصال
والهلاك.
فكان علي يخرج مرةً الأشتر، ومرة حجر بن عدي الكندي، ومرة شبث بن ربعي، ومرة
خالد بن المعمر، ومرة زياد بن النضر الحارثي، ومرة زياد بن خصفة التيمي، ومرة سعيد بن

قيس الهمداني، ومرة معقل بن قيس الرياحي، ومرة قيس بن سعيد الأنصاري. وكان
الأشتر أكثر خروجاً.
وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبا الأعور السلمي، وحبيب بن
مسلمة الفهري، وابن ذي الكلاع الحميري، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وشرحبيل بن
السمط الكندي، وحمزة بن مالك الهمداني.
فاقتتلوا أيام ذي الحجة كلها، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين.
الموادعة بين علي ومعاوية
في شهر المحرم وما كان بينهما من المراسلة والأجوبة في الشهر
قال: وفي شهر محرم سنة سبع وثلاثين جرت موادعة بين علي رضي الله عنه ومعاوية بن
أبي سفيان، توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضي الشهر، طمعاً في الصلح..
واختلفت فيه بينهما الرسائل.
فبعث علي رضي الله عنه عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزياد
بن خصفة.
فتكلم عدي بن حاتم، فحمد الله، فقال: "أما بعد، فقد جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله
به كلمتنا وأمتنا، ويحقن به الدماء، ويصلح به ذات البين، إن ابن عمك سيد المسلمين
أفضلها سابقة، وأحسنها في الإسلام أثراً، وقد استجمع له الناس، ولم يبق أحدٌ غيرك وغير
من معك، فاحذر يا معاوية لا يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل". فقال له معاوية: "كأنك
جئت مهدداً لم تأت مصلحاً، هيهات يا عدي، كلا! والله إني لابن حرب، ما يقعقع لي
بالشنان! وإنك والله لمن المجلبين على عثمان، وإنك من قتلته، وإني لأرجو أن تكون ممن
يقتله الله به".
فقال شبث وزياد بن خفصة جواباً واحداً: أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فأقبلت تضرب لنا
الأمثال، دع ما لا ينفع، وأجبنا فيما يعم نفعه.
وقال يزيد بن قيس: إنا لم نأت إلا لنبلغك ما أرسلنا به إليك ونؤدي عنك ما سمعنا منك،
ولم ندع أن ننصح لك، وأن نذكر ما تكون به الحجة عليك، ويرجع إلى الألفة والجماعة، إن

صاحبنا من قد عرف المسلمون فضيله، ولا يخفى عليك، فاتق الله يا معاوية ولا تخالفه،
فإنا والله ما رأينا في الناس رجلاً قط أعمل بالتقوى ولا أزهد في الدنيا ولا أجمع لخصال
الخير كلها منه".
فحمد الله معاوية، ثم قال: أما بعد، فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة، فأما الجماعة التي
دعوتم إليها فنعما هي، وأما الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها، لأن صاحبكم قتل خليفتنا،
وفرق جماعتنا، وآوى ثأرنا، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله، فنحن لا نرد عليه ذلك، فليدفع
إلينا قتلة صاحبنا لنقتلهم ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.
فقال شبث بن ربعي: يا معاوية أيسرك أن تقتل عماراً؟ قال "وما يمنعني من ذلك؟ والله
لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان!" فقال شبث: "والذي لا إله غيره لا تصل إلى
ذلك حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض الفضاء عليك!" فقال معاوية: "لو كان
كذلك لكانت عليك أضيق!" . وتفرق القوم.
وبعث معاوية إلى زياد بن خفصة، فخلا به، وقال له: "يا أخا ربيعة، إن علياً قطع
أرحامنا، وقتل إمامنا، وآوى قتلة صاحبنا، وإني أسألك النصر عليه بعشيرتك، ثم لك
عهد الله وميثاقه أن أوليك إذا ظهرت أي المصرين أحببت". فقال زياد: "أما بعد، فإني
على بينة من ربي، وربما أنعم الله علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين!" وقام فقال معاوية لعمرو
بن العاص: ليس نكلم رجلاً منهم فيجيب إلى خير، ما قلوبهم إلا كقلب واحد!.
وبعث معاوية إلى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن
الأخنس، فدخلوا عليه، فحمد الله حبيب وأثنى عليه، ثم قال: "أما بعد فإن عثمان كان
خليفة مهدياً، يعمل بكتاب الله وينيب إلى أمره، فاستثقلتم حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم
عليه فقتلتموه، فادفع إلينا قتلة عثمان إن زعمت أنك لم تقتله، ثم اعتزل أمر الناس، فيكون
أمرهم شورى بينهم، يولونه من أجمعوا عليه". فقال له علي رضي الله عنه: "ما أنت -لا
أم لك- والعزل وهذا الأمر؟ اسكت! لست هنالك ولا بأهلٍ له". فقال؛: والله لتريني

بحيث تكره! فقال علي: "وما أنت؟ لا أبقى الله عليك إن أبقيت علينا، اذهب فصوب
وصعد ما بدا لك!" وقال شرحبيل؛ "ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي، فهل عندك جواب
غير هذا!" فقال علي نعم، عندي جواب غيره:
ثم حمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، فإن الله تعالى بعث محمداً بالحق، فأنقذ به من
الضلالة والهلكة، وجمع به من الفرقة، ثم قبضه الله إليه، فاستخلف الناس أبا بكر، ثم
استخلف أبو بكر عمر، فأحسنا السيرة، وعدلا في الأمة، وقد وجدنا عليهما أن توليا
الأمور دوننا ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغفرنا لهما ذلك، وولى الناس
عثمان، فعمل بأشياء عابها الناس، فساروا إليه فقتلوه، ثم أتاني الناس وأنا معتزلٌ أمورهم،
فقالوا لي: بايع. فأبيت، فقالوا: بايع فإن الأمة لا ترضى إلا بك، وإنا نخاف إن لم تفعل أن
يتفرق الناس.
فبايعتهم، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني! وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عز
وجل له سابقةً في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليقٌ ابن طليق، وحزبٌ من
الأحزاب، لم يزل حرباً لله ورسوله هو وأبوه حتى خلا في الإسلام كارهين، ولا عجب إلا من
خلافكم معه، وانقيادكم له، وتتركون آل بيت نبيكم الذي لا ينبغي لكم شقاقهم ولا
خلافهم، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإماتة الباطل وإحياء الحق ومعالم
الدين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين".
فقالا: تشهد أن عثمان قتل مظلوماً. قال: لا أقول "إنه قتل ظالماً أو مظلوماً". قالا: من لم
يزعم أنه قتل مظلوماً فنحن منه براء.
واصرفا فقال علي رضي الله عنه: "إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا
مدبرين، وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون".
ثم قال لأصحابه: لا يكن هؤلاء في الجد في ضلالهم أجد منكم في الجد في حقكم.
قال: ولما انسلخ شهر الله المحرم وانقضت مدة الموادعة أمر علي رضي الله عنه مناديا
فنادى: " يا أهل الشام، يقول لكم أمير المؤمنين: قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه،

فلم تنتهوا عن الطغيان، ولم تجيبوا إلى الحق، وإني قد نبذت إليكم على سواء، إن الله لا
يحب الخائنين".
قال: واجتمع أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم، وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان
الكتائب ويعبئان الناس، وكذلك فعل علي رضي الله عنه.
وقال علي للناس: لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فأنتم بحمد الله على حجة، وترككم قتالهم
حتى يبدءوكم حجة أخرى فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا
تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا، ولا تدخلوا
داراً إلا بإذن، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة
بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القوى،
والأنفس.
وحرض أصحابه فقال رضي الله عنه: عباد الله، اتقوا الله، وغضوا الأبصار، واخفضوا
الأصوات، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجادلة والمزاولة والمناضلة
والمعانقة والمكادمة والملازمة، "فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين"
اللهم ألهمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر.
وأصبح علي رضي الله عنه فجعل على خيل الكوفة الأشتر، وعلى خيل البصرة سهل بن
حنيف، وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر، وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد بن
عبادة، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص المعروف بالمرقال وجعل معه الراية، وجعل مسعر بن
فدكي على قراء أهل الكوفة وأهل البصرة.
وبعث معاوية على ميمنته ابن ذي الكلاع الحميري، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة
الفهري، وعلى مقدمته أبا الأعور السلمي وكان على خيل دمشق، وعمرو بن العاص على
خيول الشام كلها وعلى رجالة دمشق مسلم بن عقبة الفهري، وعلى رجالة الناس كلهم
الضحاك بن قيس..وبايع رجالٌ من أهل الشام على الموت، فعلقوا أنفسهم بالعمائم، فكانوا
خمسة صفوف.

والتقوا أول يوم من صفر سنة سبع وثلاثين، وكان الذي خرج في هذا اليوم الأشتر على أهل
الكوفة، وحبيب بن مسلمة على أهل الشام، فاقتتلوا عامة النهار، ثم تراجعوا وقد انتصف
بعضهم من بعض.
ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال، وخرج إليه من أهل الشام أبو
الأعور السلمي، فاقتتلوا يومهم ذلك، ثم انصرفوا.
وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص، فاقتتلوا أشد قتال،
وقال عمار لزياد بن النضر وهو على الخيل: احمل على أهل الشام، فحمل، وقاتله الناس
وصبروا له، وحمل عمار فأزال عمرو بن العاص عن موضعه، وبارز يومئذ زياد بن النضر
أخاه لأمه واسمه: عمرو بن معاوية من بني المنتفق، فلما التقيا تعارفا، فانصرف كل واحد
منهما عن صاحبه، وتراجع الناس وخرج من الغد في اليوم الرابع محمد بن علي، هو " لابن
الحنفية" وخرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب، في جمعين عظيمين، فاقتتلوا أشد القتال،
وأرسل عبيد الله إلى محمد يدعوه للمبارزة، فخرج إليه، فحرك على دابته، ورد ابنه، وبرز
عليٌ إلى عبيد الله، فرجع عبيد الله، وتراجع الناس.
وخرج في اليوم الخامس عبد الله بن عباس، خرج إليه الوليد ابن عقبة، فاقتتلوا قتالاً
شديداً، وطلب الوليد ليبارزه فأبى، ثم انصرفا.
وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد الأنصاري وخرج إليه ابن ذي الكلاع الحميري،
فاقتتلوا قتالاً شديد، ثم انصرفوا.
قال: ثم عاد الأشتر يوم الثلاثاء، وخرج إليه حبيب، فاقتتلا قتالاً شديداً، وانصرفا عند
الظهر.
ثم إن علياً رضي الله عنه قال: حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا؟ فقام في الناس
عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: الحمد لله الذي لا يبرم ما
نقض، وما أبرم لم ينقضه الناقضون، ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه، ولا اختلفت
الأمة في شيء، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار،
فنحن بمرأى من ربنا ومسمع، فلو شاء عجل النقمة، وكان منه التغيير، حتى يكذب الظالم،

ويعلم المحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار، "ليجزى
الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى"، ألا وإنكم لاقو القوم غداً، فأطيلوا
الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، واسألوا الله النصر والصبر، والقوهم بالجد والحزم، وكونوا
صادقين.
فقام القوم يصلحون سلاحهم، فمر بهم كعب بن جعيل فقال:
أصبحت الأمّة في أمرٍ عجب والملك مجموعٌ غداً لمن غلب
فقلت قولاً صادقاً غير كذب: إن غداً تهلك أعلام العرب!
الحروب بعد الأيام الستة
في يومي الأربعاء والخميس وليلة الهرير ويوم الجمعة إلى أن رفعت المصاحف وتقرر أمر
الحكمين.
قال: وعبأ علي رضي الله عنه الناس ليلته حتى الصباح، وزحف بالناس، وخرج إليه
معاوية في أهل الشام، فسأل علي عن القبائل من أهل الشام، فعرف مواقفهم، فقال للأزد:
اكفونا الأزد، وقال لخثعم: اكفونا خثعم ،وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام، إلا أن
تكون قبيلة ليس منها أحدٌ فيصرفها إلى قبيلة أخرى ليس بالعراق منهم أحد، مثل بجيلة،
لم يكن بالشام منها أحد إلا القليل، فصرفهم إلى لخم.
فتناهض الناس يوم الأربعاء، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفوا عند المساء وكلٌ غير
غالب.
فلما كان يوم الخميس صلى عليٌ بغلس، وخرج بالناس إلى أهل الشام، وجعل علي رضي
الله عنه على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وله صحبة، وكان ممن أسلم يوم
الفتح، وقيل: قبله، وجعل على ميسرته عبد الله بن عباس، والقراء مع ثلاثة نفر: عمار بن
ياسر وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل، والناس على راياتهم ومراكزهم، وعلي رضي الله
عنه في القلب في أهل المدينة بين أهل الكوفة والبصرة، وأكثر من معه من أهل المدينة
الأنصار، ومعه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهم من أهل المدينة.
وزحف علي رضي الله عنه بهم إلى أهل الشام، ورفع معاوية قبة عظيمة، وألقى عليها
الثياب، وبايعه أكثر أهل الشام على الموت، وأحاط بقبته خيل دمشق، وزحف عبد الله

بن بديل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة وهو في الميسرة، فلم يزل يحوزهم ويكشف خيلهم
حتى اضطرهم إلى قبة معاوية عند الظهر.
وحرض عبد الله بن بديل أصحابه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي
عليه الصلاة والسلام: ألا إن معاوية ادعى ما ليس له، ونازع الحق أهله، وعاند من ليس
مثله، وجادل بالباطل ليدحض به الحق، وصال عليكم، بالأعراب والأحزاب الذين زين لهم
الضلالة، وزرع في قلوبهم حب الفتنة، ولبس عليهم الأمر، وزادهم رجساً إلى رجسهم،
وأنتم والله على الحق، على نور من ربكم وبرهان مبين، فقاتلوا الطغاة الجفاة "قاتلوهم
يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين" ، قاتلوا الفئة
الباغية الذين نازعوا الأمر أهله، وقد قاتلتموهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوالله
ما هم في هذه بأزكى ولا أتقى ولا أبر، قوموا إلى عدو الله وعدوكم رحمكم الله.
وقال الشعبي: كان عبد الله بن بديل رحمه الله في صفين عليه درعان وسيفان، وكان
يضرب أهل الشام ويقول:
لم يبق إلا الصبر والتوكل   مع التمشي في الرعيل الأول
مشى الجمال في حياض المنهل   والله يقضي ما يشاء ويفعل
ولم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه وأزال أصحابه الذين كانوا
معه. وسنذكر خبر مقتله في هذا اليوم في موضعه إن شاء الله تعالى.
قال: وحرض علي رضي الله عنه أصحابه، فقال رضي الله عنه في كلام له: فسووا
صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدموا الدراع، وأخروا الحاسر، وعضوا على الأضراس،
فإنه أنبى للسيوف عن الهام، والتووا في أطراف الرماح، فإنه أمور للأسنة، وغضوا الأبصار
فإنه أربط للجأش، وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات، فإنه أطرد للفشل، وأولى بالوقار،
راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، واستعينوا بالصدق
والصبر، فإن بعد الصبر ينزل النصر.
قال: وقام يزيد بن قيس الأرحبي يحرض الناس، فقال: إن المسلم من سلم في دينه ورأيه،

وإن هؤلاء القوم والله ما يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ليكونوا جبارين فيها ملوكا، فلو ظهروا
عليكم -لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً- لرموكم بمثل سعيد والوليد وابن عامر السفيه
الضال، يجيز أحدهم بمثل ديته ودية أبيه وجده في مجلسه، ثم يقول: "هذا لي ولا إثم علي"
، كأنما أعطي تراثه عن أبيه وأمه، وإنما هو مال الله أفاءه الله علينا بأرماحنا وسيوفنا،
فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين، فإنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم،
وهم من قد عرفتم وخبرتم، والله ما ازدادوا إلى يومهم إلا شراً.
قال: ولما انتهى عبد الله بن بديل ومن معه إلى قبة معاوية، أقبل الذين تبايعوا على الموت
إلى معاوية، فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل في الميمنة، وبعث إلى حبيب بن مسلمة فحمل
بالميسرة على ميمنة علي فهزمهم، وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبق إلا ابن
بديل في مائتين أو ثلاثمائة من القراء، قد استند بعضهم إلى بعض، وانجفل الناس.
وأمر علي سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة، فاستقبلتهم جموع
عظيمة لأهل الشام فاحتملتهم حتى أوقفتهم في الميمنة، وكان أهل اليمن فيما بين الميمنه إلى
موقف علي في القلب، فلما انكشفوا انتهت الهزيمة إلى علي رضي الله عنه، فانصرف
يمشي نحو الميسرة، وثبتت ربيعة، ودنا أهل الشام منه فما زاده قربهم إلا سراعا.
وكان الحسن والحسين ومحمد بنو علي رضي الله عنه معه، والنبل يمر بين عاتقه ومنكبيه،
وما من بنيه أحدٌ إلا يقيه بنفسه، فبصر به أحمر مولى أبي سفيان أو عثمان، فأقبل نحوه،
فخرج إليه كيسان مولى علي فاختلفا ضربتين، فقتله أحمر، فأخذ علي بجنب درع أحمر
فجذبه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضديه.
قال: ولما دنا نمه أهل الشام قال له الحسن رضي الله عنه: ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي
إلى هؤلاء القوم من أصحابك؟ فقال: يا بني إن لأبيك يوماً لا يعدوه ولا يبطئ به عنه
السعي، ولا يعجل به إليه المشي، إن أباك والله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت

عليه! قال: ولما وصل إلى ربيعة نادى بصوت عالٍ كغير المكترث
لما فيه الناس: لمن هذه
الرايات؟ قالوا: رايات ربيعة.
قال: بل راياتٌ عصم الله أهلها، فصبرهم وثبت أقدامهم...
وقال لحضين بن المنذر: يا
فتى ألا تدني رايتك هذه ذراعا؟ قال؛ والله عشرة أذرع. فأدناها
حتى قال علي رضي
الله عنه: حسبك مكانك.
قال: ولما انتهى علي إلى ربيعة تنادوا بينهم: إن أصيب فيكم
أمير المؤمنين وفيكم رجل
حي افتضحتم في العرب! فقاتلوا قتالاً شديداً ما قاتلوا مثله،
فلذلك قال علي رضي الله
عنه:
لمن رايةٌ سوداء يخفق ظلّها   إذا قيل "قدّمها حضين" تقدّما
ويقدمها في الموت حتّى يزيرها   حياض المنايا تقطر الموت
والدّما
أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا   بأسيافنا حتّى تولّى وأحجما
جز الله قوماً صابروا في لقائهم   لدى الموت قوماً ما أعفّ
وأكرما!
وأطيب أخباراً وأكرم شيمةً   إذا كان أصوات الرّجال تغمغما
ربيعة أعني أهل بأسٍ ونجدة   إذا ما همو لاقوا خميساً
عرمرما
قال: ومر الأشتر بعلي وهو يقصد الميسرة، والأشتر يركض نحو
الفزع قبل الميمنة، فقال له
علي: إيت هؤلاء القوم فقل لهم "أين فراركم من الموت الذي
لن تعجزوه إلى الحياة التي لا
تبقى لكم؟ ".
فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين، فقال لهم ما قال
علي، ثم قال: "أيها الناس أنا
الأشتر، إلي أنا الأشتر، إلي أنا الأشتر"، فأقبل إليه بعضهم
وذهب البعض، فنادى: "أيها
الناس، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم! أخلصوا إلي مذحجا"
فأقبلت مذحج إليه، فقال لهم:
"ما أرضيتم ربكم، ولا نصحتم له في عدوكم، وكيف ذلك وأنتم
أبناء الحرب، وأصحاب
الغارات، وفتيان الصياح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران،
ومذحج الطعان الذين لم يكونوا
يسبقون بثأرهم، ولا تطل دماؤهم، وما تفعلون هذا اليوم فإنه
مأثور عنكم بعده، فانصحوا
واصدقوا عدوكم اللقاء، فإن الله مع الصادقين، والذي نفسي ما
من هؤلاء -وأشار إلى

أهل الشام- رجل على مثل جناح بعوضة من محمد، اجلوا سواد وجهي يرجع فيه دمه،
عليكم بهذا السواد الأعظم، فإن الله لو قد فضه تبعه من بجانبيه! ".
قالوا: تجدنا حيث أحببت. فقصد نحو عظمهم مما يلي الميمنة يزحف إليهم ويردهم.
واستقبله شباب من همدان، وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ، وكانوا صبروا في الميمنة حتى
أصيب منهم ثمانون ومائة رجل، وقتل منهم أحد عشر رئيساً: كان أولهم ذؤيب بن شريح،
ثم شرحبيل، ثم مرثد، ثم هبيرة، ثم يريم، ثم سمير، أولاد شريح قتلوا، ثم أخذ الراية عميرة
ثم الحارث ابنا بشير فقتلا، ثم أخذها سفيان وعبد الله وبكر بنو زيد فقتلوا جميعاً، ثم
أخذ الراية وهب بن كريب فانصرف هو وقومه وهم يقولون: "ليت لنا عدتنا من العرب،
يحالفوننا على الموت، ثم نرجع، فلا ننصرف أو نقتل أو نظفر! "، فسمعهم الأشتر فقال لهم:
أنا أحالفكم على ألا نرجع أبداً حتى نظفر أو نهلك جميعاً! فوقفوا معه.
قال: وزحف الأشتر نحو الميمنة، وثاب إليه الناس وتراجعوا من أهل البصرة وغيرهم، فلم
يقصد كتيبة إلا كشفها، ولا جمعاً إلا حازه ورده، وقاتل قتالاً شديداً، ولزمه الحارث بن
جمهان الجعفي، فما زال هو ومن رجع إليه يقاتلون حتى كشف أهل الشام، وألحقهم بمعاوية
والصف الذي معه، وذلك بين صلاة العصر والمغرب، وانتهى إلى عبد الله بن بديل بن ورقاء
وهو في عصابة من القراء نحو المائتين أو الثلاثمائة قد لصقوا بالأرض كأنهم جثاً،فكشف
عنهم أهل الشام فأبصروا إخوانهم، فقالوا: ما فعل أمير المؤمنين قال: حيٌ صالح في المسيرة
يقاتل الناس أمامه. فقالوا: الحمد لله قد كنا ظننا أن قد هلك وهلكتم.
ثم قال عبد الله بن رحمه الله لأصحابه: استقدموا بنا.
فقال له الأشتر: "لا تفعل، واثبت مع الناس، فقاتل، فإن خيرٌ لهم وأبقى لك ولأصحابك"،
فأبى، ومضى نحو معاوية وحوله كأمثال الجبال، وخرج عبد الله أمام أصحابه فقتل من دنا
منه، حتى قتل الجماعة، ودنا من معاوية، فنهض إليه الناس من كل جانب، وأحيط به

وبطائفة من أصحابه، فقاتل حتى قتل، وقتل ناسٌ من أصحابه، ورجعت طائفة منهم
مجرحين، فبعث الأشتر الحارث بن جهمان الجعفي، فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من
انهزم من أصحاب عبد الله، حتى نفسوا عنهم، وانتهوا إلى الأشتر.
وحكى أبو عمر ابن عبد البر عن الشعبي في قتل عبد الله: أنه لما انتهى إلى معاوية أزاله
وأزال أصحابه عن مواقفهم، وكان مع معاوية يومئذ عبد الله بن عامر، فأقبل أصحاب
معاوية على عبد الله بن بديل يرجمونه بالحجارة حتى أثخنوه، وقتل، فأقبل معاوية وعبد الله
بن عامر معه، فألقى عليه ابن عامر عمامته غطى بها وجهه، وترحم عليه، فقال معاوية:
اكشفوا وجهه.
فقال ابن عامر: والله لا تمثل به وفي روح! فقال معاوية: اكشفوا عن وجهه فقد وهبناه
لك.
ففعلوا، فقال معاوية: هذا كبش القوم ورب الكعبة، اللهم أظفر بالأشتر والأشعث بن
قيس، والله ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر:
أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها   وإن شمّرت يوماً به الحرب شمّرا
كليث هزبر كان يحمي ذماره   رمته المنايا قصدها فتقطّرا
ثم قال معاوية: إن نساء خزاعة لو قدرت أن تقاتلني فضلاً عن رجالها لفعلت.
انتهى كلام الشعبي.
قال: وزحف الأشتر لعك والأشعريين، وقال لمذحج: اكفونا عكا. ووقف في همدان وقال
لكندة: اكفونا الأِشعريين. فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى المساء، وقاتلهم الأشتر في همدان
وطوائف من الناس، فما زال أهل الشام عن مواضعهم حتى ألحقوهم بالصفوف الخمسة
المعلقة بالعمائم حول معاوية، ثم حمل عليهم حملةً أخرى فصرع أربعة صفوف من المعقلين
بالعمائم.
ودعا معاوية بفرسه فركبه، وكان يقول: أردت أن أنهزم فذكرت قول ابن الإطنابة وكان
جاهلياً:
أبت لي عفّتي وأبى بلائي   وإقدامي على البطل المشيح
وإعطائي على المكروه مالي   وأخذي الحمد بالثّمن الرّبيح
وقولي كلّما جشأت وجاشت: مكانك تحمدي أو تستريحي

قال: فمنعني هذا القول من الفرار، ونظر إلى عمرو فقال له: "اليوم صبرٌ، وغداً فخر" .
فقال: صدقت.
قال: وتقدم عقبة بن حديد النميري وهو يقول: "ألا إن مرعى الدنيا أصبح هشيماً،
وشجرها حصيداً، وجديدها سملاً، وحلوها مر المذاق، وإني قد سئمت الدنيا، وإني
أتمنى الشهادة وأتعرض لها في كل جيشٍ وغارة، فأبى الله إلا أن يبلغني هذا اليوم، وإني
معترض لها من ساعتي هذه، وقد طمعت ألا أحرمها، فما تنتظرون عباد الله بجهاد من
عادى الله! في كلام طويل، وقال: يا إخوتي، قد بعت هذه الدار بالتي أمامها، وهذا وجهي
إليها! فتبعه إخوته عبيد الله وعوف ومالك، وقالوا: لا نطلب رزق الدنيا بعدك! فقاتلوا
حتى قتلوا، وهم من أصحاب علي.
وكان ممن قتل في هذا اليوم من أصحاب علي أبو شداد قيس بن المكشوح، واسم
المكشوح: هبيرة بن هلال عند أكثرهم، وكان قيس يومئذٍ صاحب رايةٍ بجلية، وذلك أن
بجلية قالت له: يا أبا شداد خذ رايتنا اليوم. فقال: غيري خيرٌ لكم. قالوا: ما نريد غيرك.
قال فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب وكان على رأس
معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستر به معاوية من الشمس، قالوا: اصنع ما شئت.
فأخذ الراية ثم زحف بها، فجعل يطاعنهم حتى انتهى إلى صاحب الترس، وكان في خيل
عظيمة، فاقتتل الناس قتالاً شديداً، وشد أبو شداد على صاحب الترس -وقيل: كان
صاحب الترس المذهب عبد الرحمن بن خالد بن الوليد- فاعترضه دونه مولىً رومي
لمعاوية، فضرب قدم أبي شداد فقطعها، وضربه أبو شداد فقتله، وأشرعت إليه الرماح
فقتلوه، وأخذ الراية عبد الله بن قلع الأحمسي، فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عفيف بن إياس
فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس.. وقتل غير هؤلاء ممن له صحبة.
قال: وخرجت حمير في جمعها ومن انضم إليها من أهل الشام، وتقدمهم ذو الكلاع، ومعهم
عبيد الله بن عمر بن الخطاب وهم ميمنة أهل الشام، فقصدوا ربيعة من أهل العراق،

وكانت ربيعة ميسرة أهل العراق، وفيهم ابن عباس، فحملوا على ربيعة حملةً شديدة،
فتضعضعت راية ربيعة، وكانت الراية مع أبي ساسان حضين بن المنذر، فانصرف أهل
الشام عنهم، ثم كر عبيد الله بن عمر وقال: يا أهل الشام، إن هذا الحي من أهل العراق
قتلة عثمان وأنصار علي، فشدوا على الناس شدة عظيمة، فثبتت ربيعة وصبرت صبراً
حسناً إلا قليلاً من الضعفاء والفشلة، وثبت أهل الرايات وأهل الصبر والحفاظ وقاتلوا قتالاً
حسناً، ثم تراجع من انهزم من ربيعة، واشتد القتال حتى كثرت القتلى، فقتل سمير بن
الريان العجلي، وكان شديد البأس، وأتى زياد بن خصفة عبد القيس فأعلمهم بما لقيت
بكر بن وائل من حمير، وقال: يا عبد القيس لا بكر بعد اليوم! فقاتلوا معهم، فقتل ذوا
الكلاع الحميري وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وجرح عمار ابن ياسر فقال: "اللهم إنك
تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم أنحني عليها حتى تخرج من
ظهري لفعلته! وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى إليك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو
أعلم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته! والله إني لأرى قوماً ليضربنكم ضرباً يرتاب منه
المبطلون، وايم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أننا على الحق وأنهم
على الباطل! " ثم قال: " من يبتغي رضوان ربه فلا يرجع إلى مال ولا ولد!" فأتاه عصابة
فقال: "اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان، والله ما أرادوا الطلب بدمه،
ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون
فيه منها، ولم تكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدوا أتباعهم أن
قالوا: إمامنا قتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبارة ملوكاً، فبلغوا ما ترون، ولولا هذه ما تبعهم
من الناس رجلان، اللهم إن تنصرنا فطال ما نصرت، وإن جعلت لهم الأمر فادخر لهم بما
أحدثوا في عبادك العذاب الأليم! " ثم مضى ومعه تلك العصابة، فكان لا يمر بوادٍ من
أودية صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم جاء إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص -وهو المرقال- وكان صاحب راية علي رضي
الله عنه، فقال: "يا هاشم، أعوراً وجبناً" لا خير في أعور لا يغشىالبأس، اركب يا هاشم"
.
فركب معه وهو يقول.
أعور يبغي أهله محلاّ   قد عالج الحياة حتّى ملاّ
لا بدّ أن يفلّ أو يفلاّ   يتلّهم بذي الكعوب تلاّ
وعمار يقول: "تقدم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل، وقد
فتحت أبواب السماء، وتزينت الحور العين، اليوم ألقى الأحبه، محمداً وحزبه!" وتقدم حتى
دنا من عمرو بن العاص، فقال له: "يا عمرو، بعت دينك بمصر! تباً لك! تباً لك!" فقال: لا
ولكن أطلب دم عثمان. قال: "أشهد على علمي فيك إنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه
الله، وأنك إن لم تقتل اليوم تمت غداً، فانظر إذا أعطي الناس على نياتهم ما نيتك؟ لقد
قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الرابعة ما هي
بأبر ولا أتقى!" .
ثم قاتل عمار فلم يرجع، وقتل، وقال قبل أن يقتل: إيتوني بآخر زرقٍ لي من الدنيا! فأتي
بضياحٍ من لبنٍ في قدح، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تقتل عماراً الفئة
الباغية، وإن آخر رزقه ضياحٌ من لبن" والضياح؛ الممزوج بالماء من اللبن.
قال: وقتلة أبو الغادية، واحتز رأسه ابن حوى السكسكي، وقد كان ذو الكلاع سمع
عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لعمار "تقتلك الفئة الباغية وآخر
شربةٍ تشربها ضياحٌ من لبن" .
فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويحك يا عمرو! فيقول إنه يرجع إلينا، فقتل ذو
الكلاع قبل عمار مع معاوية، وأصيب عمار بعده مع علي، فقال عمرو لمعاوية: " والله ما
أدري بقتل أيهما أنا أِشد فرحاً: بقتل عمار أو بقتل ذي الكلاع، والله لو بقي بعد قتل عمارٍ
لمال بعامة أهل الشام إلى علي!" .
فأتى جماعة إلى معاوية، كلهم يقول: "أنا قتلت عمارا" فيقول عمرو: فما سمعته يقول؟

فيخلطون، فأتاه ابن حوي فقال: أنا قتلته فسمعته يقول"
اليوم ألقى الأحبة، محمداً وحزبه" .
فقال له عمرو: أنت صاحبه. ثم قال "رويداً، والله ما ظفرت يداك، ولقد أسخطت
ربك!".
وقيل: إن أبا الغادية قتل عماراً وعاش إلى زمن الحجاج، فدخل عليه، فأكرمه الحجاج
وقال: أنت قتلت ابن سمية؟ يعني عماراً قال: نعم. قال: من سره أن ينظر إلى عظيم الباع
يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية.
ثم سأله أبو الغادية حاجةً فلم يجبه إليها، فقال: نوطئ لهم الدنيا ولا يصلونا منها ويزعم
أني عظيم الباع يوم القيامة! فقال الحجاج: أجل والله من كان ضرسه مثل أحدٍ، وفخذه
مثل جبل ورقان، ومجلسه مثل المدينة والربذة، لعظيم الباع يوم القيامة، والله لو أن عماراً
قتله أهل الأرض لدخلوا كلهم النار!.
وقال أبو عبد الرحمن السلمي: لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لأنظر هل بلغ منهم قتل
عمار ما بلغ منا -وكنا إذا تركنا القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم- فإذا معاوية وعمرو وأبو
الأعور وعبد الله بن عمرو يتسايرون، فأدخلت فرسي بينهم لئلا يفوتني ما يقولون، فقال
عبد الله بن عمرو لأبيه: يا أبت قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال رسول الله ما
قال! قال وما قال؟ قال: ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم لبنةً لبنةً وعمار ينقل لبنتين لبنتين؟ فغشي عليه، فأتاه رسول الله عليه الصلاة
والسلام، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول "ويحك يا ابن سمية! الناس ينقلون لبنةً لبنةً،
وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبةً في الأجر، وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية!". فقال عمرو
لمعاوية: أما تسمع ما يقول عبد الله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره، فقال معاوية: أنحن قتلناه؟
إنما قتله من جاء به! قال فخرج الناس من أخبيتهم
وفساطيطهم يقولون. إنما قتله من جاء
به. فلا أدري من كان أعجب؟: أهو أم هم؟ .
قال: ولما قتل عمار قال علي رضي الله عنه لربيعة: أنتم درعي ورمحي.
فانتدب إليه نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدمهم علي على بغلة، فحملوا معه حملة رجل

واحد، فلم يبق لأهل الشام صفٌ إلا انتقص، وقتلوا كل من انتهوا إليه، حتى بلغوا معاوية،
فناداه علي: فقال علام يقتل الناس بيننا؟ هلم أحاكمك إلى الله، فأينا قتل صاحبه
استقامت له الأمور.
فقال عمرو: أنصفك. فقال معاوية لعمرو: ما أنصفت، إنك لتعلم أنه لم يبرز إليه أحدٌ إلا
قتله. فقال عمرو ما يحسن بك ترك مبارزته، فقال معاوية: طمعت فيها بعدي!.
قال: وكان أصحاب علي قد وكلوا به رجلين يحفظانه، لئلا يقاتل، فكان يحمل إذا غفلا فلا
يرجع حتى يخضب سيفه، وإنه حمل مرة فلم يرجع حتى انثنى سيفه، فألقاه إليهم، وقال:
لولا أنه انثنى ما رجعت إليكم. فقال الأعمش لأبي عبد الرحمن: هذا والله ضرب غير
مرتاب!.
قال: وأما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فإنه دعا الناس عند المساء وقال: ألا من كان
يريد الله والدار الآخرة فإلي. فأقبل إليه الناس، فحمل على أهل الشام مراراً، ويصبرون له،
وقاتل قتالاً شديداً وقال لأصحابه: "لا يهولنكم ما ترون من صبرهم، فوالله ما هو إلا حمية
العرب وصبرها تحت راياتها، وإنهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحق" ثم حرض أصحابه،
وحمل في عصابة من القراء وقاتل قتالاً شديداً، فقتل يومئذٍ تسعةً أو عشرة، وحمل عليه
الحارث بن المنذر التنوخي، فطعنه فسقط، وأرسل إليه علي: أن قدم لواءك، فقال لرسوله:
انظر إلى بطني! فنظر إليه، فإذا هو قد انشق! قال: ومر علي بكتيبة من أهل الشام فرآهم
لا يزولون عن موقفهم -وهم غسان- فقال: "إن هؤلاء لا يزولون إلا بطعن وضرب يفلق الهام
ويطيح العظام، وتسقط منه المعاصم والأكف، وحتى تقرع جباههم بعمد الحديد، أين أهل
النصر والصبر وطلاب الأجر؟" فأتاه عصابة من المسلمين، فدعا ابنه محمداً فقال: " تقدم
نحو هذه الراية مشياً رويداً على هينتك، حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح فأمسك
حتى يأتيك مري". ففعل وأعد لهم على مثلهم وسيرهم إلى ابنه محمد، وأمره بقتالهم،
فحمل عليهم فأزالهم عن مواقفهم، وأصابوا منهم رجالاً.

قال: ومر الأسود بن قيس المرادي بعبد الله بن كعب المرادي وهو صريع، فقال له عبد
الله: يا أسود. قال: لبيك. وعرفه ونزل إليه وقال: "عز على مصرعك! إن كان جارك
ليأمن بوائقك، وإن كنت لمن الذاكرين له كثيراً! أوصني رحمك الله!" قال: "أوصيك بتقوى
الله، وأن تناصح أمير المؤمنين، وتقاتل معه المخلين، حتى يظهر أو يلحق بالله، وأبلغه عني
السلام وقل له: قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك، فإنه من أصبح غداً والمعركة
خلف ظهره كان العالي".
ثم لم يلبث أن مات، فأقبل الأسود إلى علي فأخبره، فقال: "رحمه الله! جاهد عدونا في
الحياة، ونصح لنا في الوفاة!".. وقيل: إن الذي أشار على علي بهذا عبد الرحمن بن
حنبل الجمحي.
قال: فاقتتل الناس تلك الليلة كلها إلى الصباح، وهي ليلة الهرير، فتطاعنوا حتى تقصفت
الرماح، وتراموا حتى نفذ النبل، وأخذوا السيوف، وعلي يسير بين الميمنة والميسرة، ويأمر
كل كتيبة أن تقدم على التي تليها، فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح، والمعركة كلها خلف
ظهره، والأشتر في الميمنة، وابن عباس، في الميسرة وعلي في القلب، والناس يقتتلون من كل
جانب وذلك يوم الجمعة وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة، وكان قد تولاها عشية الخميس
وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى، وهو يقول لأصحابه: ازحفوا قيد هذا الرمح.
ويزحف بهم نحو أهل الشام، فإذا فعل ذلك بهم قال: ازحفوا قيد هذا القوس. فإذا فعلوه
سألهم مثل ذلك، حتى مل أكثر الناس الإقدام، فلما رأى الأشتر ذلك دعا بفرسه فركبه
وترك رايته مه حيان بن هوذة النخعي، وخرج يسير في الكتائب ويقول: من يشري نفسه
ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله؟ فاجتمع إليه جمع كثير، فيهم حيان بن هوذة
النخعي وغيره، فرجع بهم إلى المكان الذي كان فيه، وقال لهم: "شدوا شدة -فدىً لكم
خالي وعمي- ترضون بها الرب، وتعزون بها الدين" ثم نزل فضرب وجه دابته، وقال
لصاحب رايته: أقدم بها.

وحمل بالقوم فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم، فقاتلوه عند العسكر قتالاً
شديداً، وقتل صاحب رايته، فلما رأى علي الظفر من ناحيته أمده بالرجال.
فقال عمرو لوردان: تدري ما مثلي ومثلك ومثل الأشتر؟ قال: لا. قال "كالأشقر إن تقدم
عقر وإن تأخر عقر! لئن تأخرت لأضربن عنقك!" قال: أما والله يا أبا عبد الله لأوردنك
حياض الموت ضع يدك على عاتقي. ثم جعل يتقدم ويتقدم ويقول: والله لأوردنك حياض
الموت. واشتد القتال.
فلما رأى عمرو أن أمر أهل العراق قد اشتد، وخاف الهلاك، قال لمعاوية: هل لك في أمر
أعرضه عليك لا يزيدنا إلاّ اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم. قال: "نرفع المصاحف،
ثم نقول لما فيها هذا حكم الله بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من
يقول: ينبغي لنا أن نقبل. فتكون فرقة بينهم، فإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل"
.
رفع أهل الشام المصاحف
وما تقرر من أمر التحكيم وكتاب القضية
قال: ولما أشار عمرو بن العاص على معاوية برفع المصاحف أمر برفعها، فرفعت بالرماح،
وقال: "هذا كتاب الله بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهله؟ من لثغور العراق بعد
أهله؟ ".
فلما رآها الناس قالوا: نجيب إلى كتاب الله! فقال لهم علي رضي الله عنه: "عباد الله،
امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم، فإن معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً
وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دينٍ ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد
صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً، فكانوا شر أطفالٍ وشر رجال! ويحكم! والله ما رفعوها إلا
خديعةً ووهناً ومكيدة!" فقالوا له: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله! فقال
لهم علي رضي الله عنه: "فإني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الله، فإنهم قد عصوا الله فيما
أمرهم، ونسوا عهده، ونبذوا كتابه!". فقال معسر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين

الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: "يا علي، أجب إلى كتاب الله
عز وجل إذا دعيت إليه، وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو ونفعل بك كما فعلنا بابن عفان!"
:قال: "فاحفظوا عني نهيي إياكم، واحفظوا مقالتكم لي، فإن تطيعوني فقاتلوا، وإن تعصوني
فاصنعوا ما بدا لكم!" .
قالوا: ابعث إلى الأشتر فليأتيك. فبعث علي يزيد بن هانئ إلى الأشتر يستدعيه، فقال:
"ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي، إني رجوت أن يفتح
الله لي!".
فرجع يزيد فأخبره، وارتفعت الأصوات، وارتفع الرهج من ناحية الأشتر، فقالوا: والله ما
نراك إلا أمرته أن يقاتل! فقال: "هل رأيتموني ساررته؟ أليس كلمته على رؤوسكم وأنتم
تسمعون؟" فقالوا: "ابعث إليه فليأتك، وإلا والله اعتزلناك!" فقال: "ويلك يا يزيد! قل له
أقبل إلي، فإن الفتنة قد وقعت!" فأبلغه ذلك، فقال الأشتر ألرفع المصاحف؟ قال: نعم.
قال: "والله لقد ظننت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة، إنها مشورة ابن العاص، ألا ترى إلى
الفتح؟ ألا ترى ما يلقون؟ ألا ترى ما صنع الله لنا؟ أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف
عنهم؟ " فقال له يزيد: أتحب أ، تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوه أو يقتل؟ قال: "لا
والله! سبحان الله!" فأعلمه بقولهم، فأقبل إليهم الأشتر وقال: "يا أهل العراق، يا أهل الذل
والوهن، أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟
وهم والله تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه! فأمهلوني فواقاً فإني قد
أحسست بالفتح، قالوا: لا. قال: أمهلوني عدو الفرس فإني قد طمعت في النصر قالوا: إذن
ندخل معك في خطيئتك! قال: "فخبروني عنكم متى كنتم محقين؟ : أحين تقاتلون
وخياركم يقتلون؟ فأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مبطلون! أم أنتم الآن محقون؟ فقتلاكم
الذين لا تنكرون فضلهم وهم خيرٌ منكم في النار!" فقالوا: "دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم
لله، وندع قتالهم لله!" فقال: "خدعتم فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم، يا

أصحاب الجباه السود، كنا نظن صلاتكم زهادةً في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى
مرادكم إلا الدنيا، ألا قبحا يا أشباه النيب الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً، فابعدوا
كما بعد القوم الظالمون!" فسبوه وسبهم، وضربوا وجه دابتهم بسياطهم، وضرب وجوه
دوابهم بسوطه، فصاح به وبهم علي رضي الله عنه، فكفوا.
وقال الناس: قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً. فجاء الأشعث بن قيس إلى
علي فقال له: أرى الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت
معاوية فسألته ما يريد. قال: إيته. فأتاه فقال: يا معاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟
قال: "لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، تبعثون رجلاً ترضون، ونبعث رجلاً
نرضى به، نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه" .
فقال له الأشعث: "هذا الحق، هذا الحق". فعاد إلى علي فأخبره، فقال الناس: قد رضينا
وقبلنا.
فقال أهل الشام: قد رضينا عمراً. فقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج: فإنا
قد رضينا بأبي موسى الأشعري. فقال علي رضي الله عنه: "قد عصيتموني في أول
الأمر، فلا تعصوني الآن، لا أرى أن أولى أبا موسى". فقال الأشعث وزيد بن حصين
ومسعر بن فدكي: لا نرضى إلا به فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه! قال علي "فإنه ليس لي
بثقة، قد فارقني وخذل الناس عني، ثم هرب مني حتى آمنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن
عباس أوليه ذلك". قالوا "والله ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس، لا نريد إلا رجلاً هو منك
ومن معاوية سواء" . قال علي: فإني أجعل الأشتر. قالوا: وهل سعر الأرض غير الأشتر؟
قال: قد أبيتم إلا أبا موسى. قالوا: نعم: قال: فاصنعوا ما أردتم! فبعثوا إليه وقد اعتزل
القتال وهو بغرض فأتاه مولىً له فقال: إن الناس قد اصطلحوا. فقال الحمد لله. قال: قد
جعلوك حكماً. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون وجاء أبو موسى حتى دخل في العسكر.
وجاء الأشتر علياً فقال: ألزني بعمرو بن العاص، فوالله لئن ملأت عيني منه لأقتلنه!.

وجاء الأحنف بن قيس فقال: " يا أمير المؤمنين، إنك قد رميت بحجر الأرض، وإني قد
عجمت أبا موسى وحلبت أشطره، فوجدته كليل الشفرة قريب القعر، وإنه لا يصلح لهؤلاء
القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد عنهم حتى يصير بمنزلة النجم منهم،فإن
أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها، ولا يحل عقدة
أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكم منها! ". فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب،
فقال الأحنف بن قيس: إن أبيتم إلا أبا موسى فأدفئوا ظهره بالرجال.
وحضر عمرو بن العاص عند علي لتكتب القضية بحضوره، فكتبوا " بسم الله الرحمن
الرحيم، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين" فقال عمرو: هو أميركم أما أميرنا فلا. فقال له
الأحنف: لا تمح اسم أمير المؤمنين فإني أتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبداً، لا تمحها
وإن قتل الناس بعضهم بعضا، فأبى ذلك عليٌ ملياً من النهار، ثم قال الأشعث بن قيس:
امح هذا الاسم. فمحي، فقال علي رضي الله عنه: " الله أكبر! سنة بسنة، والله إني
لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، فكتبت، "محمد رسول الله" فقالوا:
لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فأمرني رسول الله عليه الصلاة والسلام
بمحوه، فقلت: لا أستطيع. فقال أرنيه. فأريته فمحاه بيده وقال: إنك ستدعى إلى مثلها
فتجيب! ". فقال عمرو: "سبحان الله! أنشبه بالكفار ونحن مؤمنون؟" فقال عليٌ رضي
الله عنه: يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمؤمنين عدواً؟ فقال عمرو: والله لا
يجمع بيني وبينك مجلسٌ أبداً! فقال علي: إني لأرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن
أشباهك. وكتب الكتاب: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي
سفيان، قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن
معهم، أنا ننزل عند حكم الله وكتابه، وألا يجمع بيننا غيره، وأن كتاب الله بيننا من فاتحته
إلى خاتمته، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله -وهما أبو

موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص- عملا به، وما لم يجداه في كتاب الله تعالى
فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة. وأخذ الحكمان من علي رضي الله عنه ومن معاوية
ومن الجند من العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وعلى أهلهما، والأمة لهما أنصار
على الذي يتقاضيان عليه، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن
يحكما بين هذه الأمة ولا يرداها في حرب ولا فرقةً حتى يعصيا، وأجلا القضاء إلى
رمضان، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه، وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة
وأهل الشام.
وشهد جماعة من الطائفتين. وقيل للأشتر لتكتب فيها. فقال: "لا صحبتني يميني ولا نفعتني
بعدها شمالي إن خط لي في هذه الصحيفة خط! أولست على بينة من ربي من ضلال
عدوي؟ أولستم قد رأيتم الظفر؟ ". فقال له الأشعث: ما رأيت ظفراً هلم إلينا فإنه لا
رغبة بك عنا. فقال: "بلى والله الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة! ولقد
سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنت عندي خير منهم ولا أحرم دماً!" .
قال: وخرج الأشعث بالكتاب يقرأه على الناس حتى مر على طائفةٍ من بني تميم، فيهم
عروة بن أدية أخو أبي بلال فقرأه عليهم، فقال عروة: تحكمون في أمر الله الرجال، لا حكم
إلا لله. ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابة الأشعث ضربة خفيفةً، فاندفعت الدابة،
فصاح به أصحاب الأشعث فرجع. وكتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من
صفر سنة سبع وثلاثين.. واتفقوا أن يكون اجتماع الحكمين بدومه الجندل أو بأزرخ، في
شهر رمضان.
قال: وقيل لعلي: إن الأشتر لا يقر بما في الصحيفة ولا يرى إلا قتال القوم. فقال عليٌ رضي
الله عنه: "وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا، فإذ أبيتم إلا أن ترضوا فقد
رضيت، وإذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضى ولا التبديل بعد الإقرار، إلا أن يعصى
الله ويتعدى كتابه، فتقاتلوا من ترك أمر الله. وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه

فليس من أولئك، ولست أخافه على ذلك، يا ليت فيكم مثله اثنين، يا ليت فيكم مثله
واحد يرى في عدوي ما أرى، إذن لخفت على مؤنتكم، ورجوت أن يستقيم لي بعض
أودكم، وقد نهيتكم فعصيتموني فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:
وهل أنا إلاّ من غزيّة إن غوت   غويت وإن ترشد غزيّة أرشد
والله لقد فعلتم فعلةً ضعضعت قوة، وأسقطت منة، وأورثت وهناً وذلةً، ولما كنتم
الأعلين، وخاف عدوكم الاجتياح، واستحر بهم القتل، ووجدوا ألم الجراح، رفعوا
المصاحف فدعوكم إلى ما فيها ليفتنوكم عنه، ويقطعوا الحرب، ويتربصوا بكم ريب المنون،
خديعةً ومكيدةً، فأعطيتموهم ما سألوا، وأبيتم إلا أن تدهنوا وتحيروا، وايم الله ما أظنكم
بعدها توفقون لرشد، ولا تصيبون باب حزم".
قال: ثم تراجع الناس عن صفين. هذا ما أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في
تاريخه، وهو الذي اعتمد عليه عز الدين علي بن محمد بن الأسير الموصلي في تاريخه
الكامل، من حرب صفين، وقد أسقطنا بعض ما أورداه، وأتينا بألفاظ لم يأتيا بها نسبناها
إلى من حكاها: وأخبار أيام صفين كثيرة، قد بسط أهل التاريخ فيها القول، وذكروا ما اتفق
في أيامها يوماً يوماً، رأينا ترك ذلك والإغضاء عنه أولى، وكنا نؤثر ألا نلم بذكر أيام صفين ولا
وقعة الجمل، وإنما ضرورة التاريخ دعت إلى ذلك. وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة
بسر بن أرطاة من كتابه الاستيعاب: أن معاوية أأ
أمر بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة، وكان معه بصفين على أن يلقى علياً في القتال، وقال له:
"سمعتك تتمنى لقاءه، فلو أظفرك الله فصرعته حصلت على دنيا وآخرة" ، ولم يزل يشجعه
ويمنيه حتى رآه فقصده في الحرب، قال: وكان بسر بن أرطاة من الأبطال الطغاة، فالتقيا،
فصرعه عليٌ وعرض له معه مثل ما عرض -فيما ذكر- لعلي مع عمرو بن العاص.
قال وذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبار صفين أن بسر بن أرطاة بارز علياً يوم صفين
فطعنه عليٌ فصرعه، فانكشف له، فكف عنه، كما عرض له -فيما ذكروا- مع عمرو بن

العاص، ولهم فيها أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب، منها فيما ذكر ابن الكلبي
والمدائني قول الحارث بن النضر السهمي -وكان عدواً لعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة- :
أفي كلّ يومٍ فارسٌ ليس ينتهي وعورته بين العجاجة باديه
يكفّ لها عنه عليٌّ سنانه ويضحك منه في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمروٍ فقنّع رأسه وعورة بسرٍ مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بسرٍ: ألا انظرا سبيلكما، لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما هما كانتا والله للنّفس واقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهيه
وكونا بعيداً حيث لا تبلغ القنا نحوركما إنّ التجارب كافيه
قال أبو عمر: إنما كان انصراف علي عنهما وعن أمثالهما من مصروع أو منهزم، بأنه كان
لا يرى في قتال الباغين عليه من المسلمين أن يتبع مدبراً ولا يجهز على جريح ولا يقتل أسيراً،
وتلك عادته في حروبه في الإسلام، رضي الله عنه.
وروى أبو عمر ابن عبد البر أيضاً بسند يرفعه إلى يزيد ابن حبيب قال: اصطحب قيس
بن خرشة، وكعب الأحبار، حتى إذا بلغا صفين وقف كعبٌ ثم نظر ساعةً فقال: "لا إله إلا
الله، ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيءٌ لم يهرق ببقعة من الأرض" فغضب قيسٌ
وقال: "وما يدريك يا أبا إسحاق؟ فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله به" فقال كعب: ما
من شبر من الأرض إلا وهو مكتوب في التوراة التي أنزل الله على نبيه موسى بن عمران
عليه السلام ما يكون عليه إلى يوم القيامة. واختلف في عدة من شهد صفين، فقيل كان
جيش علي رضي الله عنه تسعين ألفاً، وجيش معاوية مائةً وعشرين ألفاً وقيل أقل من
ذلك. وقتل من العراق خمسة وعشرون ألفاً منهم عمار بن ياسر وخمسة وعشرون بدرياً،
وقتل من عسكر معاوية خمسة وأربعون ألفاً. قال، ولما رجع علي رضي الله عنه إلى
الكوفة خالفه الحرورية وأنكروا تحكيم الرجال، وكان من أمرهم ما نذكره إن شاء الله في
أخبار الخوارج على علي، وكان فيما بين رجوع علي واجتماع الحكمين ما نذكره إن شاء
الله تعالى في حوادث السنين.

اجتماع الحكمين

قال: ولما جاء وقت اجتماع الحكمين أرسل علي رضي الله عنه أربعمائة رجل عليهم
شريح بن هانئ الحارثي، وأرسل عبد الله بن عباس يصلي بهم ويلي أمورهم، ومعهم أبو
موسى الأشعري. وأرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام، حتى توافوا
من دومة الجندل بأزرح
وكان عمرو إذا أتاه كتاب من معاوية لا يدري أحدٌ ما جاء فيه، ولا يسأله أهل الشام عن
شيء، وكان أهل العراق يسألون ابن عباس عن كل كتاب يصل إليه من علي، فإن كتمه
ظنوا به الظنون وقالوا: نراه كتب بكذا وكذا، فقال لهم ابن عباس رضي الله عنه: " أما
تعقلون، أما ترون رسول معاوية يجيء فلا يعلم أحد بما جاء به ولا يسمع لهم صياح؟
وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون" . قال وحضر معه عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد
الرحمن ابن أبي بكر الصديق، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن الحارث بن هشام، وعبد
الرحمن بن عبد يغوث الزهري، وأبو جهم بن حذيفة العدوي، والمغيرة بن شعبة.
وكان سعد بن أبي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية، فأتاه ابنه عمر فقال له: "إن أبا
موسى وعمراً قد شهدهم نفرٌ من قريش فاحضر معهم، فإنك صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأحد أصحاب الشورى، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة، وأنت أحق
الناس في الخلافة" فلم يفعل، وقيل: بل حضرهم سعد وندم على حضوره، فأحرم بعمرةٍ من
بيت المقدس.
قال: ولما اجتمع الحكمان قال عمرو بن العاص، يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل
مظلوما، قال أشهد. قال: ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى.. قال:
"فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمت؟ فإن خفت أن يقول الناس ليست له سابقة
فقل: وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم، والطالب بدمه، الحسن السياسية والتدبير، وهو
أخو أم حبيبة زوج النبي عليه الصلاة والسلام وكاتبه، وقد صحبه" وعرض له عمرو
بسلطان، فقال أبو موسى: "يا عمرو، اتق الله! أما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا

ليس على الشرف يولاه أهله، ولو كان على الشرف لكان لآل أبرهة بن الصباح، إنما هو
لأهل الدين والفضل، مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفاً أعطيته علي بن أبي طالب،
وأما قولك إن معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الأمر، فلم أكن لأوليه معاوية وأدع المهاجرين
الأولين، وأما تعريضك لي بالسلطان؛ فوالله لو خرج لي معاوية من سلطانه كله ما وليته، وما
كنت لأرتشي في حكم الله، ولكنك إن شئت أن تحيي اسم عمر بن الخطاب" قال له
عمرو: فما يمنعك من ابني عبد الله وأنت تعلم فضله وصلاحه؟ فقال له: إن ابنك رجل
صدق، ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة.
فقال عمرو: إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل يأكل ويطعم. كانت في ابن عمر غفلة، فقال
له: ابن الزبير: افطن وانتبه، فقال: والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً. وقال: يا ابن العاص إن
العرب قد أسندت إليك أمرها بعدما تقارعوا بالسيوف فلا تردنهم في فتنة.
وكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في الكلام، يقول له: أنت صاحب رسو الله صلى
الله عليه وسلم وأسن مني فتكلم. فتعود ذلك أبو موسى، وأراد عمرو بذلك كله أن يقدمه
في خلع علي. فلما أراده عمرو على ابنه وعلى معاوية فأبى، وأراد أبو موسى عمراً على
ابن عمر فأبى عمر، قال له عمرو: خبرني ما رأيك؟ قال: "أرى أن نخلع هذين الرجلين
ونجعل الأمر شورى، فيختار المسلمون لأنفسه ممن أحبوا" .
فقال عمرو: الرأي ما رأيت.
فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون، فقال عمرو: يا أبا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق.
فتكلم أبو موسى فقال: إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة.
فقال عمرو: صدق وبر، تقدم يا أبا موسى. فتقدم أبو موسى، فقال له ابن عباس: "ويحك!
والله إني لأظنه قد خدعك، إن كنتما قد اتفقتما على أمر فتقدمه فليتكلم به قبلك، فإنه
رجل غادر، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضى بينكما، فإذا قمت في الناس خالفك! "
وكان أبو موسى مغفلاً، فقال: إنا قد اتفقنا، فتقدم فقال: "أيها الناس، إنا قد نظرنا في أمر

هذه الأمة، فلم نرى أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه،
وهو أن نخلع علي ومعاوية ويولي الناس أمرهم من أحبوا، وإني خلعت علياً ومعاوية،
فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلاً". ثم تنحى، وأقبل عمر فقام وقال: "إن هذا
قد قال ما سمعتموه، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية،
فإنه ولي عثمان بن عفان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه"، فقال سعد: ما أضعفك يا
أبا موسى عن عمرو ومكايده! وقال أبو موسى: فما أصنع؟ وافقني على أمر ثم نزع عنه!
فقال ابن عباس: لا ذنب لك يا أبا موسى الذنب لمن قدمك في هذا المقام! قال: غدر فما
أصنع؟ قال ابن عمر انظروا إلى ما صار أمر هذه الأمة: إلى رجل لا يبالي ما صنع وآخر
ضعيف. وقال عبد الرحمن ابن أبي بكر: لو مات الأشعري قبل هذا اليوم كان خيراً له.
وقال أبو موسى لعمرو: "لا وفقك الله، غدرت وفجرت، إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل
عليه يلهث أو تتركه يلهث" فقال له عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً. قال:
والتمس أهل الشام أبا موسى فهرب إلى مكة، ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية
فسلموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عباس وشريح إلى علي رضي الله عنه، وكان علي إذا
صلى الغداة يقنت فيقول، اللهم العن معاوية وعمراً وأبا الأعور وحبيباً وعبد الرحمن بن
خالد والضحاك بن قيس والوليد. فبلغ ذلك معاوية، فكان إذا قنت لعن علياً وابن عباس
والحسن والحسين والأشتر. وقيل: إن معاوية حضر الحكمين، وأنه قام عشية في الناس
فقال: أما بعد، من كان متكلماً في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه. قال ابن عمر: فأطلقت
حبوتي وأردت أن أقول: "يتكلم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسلام" فخشيت أن أقول
كلمةً تفرق الجماعة ويسفك بها دمٌ، فكان ما وعد الله في الجنان أحب إلي من ذلك، فلما
انصرفت إلى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال: ما منعك أن تتكلم حين سمعت هذا
الرجل يتكلم؟ قلت: أردت ذلك ثم خشيت. فقال حبيب: وفقت وعصمت. وقد ورد

ذلك في الصحيح.
أخبار الخوارج
الذين خرجوا على عهد علي وما كان من أمرهم
كان أول من خرج على علي رضي الله عنه
حسكة بن عتاب الحبطي، وعمران بن فضيل البرجمي، خرجا في صعاليك من العرب بعد
الفراغ من وقعة الجمل، حتى نزلوا زالق من سجستان، وقد نكبوا أهلها فأصابوا منها مالاً،
ثم أتوا زرنج وقد خافهم مرزبانها فصالحهم ودخلوها، فبعث علي عبد الرحمن ابن جرو
الطائي فقتله حسكة، فكتب علي إلى عبد الله بن عباس يأمره أن يولي سجستان رجلا،
ويسيره إليها في أربعة آلاف، فوجه ربعي بن كأس العنبري، ومعه الحصين بن أبي الحر
العنبري، فلما ورد سجستان قاتلهم حسكة فقتلوه وضبط ربعي البلاد.
قال ابن الأثير وكان فيروز حصين ينسب إلى الحصين ابن أبي الحر هذا، وهو من
سجستان.
خبرهم بعد صفين
قد ذكرنا في وقعة صفين أنه لما رفعت المصاحف، تكلم أولئك القوم مع علي بما ذكرناه،
وأبوا إلا ترك الحرب والرجوع إلى كتاب الله، وموافقة علي رضي الله عنه لهم فيما رأوه،
على كره منه. فلما رجع علي فن صفين بعد كتابة الصحيفة، خالفت عليه الحرورية
وأنكروا تحكيم الرجال، ورجعوا على غير الطريق الذي أقبلوا فيه، أخذوا على طريق البر
وعادوا وهم أعداء متباغضون، يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسياط، يقول
الخوارج: يا أعداء الله أدهنتم في أمر الله! ويقول الآخرون: فارقتم إمامنا وفرقتم جماعتنا!
فلما انتهى علي إلى الكوفة فارقته الخوارج وأتت حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً،
ونادى مناديهم: " إن أمير القتال شبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء
اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر". فلما سمع علي رضي الله عنه وأصحابه ذلك، قامت إليه الشيعة فقالوا له: " في
أعناقنا بيعة ثابتة نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت"ز فقالت الخوارج: " استبقتم

أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان، بايع أهل الشام معاوية على ما أحب وكرهوا،
وبايعتم أنتم علياً أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى" فقال لهم زياد بن النضر: "والله
ما بسط علي يده فبايعناه قط إلا على كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام،
ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت،
ونحن كذلك، وهو على الحق والهدى، ومن خالفه ضال مضل". قال: وبعث عليٌ رضي
الله عنه عبد الله بن العباس إلى الخوارج، وقال له لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى
آتيك. فخرج إليهم، فأقبلوا يكلمونه، فلم يصبر حتى راجعهم، فقال، " ما نقمتم من
الحكمين، وقد قال الله عز وجل: إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما فكيف بأمة محمد
صلى الله عليه وسلم؟ ". فقالت الخوارج: " أما ما جعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم
بالنظر فيه فهو إليهم، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه، حكم في الزاني مائة
جلدة، وفي السارق القطع، فليس للعباد أن ينظروا في هذا ". قال ابن عباس: فإن الله
تعالى يقول يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا: وتجعل الحكم في الصيد والحدث بين المرأة
وزوجها كالحكم في دماء المسلمين؟ وقالوا له: أعدلٌ عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس
يقاتلنا؟ فإن كان عدلاً فلسنا بعدول، وقد حكمتم في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله
حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقد كتبتم بينكم وبينهم كتاباً وجعلتم
بينكم الموادعة، وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت "براءة" إلا من
أقر بالجزية.
وبعث علي رضي الله عنه زياد بن النضر فقال: انظر بأي رؤوسهم هم أشد إطافة.
فأخبره أنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد ابن قيس، فخرج علي رضي الله عنه في
الناس حتى أتى فسطاط يزيد ابن قيس، فدخله، فصلى فيه ركعتين، وأمره على أصبهان
والري، ثم خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس، فقال له: ألم أنهك عن

كلامهم؟ ثم تكلم فقال: اللهم هذا مقام من يفلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة. ثم: قال
لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء قال: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يوم
صفين. قال: "أنشدكم الله، أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف، وقلتم نجيبهم، قلت
لكم: إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين! " وذكر ما كان قال لهم، ثم قال
"وقد اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيى القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن
حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء". قالوا: فخبرنا
أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: "إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن،
وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين، لا ينطق، إنما يتكلم به الرجال" قالوا: فأخبرنا
عن الأجل لم جعلته بينكم؟ قال: "ليعلم الجاهل، ويثبت العالم، ولعل الله عز وجل يصلح في
هذه الهدنة هذه الأمة، ادخلوا مصركم رحمكم الله" . فدخلوا من عند آخرهم.

خبرهم عند توجيه الحكمين

قال: لما أراد علي رضي الله عنه أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج،
وهما زرعة بن برج الطائي وحرقوص ابن زهير السعدي، فقالا له: لا حكم إلا لله تعالى،
فقال علي رضي الله عنه: لا حكم إلا لله تعالى، قال حرقوص: "تب من خطيئتك، وارجع
عن قضيتك، وارجع بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا" . فقال علي: قد أردتكم على
ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها
عهوداً، وقد قال الله تعالى: " وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم" فقال حرقوص: ذلك ذنب ينبغي
أن تتوب منه. فقال علي رضي الله عنه: ما هو ذنب ولكنه عجز من الرأي، وقد نهيتكم،
فقال زرعة: يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله. فقال علي: "بؤساً
لك! ما أشقاك! كأني بك قتيلا تسفي عليك الرياح!" قال: وددت لو كان ذلك، فخرجا
من عنده يحكمان.

وخطب علي رضي الله عنه يوماً، فحكمت المحكمة في جوانب المسجد، فقال علي: "الله

أكبر! كلمة حق أريد بها باطل إن سكتوا غممناهم، وإن تكلموا حججناهم وإن خرجوا
علينا قاتلناهم".
فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال: "الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغني عنه، اللهم إنا
نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا، فإن إعطاء الدنية في الدين إدهان في أمر الله وذل راجع
بأهله إلى سخط الله، يا علي أبالقتل تخوفنا؟ أما إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير
مصفحات، ثم لتعلم أينا أولى بها صلياً" . ثم خرج هو وإخوة له ثلاثة، فأصيبوا مع
الخوارج بالنهروان، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة.
ثم خطب علي رضي الله عنه يوماً آخر، فقام رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم توالى عدة
رجال يحكمون، فقال علي: "الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل، أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما
صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت
أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا، وإنما ننظر فيكم أمر الله" . ثم رجع إلى مكانه
من الخطبة.
اجتماع الخوارج بعد الحكمين
وتوليتهم أمرهم عبد الله بن وهب وخروجهم عن الكوفة، وانضمام خوارج البصرة إليهم،
وما كاتبهم علي به وجوابهم وغير ذلك
قال: ولما كان من أمر الحكمين ما ذكرناه، لقي بعض الخوارج بعضاً واجتمعوا في منزل عبد
الله بن وهب الراسبي، فخطبهم، فزهدهم في الدنيا، وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر، ثم قال اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه
المدائن منكرين لهذه البدع المضلة، فقال حرقوص بن زهير: "إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن
الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تلفتنكم عن طلب الحق
وإنكار الظلم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"
وقال حمزة بن سنان الأسدي:
"يا قوم، إن الرأي ما رأيتم فولوا أمركم رجلا منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد ورايةٍ
تحفون بها، وترجعون إليها" فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى، وعرضوها على

حرقوص فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح ابن أوفى العبسي فأبيا، وعرضوها على عبد
الله بن وهب فقال: "هاتوها، وأما لا آخذها رغبةً في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت"
فبايعوه لعشر خلون من شوال سنة سبع وثلاثين، وكان يقال: له ذو الثفنات.
ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفي العبسي، فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع
فيها لإنفاذ حكم الله فإنكم أهل الحق. قال شريح: "نخرج إلى المدائن، فننزلها، ونأخذ
بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا". فقال
زيد بن حصن: "إنكم إن خرجتم مجتمعين تتبعتم، ولكن اخرجوا واحدنا مستخفين، فأما
المدائن فإن بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى تنزلوا من جسر النهروان، وتكاتبوا
إخوانكم من أهل البصرة". قالوا: هذا الرأي.
وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه، ويحثهم على
اللحاق بهم، وسير الكتاب إليهم، فأجابوا.
قال: ولما غزم من بالكوفة من الخوارج على الخروج، تعبدوا ليلتهم -وكانت ليلة الجمعة-
ويوم الجمعة، وساروا يوم السبت، فخرج شريح بن أوفي العبسي وهو يتلو قول الله تعالى:
"فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين، ولما توجه تلقاء مدين قال عسى
ربي أن يهديني إلى سواء السبيل".
قال: وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي، فأتبعه أبوه ليرده فلم يقدر عليه، فانتهى
إلى المدائن ثم رجع.
وأرسل عدي إلى سعد بن مسعود عامل علي على المدائن يحذره أمرهم، فحذر، وأخذ
أبواب المدائن، وخرج في الخيل، واستخلف بها أخيه المختار بن أبي عبيد، وسار في
طلبهم فأخبر عبد الله ابن وهب خبره، فترك طريقه وسار على بغداد، ولحقهم سعد بن
مسعود بالكرج في خمسمائة فارس عند المساء، فانصرف إليهم عبد الله في ثلاثين فارساً،
فاقتتلوا ساعة وامتنع القوم منهم، وقال أصحاب سعد لسعد. "ما تريد من قتال هؤلاء ولم
يأتك فيهم أمر، خلهم فليذهبوا، واكتب إلى أمير المؤمنين، فإن أمرك باتباعهم فاتبعهم، وإن

كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك" فأبى عليهم، فلما جن عليهم الليل عبر عبد الله بن
وهب دجلة إلى أرض جوخى، وسار إلى النهروان، فوصل إلى أصحابه وقد أيسوا منه.
وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم، فردهم أهلوهم كرهاً، منهم
القعقعاع بن قيس الطائي عم الطرماح ابن حكيم، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن
البكائي.
قال: ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه، وقالوا: نحن
أولياء من واليت وأعداء من عاديت. فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم.
وأما خوارج البصرة
فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل، وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي، فعلم بهم ابن
عباس، فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي، فلحق بهم بالجسر الأكبر، فتواقفوا حتى حجز بينهم
الليل، وأدلج مسعر بأصحابه، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب.
قال: ولما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى الأشعري إلى مكة، ورد علي ابن عباس
رضي الله عنهما إلى البصرة، قام علي بالكوفة خطيباً فقال: "الحمد لله وإن أتى الدهر
بالخطب الفادح والحدثان الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أما بعد،
فإن المعصية تورث الحسرة، وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه
الحكومة أمري، ونحلتكم رأيي، لو كان لقصير أمر، ولكن أبيتم إلا ما أردتم، فكنت أنا وأنتم
كما قال أخو هوازان:
أمرتهمو أمري بمنعرج اللّوى فلم يستبينوا الرّشيد إلا ضحى الغد
ألا إن هذين الرجلين الذين اخترتموهما حكمين، قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما،
وأحييا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدىً من الله، فحكما بغير حجةٍ
بينة ولا سنة ماضية، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما ورسوله
وصالح المؤمنين، استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام، وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله
يوم الإثنين" . ثم نزل.

وكتب إلى الخوارج بالنهروان: "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين
إلى زيد بن حصنٍ وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس، أما بعد فإن الرجلين الذين
ارتضينا حكمين قد خالفا كتاب الله تعالى، واتبعا أهواءهما بغير هدىً من الله، فلم يعملا
بالسنة، ولم ينفذا للقرآن حكماً، فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابي هذا
فأقبلوا إلينا، فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه".
فكتبوا إليه: "أما بعد فإنك لم تغضب لربك، وإنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على
نفسك بالكفر واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء إن
الله لا يحب الخائنين".
فلما قرأ كتابهم أيس منهم، ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس حتى يناجز أهل الشام فقام في
أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد فإنه من ترك الجهاد في الله وداهن في
أمره كان على شفا هلكة، إلا أن يتداركه الله بنعمته، فاتقوا الله تعالى، وقاتلوا من حاد
الله، وحاول أن يطفئ نور الله، وقاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين، الذين ليسوا بقراء القرآن
ولا فقهاء في الدين، ولا علماء بالتأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام، والله لو ولوا
عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل، تيسروا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب،
وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا اجتمعتم أيس أ
شخصنا إن شاء الله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله".
وكتب إلى ابن عباس رضي الله عنه: "أما بعد فإنا خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة، وقد
أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب، فاشخص إلى الناس حتى يأتيك رسولي،
وأقم حتى يأتيك أمري، والسلام عليك".
فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس، وندبهم مع الأحنف بن قيس، فشخص ألف
وخمسمائة، فخطبهم وقال: "يا أهل البصرة، أتاني كتاب أمير المؤمنين، فأمرتكم بالنفير إليه،
فلم يشخص منكم إلا ألف وخمسمائة، وأنتم ستون ألف مقاتل سوى أبنائكم وعبيدكم.

ألا انفروا مع جارية ابن قدامة السعدي، ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلا، فإني موقع بكل
من وجدته متخلفاً عن دعوته، عاصياً لإمامه، فلا يلومن رجل إلا نفسه" .
فخرج جارية واجتمع إليه ألف وسبعمائة، فوافوا علياً وهم ثلاثة آلاف ومائتان.
فجمع علي رضي الله عنه رؤوس أهل الكوفة ورؤوس الأسباع ووجوه الناس، فحمد الله
وأثنى عليه، ثم قال: "يا أهل الكوفة، أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق، وأصحابي
إلى جهاد المخلين، بكم أضرب المدبر، وأرجو تمام طاعة المقبل، وقد استنفرت أهل
البصرة، فأتاني منهم ثلاثة آلاف ومائتان، فليكتب لي رئيس كل قبيلة ما في عشيرته من
المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال، وعبدان عشيرته ومواليهم، ويرفع ذلك إلينا.
فقام إليه سعيد بن قيس الهمداني فقال: يا أمير المؤمنين، سمعاً وطاعة، أنا أول الناس
أجاوب بما طلبت. وقام معقل بن قيس، وعدي بن حاتم، وزياد بن خفصة، وحجر بن
عدي، وأشراف الناس والقبائل، فقالوا مثل ذلك، وكتبوا له ما طلب، وأمروا أبناءهم
وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معهم، فرفعوا له أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفاً من
الأبناء ممن أدرك، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم، فكان جميع أهل الكوفة خمسة
وستين ألفاً، سوى أهل البصرة وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل.
وكتب إلى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بإرسال من عنده من المقاتلة، وبلغ علياً رضي
الله عنه أن الناس يقولون: "لو سار بنا إلى قتال هذه الحرورية فإذا فرغنا منهم توجهنا إلى
قتال المخلين". فقال لهم: "بلغني أنكم قلتم كيت وكيت! وإن غير هؤلاء الخارجين أهم
إلينا، فدعوا ذكرهم، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم، كيما يكونوا جبارين ملوكاً، ويتخذوا عباد
الله خولاً"..
فناداه الناس أن سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت. وقام إليه صيفي بن نشيل
الشيباني فقال: "يا أمير المؤمنين، نحن حزبك وأنصارك، نعادي من عاداك، ونشايع من أناب
إلى طاعتك، فسر بنا إلى عدوك من كانوا وأينما كانوا، فإنك إن شاء الله لن تؤتى من قلة

عدد، ولا ضعف نية أتباع".
وقام إليه محرز بن شهاب التميمي فقال: "يا أمير المؤمنين، إن قلب شيعتك كقلب رجل
واحد في الاجتماع على نصرتك، والجد في جهاد عدوك، فأبشر بالنصر، وسر بنا إلى أي
الفريقين أحببت، فإنا شيعتك الذين نرجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب،
ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوبال" ..
وأجمع على المسير علي إلى الشام، فشغله عن ذلك أمر الخوارج وقتالهم على ما نذكره.
قتال الخوارج
قيل: كان سبب ذلك أن الخوارج من البصرة لما دنوا من النهروان رأوا رجلاً يسوق بامرأةٍ
على حمار، فدعوه وانتهروه فأفزعوه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالوا له: أفزعناك! قال: نعم قالوا لا روع
عليك، حدثنا عن أبيك حديثاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعنا به،
فقال: حدثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: تكون فتنة يموت فيها قلب
الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح كافراً، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً،
قالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً. فقالوا: ما
تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها؟ قال: إنه كان محقاً في أولها وآخرها، قالوا: فما
تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال: أقول إنه أعلم بالله منكم، وأشد توقياً على دينه،
وأنفذ بصيرة. قالوا: إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله
لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه وكتفوه، ثم أقبلوا بامرأته وهي حبلى متم حتى نزلوا
تحت نخل مواقر، فسقطت رطبة، فأخذها أحدهم فتركها في فيه، فقال له آخر: أخذتها
بغير حلها وبغير ثمن. فألقاها ثم مر بهم خنزير لأهل الذمة، فضربه أحدهم بسيفه، فقالوا
له: هذا فساد في الأرض. فلقي صاحب الخنزير فأرضاه. فلما رأى عبد الله بن خباب
ذلك منهم قال: "إن كنتم صادقين فيما أرى فما علي منكم من بأس، إني مسلم ما

أحدثت في الإسلام حدثاً، ولقد أمنتموني، فقلتم: لا روع عليك" فأضجعوه فذبحوه، وأقبلوا
إلى المرأة فقالت: أنا امرأة، ألا تتقون الله. فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا
أم سنان الصيداوية.
فلما بلغ علياً رضي الله عنه ذلك بعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم، وينظر ما
بلغه عنهم، ويكتب به إليه، فلما دنا منهم يسألهم قتلوه. وأتى الخبر إلى علي، فقال له
الناس: "يا أمير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا! سر بنا إلى القوم
فإذا فرغنا منهم سر بنا إلى عدونا من أهل الشام" . فأجمع علي رضي الله عنه على
ذلك، وخرج وسار إليهم. فأرسل إليهم أ، ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم، ثم
أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب، فلعل الله يقبل بقلوبكم، ويردكم إلى خير
مما أنتم عليه من أمركم فقالوا: كلنا قتلهم، وكلنا مستحلٌ لدمائكم ودمائهم. فراسلهم مرة
بعد أخرى.
وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة، فكلمهم ونصحهم، وأشار عليهم بالمراجعة
والدخول فيما خرجوا منه، فأبوا. وخطبهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه وحذرهم
تعجيل الفتنة. وأتاهم علي رضي الله عنه فكلمهم ووعظهم وذكرهم، فتنادوا: "لا
تخاطبوهم ولا تكلموهم، وتهيئوا للقاء الله، الرواح الرواح إلى الجنة".
فعاد علي عنهم.
ثم إن الخوارج قصدوا الجسر، فقال أصحاب علي له: إنهم عبروا النهر، فقال: لن يعبروه،
فأرسلوا طليعة، فعاد. وأخبر أنهم عبروا النهر، وكان بينهم وبينه عطفة من النهر،
فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم فعاد، فقال: قد عبروا النهر. فقال علي رضي الله عنه:
"والله ما عبروه، وإن مصارعهم لدون الجسر، ووالله لا يقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم
عشرة". وتقدم علي إليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه، وكان الناس قد شكوا في قوله
وارتاب به بعضهم، فلما رأوهم لم يعبروا كبروا وأخبروا علياً رضي الله عنه بحالهم، فقال
والله ما كذبت ولا كذبت.

ثم عبأ أصحابه، فجعل على ميمنته حجر بن عدي، وعلى ميسرته شبث بن ربعي أو
معقل بن قيس الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وعلى الرجالة أبو
قتادة الأنصاري رضي الله عنه، وعلى أهل المدينة -وهم سبعمائة أو ثمانمائة. قيس ابن
سعد ابن عبادة رضي الله عنه.
وعبأت الخوارج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصن الطائي، وعلى الميسرة شريح بن أبي
أوفى العبسي، وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي، وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير
السعدي.
وأعطى علي رضي الله عنه أبا أيوب الأنصاري راية أمان، فناداهم أبو أيوب فقال: "من
جاء هذه الراية فهو آمن ممن لم يقتل ولم يتعرض، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى
المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في
سفك دمائكم". فقال فروة بن نوفل الأشجعي: "والله ما أدري على أي شيء نقاتل علياً؟
: أرى أن أنصرف حتى تتضح لي بصيرتي في قتاله، أو أتابعه". فانصرف في خمسمائة
فارس، حتى نزل البندنيجين والدسكرة، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة.
وخرج إلى علي رضي الله عنه نحو مائة،وكان الخوارج في أربعة آلاف؛ فبقي مع عبد الله
بن وهب ألف وثمانمائة، فزحفوا إلى علي رضي الله عنه وكان قد قال لأصحابه: كفوا
عنهم حتى يبدءوكم. فتنادوا. الرواح إلى الجنة. فحملوا على الناس فافترقت خيل علي
فرقتين، فرقة نحو الميمنة، وفرقة نحو الميسرة، فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل، وعطفت
عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فما لبثوا أن
أناموهم، فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى أصحابه أن انزلوا، فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا
حتى حمل عليهم الأسود بن قيس، وجاءتهم الخيل من نحو علي فأهلكوا في ساعة، فكأنما
قيل لهم موتوا فماتوا.
قال: وأخذ علي ما في عسكرهم من شيء، فأما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسمه

بين المسلمين، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنه رده على أهله حين قدم.
وطاف عدي بن حاتم في القتلى على ابنه طرفة، فدفنه ودفن رجال قتلاهم، فقال علي
حين بلغه ذلك تقتلونهم ثم تدفنونهم! ارتحلوا. فارتحل الناس ولم يقتل من أصحاب علي إلا
سبعة؛ منهم يزيد بن نوبرة وله صحبة وسابقة.
وهؤلاء الخوارج هم الذين ورد في أمرهم في الصحيح الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "إن قوماً يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل
مخدج اليد" فالتمسه علي في القتلى فوجده، فنظر في عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة،
وحلمة عليها شعرات سود، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى، ثم تترك فتعود إلى
منكبه. وكان علي رضي الله عنه يحدث الناس بهذا الحديث قبل وقعة الخوارج.
وقيل كانت هذه الوقعة في سنة ثمان وثلاثين.
قال: ولما فرغ علي رضي الله عنه من هذه الوقعة حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله
قد أحسن بكم، وأعز نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم. قالوا: : "يا أمير
المؤمنين، نفدت سهامنا، وكلت سيوفنا، ونصلت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا،
فارجع إلى مصرنا، فلنستعد بأحسن عدتنا ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا فإنه أقوى لنا
على عدونا". وكان الذي تولى كلامه الأشعث بن قيس، فأقبل حتى نزل النخيلة، فأمر
الناس أن يلزموا عسكرهم، ويوطنوا على الجهاد لعدوهم أنفسهم، وأن يقلوا زيارة أبنائهم
ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم. فأقاموا فيه أياماً ثم تسللوا من معسكرهم، فدخلوا
رجالاً من وجوه الناس وترك العسكر خالياً. فلما رأى علي ذلك دخل الكوفة، وانكسر
عليه رأيه في المسير. وخطبهم مرة بعد أخرى، وحثهم على الخروج إلى الشام فلم يتهيأ له
ذلك، وحيث ذكرنا أخبار الخوارج فلنذكر أخبار من خرج بعد أصحاب النهروان. والله
الموفق للصواب.

أخبار من خرج بعد أصحاب النهروان

قال: ولما قتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيباني على علي رضي الله عنه

بالدسكرة في مائتين، ثم سار إلى الأنبار فوجه إليه علي رضي الله عنه الأبرش بن حسان
في ثلثمائة فواقعه، فقتل الأشرس في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين.
ثم خرج هلال بن علقمة من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد، فأتى ما سبذان، فوجه إليه
علي معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين، وكان قتلهم في
جمادى الأولى منها.
ثم خرج الأشهب بن بشر، وقيل الأشعث، وهو من بجيلة في مائة وثمانين رجلاً، فأتى
المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه فصلى عليهم، ودفن من قدر عليه منهم، فوجه
علي إليه جارية بن قدامة السعدي، وقيل حجر بن عدي؛ فاقتتلوا بجرجرايا من أرض
جوخى فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة منها.
ثم خرج سعيد بن قفل التيمي من تيم الله بن ثعلبة في شهر رجب بالبندنيجين ومعه مائتا
رجل، فأتى درزيجان وهي من المدائن على فرسخين، فخرج إليهم مجيعد بن مسعود فقتلهم
في الشهر المذكور.
ثم خرج أبو مريم السعدي التميمي فأتى شهر ذور وأكثر من معه من الموالي.
وقيل: لم يكن معه من العرب غير خمسة نفر، واجتمع معه مائتا رجل، وقيل: أربعمائة.
وجاء حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة، فأرسل علي إليه يدعوه إلى بيعته ودخول
الكوفة، فلم يفعل، وقال: ليس بيننا غير الحرب فبعث إليه شريح بن هانئ في سبعمائة،
فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا وبقي شريح في مائتين، فانحاز إلى قرية فرجع
إليه بعض أصحابه، ودخل الباقون الكوفة، فخرج علي بنفسه، وقدم بين يديه جارية بن
قدامه السعدي، فدعاهم جارية إلى طاعة علي وحذرهم القتل، فلم يجيبوا، ودعاهم علي
أيضاً فأبوا عليه، فقتلهم أصحاب علي ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمنهم فأمنهم.
وكان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى فأمر علي بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برئوا.
وكان قتلهم في شهر رمضان المعظم سنة ثمان وثلاثين.
خلافه مع الخريت بن راشد

التميمي وبني ناجية على علي رضي الله عنه وما كان من أمرهم
قال وفي سنة ثمان وثلاثين أظهر الخريت بن راشد الناجي الخلاف على علي رضي الله
عنه، وكان قد شهد مع علي الجمل وصفين في ثلثمائة من بني ناجية خرجوا إليه من
البصرة، وأقاموا معه بالكوفة إلى هذه السنة، فجاء إلى علي في ثلاثين راكباً، فقال له: "يا
علي والله لا أطيع لك أمراً، ولا أصلي خلفك، وإني غداً مفارقٌ لك". فقال له علي:
"ثكلتك أمك! إذاً تعصي ربك، وتنكث عهدك، ولا تضر إلا نفسك؛ خبرني لم تفعل
ذلك؟ " قال: "إنك حكمت الرجال، وضعفت عن الحق، وركنت إلى القوم الذين ظلموا،
فأنا عليك زار وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مباين". فقال له علي: "هلم أدارسك الكتاب،
وأناظرك في السنن، وأفاتحك أموراً أنا أعلم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت له الآن
منكر". قال: فإني عائدٌ إليك. قال: "لا تستهوينك الشياطين، ولا يستخفنك الجهال، والله
لئن استرشدتني وقبلت مني لأهدينك سبيل الرشاد". فخرج من عنده منصرفاً إلى أهله،
وسار من ليلته هو وأصحابه.
فقال زياد بن خصفة البكري: "يا أمير المؤمنين، إنه لم يعظم علينا فقدهم فنأسى عليهم،
إنهم قلما يزيدون في عددنا لو أقاموا، ولقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا، ولكنا نخاف
أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليه من أهل طاعتك، فأذن لي في اتباعهم حتى
أردهم عليك". فقال: تدري أين توجهوا؟ قال: لا، ولكني أسأل وأتبع الأثر، فقال له: اخرج
يرحمك الله، وأنزل دير أبي موسى، وأقم حتى يأتيك أمري.
فخرج زياد فأتى داره وجمع أصحابه من بكر وائل، وأعلمهم الخبر فسار معه منهم مائة
وثلاثون رجلاً. فقال: حسبي. ثم سار فأتى دير أبي موسى فنزله ينتظر أمر علي.
وأتى علياً كتاب من قرظة بن كعب الأنصاري يخبره أنهم توجهوا نحون نفر، وأنهم قتلوا
رجلاً من الدهاقين، كان قد أسلم، فأرسل عليٌ رضي الله عنه إلى زياد يأمره باتباعهم
ويخبره خبرهم، وأنهم قتلوا رجلاً مسلماً، ويأمره بردهم إليه، فإن أبو يناجزهم. وسير

الكتاب مع عبد الله بن وأل، فاستأذنه في المسير مع زياد، فأذن له، وسار بالكتاب إلى
زياد.
وساروا حتى أتوا نفر، فقيل: إنهم ساروا نحو جرجرايا، فتبعوا آثارهم حتى أدركوهم
بالمذاد وهم نزول، قد أقاموا يومهم وليلتهم واستراحوا، فأتاهم زياد وقد تقطع أصحابه
وتعبوا، فلما رأوهم ركبوا خيولهم، وقال لهم الخريت: أخبروني ما تريدون؟ فقال له زياد-
وكان مجربا رفيقا-: " قد ترى ما بنا من التعب، والذي جئناك له لا يصلحه الكلام، ولكن
ننزل ثم نخلو جميعا، فنتذاكر أمرنا، فإن رأيت ما جئناك به حظا لنفسك قبلته، وإن رأينا
فيما نسمع منك أمرا نرجو فيه العافية لم نرده عليك".قال: فانزل. فنزل زياد ومن معه على
ماء هناك، فأكلوا شيئاً وعلفوا دوابهم، ووقف زياد في خمسة فوارس بين أصحابه وبين
القوم وقال: إن عدتنا كعدتهم، وأرى أمرنا يصير إلى القتال فلا تكونوا أعجز الفريقين. وخرج
زياد إلى الخريت، فسمعهم يقولون: جاءنا القوم وهم كالون يعبون فتركناهم حتى استراحوا،
هذا والله سوء الرأي. فدعاه زياد وقال: ما الذي نقمته على أمير المؤمنين وعلينا حتى
فارقتنا؟" فقال:" لم أرض صاحبكم إماما، ولا سيرتكم سيرة، فرأيت أن أعتزل وأكون مع
من يدعو إلى الشورى". فقال له زياد:" وهل يجتمع الناس على رجل يداني صاحبك الذي
فارقته علما بالله وسنته وكتابه. مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقته في
الإسلام"؟ فقال له:" ذلك ما قال لك". فقال له زياد: ففيم قتلت ذلك الرجل المسلم؟ قال:
ما أنا قتلته إنما قتله طائفة من أصحابي. وقال فادفعهم إلينا. قال: ما إلى ذلك سبيل.
فدعا زياد أصحابه، ودعا الخريت أصحابه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فتطاعنوا بالرماح حتى لم
يبق رمح، وتضاربوا بالسيوف، حتى انحنت، وعقرت عامة خيولهم، وكثرت الجراحة
فيهم، وقتل من أصحاب زياد رجلان، ومن أولئك خمسة، وجاء الليل فحجز بينهم، وقد
كره بعضهم بعضا، وجرح زياد. فسار الخريت من الليل، وسار زياد إلى البصرة.

وأتاهم خبر الخريت أنه أتى الأهوز فنزل بجانب منها، وتلاحق به ناس من أصحابه
فصاروا نحم مائتين، وكتب زياد إلى علي رضي الله عنه بخبرهم، وأنه مقيم يداوي الجرحى
وينتظر أمره. فلما قرأ علي كتابه قام معقل بن قيس فقال:" يا أمير المؤمنين، كان ينبغي أن
يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد عشرة، فإذا لحقوهم استأصلوهم وقطعوا
دابرهم، فأما أن يلقاهم عددهم فلعمري ليصبرن لهم، فإن العدة تصبر للعدة". فقال على
تجهز يا معقل إليهم، وندب معه ألفين من أهل الكوفة منهم يزيد بن معقل الأزدي
وكتب علي إلى ابن عباس يأمره أن يبعث من أهل البصرة رجلاً شجاعاً معروفاً بالصلاح
في ألفي رجل إلى معقل، وهو أمير أصحابه حتى يأتي معقلا، فإذا لقيه كان معقل الأمير،
وكتب زياد بن خصفة يشكره ويأمره بالعود.
قال: واجتمع عل الخريت علوج كثير من أهل الأهوز أرادوا كسر الخراج، ولصوص وطائفة
أخرى من العرب ترى رأيه، وطمع أهل الخراج في كسره، فكسروه، وأخرجوا سهل بن
حنيف من فارس وكان عاملاً لعلي في قول من يزعم أنه لم يمت في سنة سبع وثلاثين. فقال
ابن عباس لعلي: أنا أكفيك فارس بزياد، يعني ابن أبيه، فأمره بإرساله إليها، فأرسله في جمع
كثير، فوطىء بلاد فارس، فأدوا الخراج واستقاموا.
قال: وسار معقل بن قيس، وقدم الأهواز، وأقام ينتظر مدد البصرة، فأبطئوا عليه، فسار
يطلب الخريت، فلم يسر يوما حتى أدركه المدد مع خالد بن معدان الطائي، فساروا جميعاً
فلحقوهم بقرب جبل من جبال رامهرمز، فصف معقل أصحابهن فجعل على ميمنته يزيد
بن المغفل، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي من أهل البصرة. وصف الخريت
أصحابه، فجعل من معه من العرب ميمنة، ومن معه من أهل البلد والعلوج ميسرة ومعهم
الأكراد، فحرك معقل دابته مرتين، ثم حمل في الثالثة فصبروا له ساعة ثم انهزموا، فقتل
أصحاب معقل منهم سبعين من بني ناجية ومن معهم من العرب، وقتلوا نحواً من ثلاثمائة من
العلوج والأكراد. وانهزم الخريت فلحق بأسياف البحر وبها جماعة كبيرة من قومه، فما زال

يسير فيهم ويدعوهم إلى خرف علي، ويخبرهم أن الهدى في حربه، حتى اتبعه منهم ناس
كثير. وأقام معقل بأرض الأهواز، وكتب إلى علي رضي الله عنه بالفتح فقرأ علي الكتاب
على أصحابه واستشارهم، فقالوا كلهم: نرى أن تأمر معقلا يتبع آثار الفاسق حتى يقتله أو
ينفيه، فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس. فكتب إلى معقل يثني عليه وعلى من معه،
ويأمره باتباعه وقتله أو نفيه.
فسأل معقل عنه فأخبر بمكانه بالأسياف، وأنه قد رد قومه عن طاعة علي وأفسد من
عنده من عبد القيس وسائر العرب. وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين وذلك العام،
فسار إليهم معقل وأخذ على فارس فانتهى إلى أسياف البحر، فلما سمع الخريت بمسيره قال
لمن معه من الخوارج: أنا على رأيكم وإن عليا لم ينبغ له أن يحكم. وقال للآخرين من
أصحابه: إن علياً حكم ورضي فخلعه حكمه الذي ارتضاه. وقال سراً للعثمانية: أنا
والله على رأيكم، قد والله قتل عثمان مظلوما. فأرضى كل صنف منهم. وقال لمن منع
الصدقة: شدوا أيديكم على صدقاتكم، وصلوا بها أرحامكم، وكان فيها نصارى كثير قد
أسلموا، فلما اختلف الناس قالوا: والله لديننا الذي خرجنا منه خير من دين هؤلاء الذي
لا ينهاهم دينهم عن سفك الدماء، فقال لهم الخريت، ويلكم، لا ينجيكم من القتل إلا قتال
هؤلاء القوم والصبر، فإن حكمهم فيمن أسلم ثم ارتد أن يقتل ولا يقبلون منه توبة ولا
عذرا. فخدعهم وجمعهم وأتاهم من كان من بني ناجية وغيرهم خلق كثير.
فلما انتهى معقل إليه نصب راية أمان، وقال: " من أتاها من الناس فهو آمن إلا الخريت
وأصحابه الذين حاربونا أول مرة ". فتفرق عن الخريت جل من كان معه من غير قومه.
وعبأ معقل أصحابه وزحف بهم نحو الخريت ومعه أصحابه مسلمهم ونصرانيهم ومانع
الزكاة منهم، وحرض كل واحد منهما أصحابه، ثم حمل معقل ومن معه فقاتلوا قتالاً شديداً
وصبروا، ثم إن العمان بن صهبان الراسبي بصر بالخريت، فحمل عليه فطعنه، فصرع عن

دابته، ثم اختلفا ضربتين، فقتله النعمان، وقتل معه في المعركة سبعون ومائة رجل، وذهب
الباقون يمينا وشمالا،وسبى معقل من أدركه من حريمهم ذراريهم، وأخذ رجالاً كثيراً، فأما
من كان مسلماً فخلاه وأخذ بيعته وترك له عياله، وأما من كان ارتد فعرض عليهم
الإسلام،فرجعوا، فخلى سبيلهم وسبيل عيالهم،إلا شيخاً نصرانياً منهم يقال له الرماحس لم
يسلم فقتله.
وجمع من منع الصدقة،وأخذ منهم صدقة عامين.
واحتمل الأسارى وعيالهم وأقبل بهم، وشيعهم المسلمون، فلما ودعوهم بكى الرجال
والنساء بعضهم إلى بعض حتى رحمهم الناس. ثم مر بهم حتى أقبل على مصقلة بن هبيرة
الشيباني، وهو عامل علي على أردشير خره، وهم خمسمائة إنسان، فبكى النساء
والصبيان وصاح الرجال: "يا أبا الفضل، يا حامي الرجال، ومأوى الرجال، ومأوى العضب
وفكاك العناة، امنن علينا فاشترنا وأعتقنا". فقال مصقلة: أقسم بالله لأتصدقن عليكم إن
الله يجزي المتصدقين. فاشتراهم من معقلٍ بخمسمائة ألف، فقال له معقل: عجل المال إلى
أمير المؤمنين. فقال أنا باعث الآن بعضه ثم أبعث كذلك حتى لا يبقى منه شيء؛ وأقبلي
معقل إلى علي فأخبره بما كان منه فاستحسنه.
وبلغ علياً أن مصقلة أعتق الأسارى ولم يسألهم أن يعينوه بشيء، فقال: ما أظن مصقلة إلا
قد تحمل حمالة سترونه عن قريب منها ملبدا، وكتب إليه بحمل المال أو يحضر عنده،
فحضر عنده، وحمل من المال مائتي ألف.
قال ذهل ابن الحارث: فاستدعاني مصقلة ليلة فطعمنا، ثم قال: إن أمير المؤمنين يسألني
هذا المال ولا أقدر عليه. فقلت: "والله ما كنت لأحملها قومي؛ أما والله لو كان ابن هند
ما طالبني بها، ولو كان ابن عفان لوهبها لي". قال فقلت: إن هذا لا يرى ذلك الرأي، لا
يترك منها شيئاً. فهرب مصقلة من ليلته فلحق بمعاوية.
وبلغ علياً ذلك فقال: ما له أقرحه الله! فعل فعل السيد وفر فرار العبد، وخان خيانة
الفاجر، أما إنه لو أقام فعجز ما زدنا على دينه، فإن وجدنا له شيئاً أخذناه وإلا تركناه". ثم

سار علي إلى داره فهدمها، وأجاز عتق السبي، وقال: أعتقهم مبتاعهم وصارت أثمانهم
وكان أخوه نعم بن هبيرة شيعة لعلي، فكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى
تغلب، اسمه حلوان يقول له: "إن معاوية قد وعدك الإمارة والكرامة، فأقبل ساعة يلقاك
رسولي والسلام عليك فأخذه مالك بن كعب الأرحبي فسرحه إلى علي رضي الله عنه،
فقطع على يده، فمات. وكتب نيم إلى أخيه يلومه على لحاقه بالشام، وما فعله من
هربه..وأتاه التغلبيون فطلبوا منه دية صاحبهم فوداه لهم.
وقال مصقلة:
لعمري لئن عاب أهل العراق   عليّ انتعاش بني ناجيه
لأعظم من عتقهم رقهم   وكفّي بعتقهمو حاليه
وزايدت فيهم لإطلاقهم   وغاليت إن العلا غاليه
وحيث ذكرنا من أخبار على ما قدمناه، فلنذكر ما وقع في مدة خلافته خلاف ذلك على
حكم السنين.
ما اتفق في مدة خلافته
رضي الله عنه
خلاف ما قدمنا ذكره على حكم السنين مما هو متعلق به خاصة، خلاف ما هو مختص
بمعاوية فإنا نذكره في أخباره إن شاء الله تعالى
سنة ست وثلاثين
ذكر ولاية قيس بن سعد مصر
وما كان بينه وبين معاوية من المكاتبة وما أشاعه معاوية عنه حتى عزله علي رضي الله
عنه عن مصر واستعمل محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.
قال: وفي سنة ست وثلاثين في ثالث صفر بعث علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن
عبادة أميراً على مصر، وقال له: "سر إلى مصر قد وليتكها واخرج إلى رحلك، واجمع
إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصبحك حتى تأتيها ومعك جند؛ فإن ذلك أرعب لعدوك
وأعز لوليك، وأحسن إلى المحسن، واشدد على المريب، وارفق بالعامة والخاصة، فإن الرفق
يمن". فقال له قيس: "أما قولك أخرج إليها بجند فوالله لئن لم أدخلها إلا بجند آتيها به من
المدينة لا أدخلها أبداً، فأنا فأنا أدع ذلك الجند لك، فإن كنت احتجت إليهم كانوا قريباً
منك وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عدة".

وخرج قيس حتى دخل مصر في سبعة من أصحابه كما ذكرنا ذلك. ولما قدم صعد المنبر
وجلس عليه، وأمر بكتاب علي رضي الله عنه فقريء على أهل مصر بإمارته عليهم،
ويأمرهم بمتابعته ومساعدته وإعانته على الحق. ثم قام قيس فقال: "الحمد لله الذي جاء
بالحق، وأمات الباطل وكبت الظالمين، أيها الناس: إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا،
فقوموا أيها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله رضي الله عنه، فإن نحن لم نعمل لكم
بذلك فلا بيعة لنا عليكم". فقام الناس فبايعوه.
واستقامت مصر، وبعث عليها عماله إلا قرية يقال لها خربتا فيها ناس قد أعظموا قتل
عثمان، عليهم رجل من بني كنانة ثم من بني مدلج اسمه يزيد بن الحارث. وكان مسلمة بن
مخلد أيضاً قد أظهر الطلب بدم عثمان، فأرسل إليه قيس": ويحك!. أعلي تثب؟ !
فوالله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وأني قتلتك". فبعث إليه مسلمة: إني كاف
عنك ما دمت أنت والي مصر. وبعث قيس إلى أهل خربتا إني لا أكرهكم على البيعة،
وإني أكف عنكم. فهادنم وجبى الخراج، ليس أحد ينازعه.
فكان قيس أثقل خلق الله على معاوية، لقربه من الشام ومخافة أن يقبل علي في أهل
العراق، وقيس في أهل مصر، فيقع بينهما، فكتب معاوية إلى قيس: "سلام عليكم؛ أما
بعد، فإنكم نقمتم على عثمان ضربةً بسوط، أو شتمة لرجل، أو تسيير آخر، أو استعمال
فتى، وقد علمتم أن دمه لا يحل لكم فقد ركبتم عظيماً وجئتم أمراً إداً، فتب إلى الله يا
قيس، فإنك من المجلبي على عثمان، فأما صاحبك، فإذا استيقنا أنه أغرى به الناس،
وحملهم حتى قتلوه، وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك، فإن استطعت يا قيس أن تكون ممن
يطلب بدم عثمان فافعل، وتابعنا على أمرنا، ولك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيت،
ولمن أحببت من أهلك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان، وسلني ما شئت فإني أعطيكه،
واكتب إلي برأيك".
فلما أتاه الكتاب أحب أن يدافعه ولا يبدي له أمره، ولا يتعجل إلى حربه، فكتب إليه: "أما

بعد، فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرته فيه، فأما ما ذكرت من قتل عثمان، فذلك شيء لم
أقارفه، وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى به حتى قتلوه فهذا ما لم أطلع عليه، وذكرت أن
عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فأول الناس كان فيها قياماً عشيرتي، وأما ما عرضته
من متابعتك فهذا أمر لي فيه نظر وفكرة، وليس هذا مما يسرع إليه، وأنا كاف عنك، وليس
يأتيك من قبلي ما تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله تعالى".
فلما قرأ معاوية كتابه رآه مقارباً مباعداً، فكتب إليه: "أما بعد، فقد قرأت كتابك فلم أرك
تدنو فأعدك سلماً، ولا تتباعد فأعدك حرباً، وليس مثلي يصانع المخادع وينخدع للمكايد
ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل، والسلام.
فلما قرأ قيس كتابه ورأى أنه لا تفيد معه المدافعة والمماطلة أظهر له ما في نفسه، فكتب
إليه: "أما بعد، فالعجب من اغترارك بي وطمعك في، واستسقاطك رأيي، أتسومني الخروج
من طاعة أولى الناس بالإمارة، وأقولهم بالحق، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك، طاعة أبعد الناس من هذا
الأمر، وأقولهم بالزور، وأضلهم سبيلا، ولد ضالين مضلين، طاغوت من طواغيت إبليس.
وأما قولك: إني مالئ عليك مصر خيلاً ورجالاً، فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون
أهم إليك إنك لذو وجد، والسلام.
فلما رأى معاوية كتابه أيس منه، وثقل عليه مكانه، ولم تنجح حيله فيه فكاده، من قبل
علي، فقال لأهل الشام: لا تسبوا قيس بن سعد، ولا تدعوا إلى غزوه، فإنه لنا شيعة، تأتينا
كتبه ورسله ونصيحته لنا سراً، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل خربتا،
يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، ويحسن إليهم. وافتعل كتاباً عن قيس بالطلب بدم
عثمان، والدخول معه في ذلك، وقرأه على أهل الشام.
فبلغ ذلك علياً فأعظمه وأكبره، ودعا ابنيه وعبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك، فقال ابن
جعفر: يا أمير المؤمنين، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل قيساً عن مصر. فقال: والله إني
لا أصدق بهذا عنه. فقال عبد الله: اعزله، فإن كان هذا حقا لا يعتزل لك.

فبينما هم كذلك إذ جاء كتاب قيس يخبر بحال المعتزلين وكفه عن قتالهم، فقال ابن جعفر:
ما أخوفني أن يكون ذلك ممالأة منه، فمره بقتالهم، فكتب إليه يأمره بقتالهم، فأجابه: "أما
بعد، فقد عجبت لأمرك! تأمرني بقتال قوم كافين عنك، مفرغيك لعدوك ومتى جاددناهم
ساعدوا عليك عدوك؛ فأطعني يا أمير المؤمنين، واكفف عنهم، فإن الرأي تركهم، والسلام.
فلما قرأ الكتاب قال ابن جعفر: يا أمير المؤمنين؛ ابعث محمد ابن أبي بكر على مصر
واعزل قيساً. فبعث محمداً إلى مصر -وقيل: بعث الأشقر النخعي فمات بالطريق فبعث
محمداً- فقدم محمد على قيس بمصر، فقال له قيس: "ما بال أمير المؤمنين؟ ما غيره؟
أدخل أحد بيني وبينه؟ "قال: لا، وهذا السلطان سلطانك. قال، لا: والله لا أقيم.
وخرج إلى المدينة وهو غضبان، فأخافه مروان بن الحكم فخرج من المدينة هو وسهيل بن
حنيف إلى علي رضي الله عنه فشهدا معه صفين، فبعث معاوية إلى مروان يتغيظ عليه
ويقول له: لو أمددت علياً بمائة ألف مقاتل كان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه
ومكانه.
ولما قدم قيس على علي وأخبره الخبر، علم أنه كان يقاسي أموراً عظاماً من المكايد
وعظم محل قيس عنده وأطاعه في الأمر كله.
وأما محمد ابن أبي بكر فإنه لما قدم مصر قرأ كتاب علي رضي الله عنه إلى أهل مصر
عليهم، ثم قام فقال: "الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق، وبصرنا وإياكم
كثيراً مما كان عمي عنه الجاهلون، ألا إن أمير المؤمنين ولاني أمركم، وعهد إلي ما سمعتم،
وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعةً
لله فاحمدوا الله على ما كان من ذلك، فإنه هو الهادي له، وإن رأيتم عاملاً لي بغير الحق
فارفعوه إلي وعاتبوني فيه، فإني بذلك أسعد وأنتم جديرون، وفقنا الله وإياكم لصالح
الأعمال برحمته". ثم نزل.
فلم يلبث إلا شهراً حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كانوا قد وادعهم قيس بن

سعد، فقال لهم: إما أن تدخلوا في طاعتنا وإما أن تخرجوا عن بلادنا. فأجابوه: إنا لا
نفعل، فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير أمرنا إليه، ولا تعجل بحربنا. فأبى عليهم، فامتنعوا
وأخذوا حذرهم، وكانت وقعة صفين وهم هائبون لمحمد، فلما رجع على معاوية وصار
الأمر إلى التحكيم طمعوا فيه، وأظهروا له المبارزة، فبعث محمد الحارث بن جهمان الجعفي
إلى أهل خربتا فقاتلهم فقتلوه، فبعث إليهم رجلاً من كلب يدعى ابن مضاهم فقتلوه. ثم
كان من خبر محمد بن أبي بكر ما نذكره إن شاء الله تعالى.
وفي هذه السنة قدم أبراز مرزبان مرو إلى علي رضي الله عنه بعد الجمل مقراً بالصلح،
فكتب له كتاباً إلى دهاقين مرو والأساورة ومن بمرو، ثم إنهم كفروا وأغلقوا نيسابور، فبعث
علي خليد بن قرة- وقيل: ابن طريف- اليربوعي إلى خراسان.
وفيها مات حذيفة بن اليمان قبل وقعة الجمل.
وفيها مات سلمان الفارسي في قول بعضهم، وكان عمره مائتين وخمسين سنة هذا أقل ما
قيل فيه، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح عليه الصلاة
والسلام. وفيها استعمل علي رضي الله عنه على الري يزيد بن حجية التيمي تيم اللات
فكسر من خراجها ثلاثين ألفاً، فكتب إليه علي يستدعيه، فحضر فسأله عن المال، وقال:
أين ما غللته من المال؟ فقال: ما أخذت شيئاً، فخفقه بالدرة خفقات وحبسه، فوكل له
سعدا مولاه فهرب منه يريد الشام، فسوغه معاوية المال، فكان ينال من علي، وبقي بالشام
إلى أن اجتمع الأمر لمعاوية، فسار معه إلى العراق فولاه الري. وقيل: إنه شهد مع علي
الجمل وصفين والنهروان، ثم ولاه بعد ذلك الري وهو الصحيح.

سنة سبع وثلاثين

فيها بعث علي رضي الله عنه جعدة بن هبيرة المخزومي إلى خراسان بعد عودته من
صفين، فانتهى إلى نيسابور، وقد كفروا وامتنعوا فرجع إلى علي، فبعث خليد بن قرة
اليربوعي، فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه أهل مرو.

سنة ثمان وثلاثين

في هذه السنة ملك عمرو بن العاص مصر، وقتل محمد بن أبي بكر على ما نذكر ذلك عن
شاء الله تعالى في أخبار معاوية.

خبر عبد الله بن الحضرمي
حين بعثه معاوية إلى الصرة وما كان من أمره إلى أن قتل
وفي هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبي بكر بعث معاوية عبد الله ابن عمرو الحضرمي إلى
البصرة، وقال له: إن جل أهلها يرون رأينا في عثمان، وقد قتلوا في الطلب بدمه، فهم لذلك
حنقون يودون أن يأتيهم من يجمعهم، وينهض بهم في الطلب بثأرهم ودم إمامهم، فانزل في
مصر وتودد للأزد فإنهم كلهم معك، وادع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم، لأنهم
ترابية كلهم وأحذرهم.
فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة، وكان ابن عباس قد خرج إلى علي بالكوفة،
واستخلف زياد ابن أبيه على البصرة، فنزل ابن الحضرمي في بني تميم،فأتاه العثمانية
وحضره غيرهم، فخطبهم وقال: " إن إمامكم إمام الهدى قتل مظلوما، قتله علي فطلبتم
بدمه، فجزاكم الله خيرا ".
فقام الضحاك بن قيس الهلالي وكان عل شرطة ابن عباس فقال: قبح الله ما جئتنا به، وما
تدعونا إليه، وسبه، وذكر فضل علي رضي الله عنه،.
فقال عبد الله بن خازم السلمي للضحاك: اسكت، فلست بأهل أن تتكلم، ثم أقبل على
ابن الحضرمي فقال: نحن أنصارك ويدك، والقول قولك، اقرأ كتابك. فأخرج كتاب معاوية
إليهم يذكرهم فيه آثار عثمان، ويدعوهم إلى الطلب بدمه، ويضمن أنه يعمل فيهم بالسنة،
ويعطيهم عطاءين في كل سنة.
فلما فرغ من قراءته قام الأحنف، فقال: لا ناقتي في هذا ولا جملي. واعتزل القوم.
وقام عمرو بن مرجوم العبدي فقال: أيها الناس، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا تنكثوا
بيعتكم فتقع بكم الواقعة.
وكان العباس بن صحار العيدي مخالفاً لقومه في حب علي، فقام وقال: لننصرنك بأيدينا
وألسنتنا. فقال له المثنى بن مخربة العبدي: والله لئن لم ترجع إلى المكان الذي جئتنا منه
لنجاهدنك بأسيافنا ورماحنا، ولا يغرنك هذا الذي تكلم. يعني ابن صحار.
فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيمان: أنت ناب من أنياب العرب فانصرني. فقال: لو نزلت
في داري لنصرتك.

فلما رأى زياد ذلك خاف، فاستدعى حضين بن المنذر ومالك ابن مسمع، وقال: أنتم يا
معشر بكر بن وائل أنصار أمير المؤمنين وثقاته، وقد كان من ابن الحضرمي ما ترون، وأتاه
من أتاه، فامنعوني حتى يأتي أمر أمير المؤمنين". فقال حضين بن المنذر: نعم. وقال مالك-
وكان يميل إلى بني أمية-. هذا أمر لي فيه شركاء أستشير فيه وأنظر.
فلما رأى زياد تثاقل مالك أرسل إلى صبرة بن شيمان الحداني الأزدي يطلب أن يجيره
وبيت مال المسلمين، فقال: إن حملته إلى داري أجرتكما، فنقله إلى داره بالحدان ونقل
المنبر، فكان يصلي الجمعة بمسجد الحدان.
وكتب زياد إلى علي رضي الله عنه بالخبر، فأرسل إليه أعين ابن ضبييعة المجاشعي ثم
التميمي، ليفرق قومه عن ابن الحضرمي، فإن امتنعوا قاتل بمن أطاعه من عصاه، وكتب إلى
زياد يعلمه ذلك.
فقدم أعين فأتى زيادا فنزل عنده، وجمع رجالاً وأتى قومه، ونهض إلى ابن الحضرمي ومن
معه فدعاهم فشتموه، ووافقهم نهاره، ثم انصرف عنهم، فدخل عليه قوم، قيل: إنهم من
الخوارج، وقيل: وضعهم ابن الحضرمي على قتله، فقتلوه غيلة، فلما قتل أعين أراد زياد
قتالهم، فأرسلت تميم إلى الأزد: إنا لم نتعرض لجاركم فما تريدون إلى جارنا؟ فكرهت
الأزد قتالهم، وقالوا إن عرضوا لجارنا منعناه.
وكتب زياد إلى علي بخبر أعين وقتله، فأرسل علي جارية بن قدامة السعدي وهو من بني
سعد من تميم، وبعث معه خمسين رجلاً من تميم، وقيل: خمسمائة رجل، وكتب إلى زياد
يأمره بمعونته والإشارة عليه.
فقدم جارية البصرة، فحذره زياد ما أصاب أعين، فقام جارية في الأزد وجزاهم خيرا،
وقال: عرفتم الحق إذ جهله غيركم. وقرأ كتاب علي إلى أهل البصرة يوبخهم ويتهددهم
ويعنفهم ويتوعدهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباءً. فقال
صبرة ابن شيمان: سمعاً لأمير المؤمنين وطاعة: نحن حرب لمن حاربه، وسلم لمن سالمه.
وصار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتاب علي رضي الله عنه ووعدهم، فأجابه أكثرهم.

فسار إلى الحضرمي ومعه الأزد ومن تبعه من قومه، وعلى خيل ابن الحضرمي عبد الله
بن حازم السلمي، فاقتتلوا ساعة، وأقبل شريك ابن الأعور فصار مع جارية، فانهزم ابن
الحضرمي فتحصن بقصر سنبيل ومعه ابن حازم، فأتته أمه عجلى وكانت حبشية، فأمرته
بالنزول فأبى، فقالت: والله لتنزلن أو لأنزعن ثيابي، فنزل ونجا، وأحرق جارية القصر بمن
فيه، فهلك ابن الحضرمي وسبعون رجلاً منهم معه، وعاد زياد إلى القصر.
قال وكان قصر سنبيل لفارس وصار لسنبيل السعدي، وحوله خندق. وكان فيمن
احترق دراع بن بدر أخو حارثة بن بدر، فقال عمرو بن العرندس:
رددنا زياداً إلى داره وجار تميمٍ دخاناً ذهب
لحا الله قوماً شووا جارهم ولمْ يدفعوا عنه حرّ اللهب
وقال جرير:
غدرتم بالزّبير فما وفيتم وفاء الأزد إذ منعوا زيادا
فأصبح جارهم بنجاة عزٍّ وجار مجاشعٍ أمسى رمادا
فلو عاقدت حبل أبي سعيدٍ لذاذ القومِ ما حمل النّجادا
وأدنى الخيل من رهج المنايا وأغشاها إلا سنّة والصّعادا
قال: وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس من قبل علي رضي الله عنهم.
سنة تسع وثلاثين
في هذه السنة بث معاوية سراياه في بلاد علي رضي الله عنه،فكان من خبرهم ما نذكره
إن شاء الله تعالى في أخبار معاوية.
وفيها استعمل علي رضي الله عنه زياد بن أبيه على كرمان وفارس فضبطها بعد أن
اضطربت أمورها.
وحج بالناس في هذه السنة عبيد الله بن عباس من قبل علي، وقيل: قثم بن العباس،
وقيل: إن معاوية بعث يزيد بن شجرة الرهاوي ليحج بالناس فاختلف هو وعبيد الله بن
عباس، ثم اتفقا على أن يحج بالناس شيبة بن عثمان فحج. والله أعلم.
وفيها توجه الحارث بن مرة العبدي إلى بلاد السند غازياً متطوعاً بأمر عليٍ رضي الله
عنه فغنم وأصاب سبياً كثيراً، وقسم في يوم واحد ألف رأس وبقي غازياً إلى أن قتل
بأرض القيقان هو ومن معه إلا قليلاً في سنة اثنتين وأربعين.
سنة أربعين

في هذه السنة بعث معاوية بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن، ففعل من الأفعال القبيحة
وسفك من الدماء المحرمة ما نذكره في أخبار معاوية.
وفيها جرت مهادنة بين علي ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع الحرب، ويكون لعلي
العراق ولمعاوية الشام لا يدخل أحدهما بلد الآخر بغارة، واتفقا على ذلك.
وفيها فارق عبد الله بن عباس البصرة ولحق بمكة في قول أكثر أهل التاريخ، وسبب ذلك
أنه مر بأبي الأسود فقال له: "لو كنت من البهائم لكنت جملاً، ولو كنت راعياً لما بلغت
المرعى". فكتب أبو الأسود إلى علي رضي الله عنه: "...إن ابن عمك قد أكل ما تحت
يده بغير علمك، ولم يسعني كتمانك رحمك الله، فانظر فيما هناك واكتب إلي برأيك فيما
أحببت والسلام".
فكتب إليه علي: "أما بعد فمثلك من نصح الإمام والأمة، ووالى على الحق، وقد كتبت
إلى صاحبك فيما كتبت إلي، ولم أعلمه بكتابك فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك مما
النظر فيه للأمة صلاح، فإنك بذلك جدير، وهو حق واجب عليك والسلام.
وكتب إلى ابن عباس في ذلك، فكتب إليه ابن عباس: "أما بعد فإن الذي بلغك باطل،
وإني لما تحت يدي ضابط، وله حافظ، فلا تصدق الظنين والسلام. فكتب إليه علي: أما
بعد، فأعلمني ما أخذت من الجزية، ومن أين أخذت، وفيما وضعت".
فكتب إليه ابن عباس: "أما بعد، فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك أني رزأته من أهل
هذه البلاد، فابعث إلى عملك من أحببت فإني ظاعن عنه والسلام".
استدعى أخواله بني هلال بن عامر، فاجتمعت معه قيس كلها، فحمل مالاً وقال: هذه
أرزاقنا اجتمعت، فتبعه أهل البصرة، فلحقوه بالطف يريدون أخذ المال فقال قيس: والله لا
يوصل إليه وفينا عين تطرف. فقال صبرة بن شيمان الحداني: "يا معشر الأزد إن قيساً
إخواننا وجيراننا وأعواننا على العدو، وإن الذي يصيبكم من هذا المال القليل، وهم لكم
خير من المال". فأطاعوه، فانصرفوا وانصرف معهم بكر وعبد القيس.. وقاتلهم بنو تميم

فنهاهم الأحنف، فلم يسمعوا منه، فاعتزلهم، وقاتلهم بنو تميم فحجز الناس بينهم..
ومضى ابن عباس إلى مكة المشرفة.
وقيل بل أقام بالبصرة إلى أيام الحسن -رضي الله عنه وأرضاه، وشهد صلح الحسن
ومعاوية.
والأول أصح، والذي شهد الصلح عبيد الله بن عباس.
مقتل علي بن أبي طالب
رضي الله عنه وشيء من سيرته
كان مقتله في شهر رمضان سنة أربعين ليلة الجمعة. قيل: لسبع عشر ليلة خلت منه،
وقيل: لإحدى عشرة ليلة. وقيل: في شهر ربيع الآخر. والأول أصح.
وقاتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي ثم التجوبي، وأصله من حمير، ولم يختلفوا في أنه
حليفٌ لمراد، وعداده فيهم.
وكان سبب قتله أن عبد الرحمن هذا، والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي واسمه
الحجاج، وعمرو بن بكر التميمي السعدي وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذاكرو أمر الناس،
وعابوا ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهروان، وقالوا: "ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو شرينا
نفوسنا، وقتلنا أئمة الضلالة، وأرحنا منهم البلاد!". فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً.
وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا
على ذلك، وسموا سيوفهم واتعدوا لسبع عشرة من رمضان، وقصد كل منهم الجهة التي
يريدها.
فأما البرك بن عبد الله فإنه توجه إلى معاوية، فلما خرج للصلاة ضربه بالسيف فوقع في
إليته، وأخذ فقتل. وقيل: لم يقتله وإنما قطع يده ورجله. وبعث معاوية إلى الساعدي، وكان
طبيباً، فقال له: "اختر إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة
تقطع منك الولد". فقال: "أما النار فلا صبر لي عليها، وأما الولد ففي يزيد وعبد الله ما
تقر به عيني. فسقاه شربة فبرئ ولم يولد له بعدها.
وأما عمرو بن بكر -فإنه جلس لعمرو بن العاص في تلك الليلة، فما خرج لشكاية نالته في
بطنه، فأمر خارجة ابن حبيبة -وكان صاحب شرطته- أن يصلي بالناس، فخرج ليصلي،

فشد عليه وهو يرى أنه عمرو بن العاص فقتله. فأتى به إلى عمرو فقال: من هذا؟. قالوا:
عمرو. قال ومن قتلت؟ قالوا: خارجة. قال: أما والله ما ظننته غيرك. فقال: أردتني
وأراد الله خارجة؛ وقتله عمرو. هكذا نقل ابن الأثير في تاريخه الكامل في هذه الواقعة في
القاتل وقال أبو عمر بن عبد البر: إن القاتل اسمه زادويه رجل من بني العنبر بن عمرو بن
تميم، قال وقيل: مولى لبني العنبر. وفي المقتول إنه خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن
عبد الله بن عبيد ابن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي، وأمه فاطمة بن عمرو بن
بجرة العدوية. وقال في ترجمته: كان أحد فرسان قريش، يقال: إنه كان يعدل بألف فارس،
قال: وذكر بعض أهل النسب والأخبار أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر ليمده بثلاثة
آلاف فارس، فأمده بالزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وخارجة بن حذافة هذا، وقال:
إنه لما قتل وأدخل القاتل على عمرو فقال: من هذا الذي تدخلوني عليه؟ فقالوا: عمرو بن
العاص، فقال: ومن قتلته؟ قيل: خارجة، فقال: أردت عمراً وأراد الله خارجة، وقيل: إن
ذلك من كلام عمرو كما تقدم. وفي ذلك يقول عبد الجيد بن عبدون:
وليتها إذ فدت عمراً بخارجةٍ فدت علياً بمن شاءت من البشر
وأما عبد الرحمن بن ملجم -لعنه الله تعالى آمين- فإنه أتى الكوفة واشترى سيفاً بألف،
وسقاه السم حتى لقطه، وكان في خلال ذلك يأتي علياً رضي الله عنه فيسأله فيعطيه،
ويستحمله فيحمله، إلى أن وقعت عينه على قطام بنت علقمة، وهي تيم الرباب، وقيل هي
من بني عجل بن لجيم، وكانت ترى رأي الخوارج، وكان علي قد قتل أباها وإخوتها
بالنهروان، وكانت امرأة رائعة جميلة، فأعجبته وأخذت بمجامع قلبه، فخطبها، فقال: لقد
آليت أن لا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواه. فقال: وما هو؟ فقالت: ثلاثة آلاف درهم
وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب. فقال: "والله لقد قصدت لقتل علي بن أبي طالب
والفتك به، وما أقدمني إلى هذا المصر غير ذلك، ولكني لما رأيتك آثرت تزويجك". فقالت:

ليس إلا الذي قلت. فقال لها: "وما يعنيك أو يعنيني منك قتل علي؟ وأنا أعلم أني إن
قتلته لم أفت". فقالت: "إن قتلته ونجوت فهو الذي أردت، تبلغ شفاء نفسي ويهنيك العيش
معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها". فقال لها: لك ما اشترطت ففي
ذلك يقول ابن ملجم:
ثلاثة آلا وعبدٌ وقيّنةٌ   وضرب عليٍّ بالحسام المصمّم
فلا مهر أغلى من عليٍّ وإن غلا   ولا فتك إلاّ دون فتك ابن ملجم
وقد رويت هذه لغيره، وأوولها:
فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة   كمهر قطام من فصيح وأعجم
وقالت قطام له: إني سألتمس لك من يشد ظهرك. فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان بن
مجالد، فأجابها.
ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي فقال له: يا شبيب هل لك في شرف الدنيا
والآخرة؟ قال: وما هو؟ قال: تساعدني على قتل علي بن أبي طالب، فقال: "ثكلتك
أمك! لقد جئت شيئاً إداً، كيف تقدر على ذلك؟ " قال: "إنه رجل لا حرس له، ويخرج
إلى المسجد منفرداً دون من يحرسه، فنكمن له في المسجد، فإذا خرج إلى الصلاة قتلناه،
فإن نجونا نجونا، وإن قتلنا سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة". فقال: "ويلك! إن
علياً ذو سابقة في الإسلام وفضل، والله ما تنشرح نفسي لقتله". قال: "ويلك! إنه حكم
الرجال في دين الله، وقتل إخواننا الصالحين، فنقتله ببعض ما قتل، فلا تشكن في دينك".
فأجابه، وأقبلا حتى دخلا على قطام، وهي معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها
لنفسها، فدعت لهم.
وأخذوا أسيافهم وجلسوا قبالة السدة التي يخرج منها علي رضي الله عنه، فخرج إلى
صلاة الصبح يوم الجمعة، فبدره شبيب فضربه فأخطأه، ووقع سيفه بعضادة الباب، وضربه
عبد الرحمن بن ملجم على رأٍه، وقال: الحكم لله يا علي لا لك ولأصحابك. فقال علي
رضي الله عنه: فزت ورب الكعبة! لا يفوتنكم الكلب!.
وهرب شبيب خارجاً من باب كندة، فلحقه رجل من حضرموت يقال له: عويمر،

فصرعه، وأخذ سيفه، وجلس على صدره فصاح الناس: عليكم بصاحب السيف،
فخاف عويمر على نفسه فتركه ونجا، فهرب شبيب في غمار الناس.
وهرب وردان إلى منزله، فأتاه رجل من أهله، فأخبره وردان بما كان، فانصرف وجاء
بسيفه وقتل وردان.
وأما ابن فإنه لما ضرب علياً حمل على الناس، فأفرجوا له، فتلقاه المغيرة بن الحكم بن
الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، فرمى عليه قطيفة واحتمله وصرعه وقعد على صدره.
واختلفوا: هل ضربه في الصلاة؟ أو قبل الدخول فيها؟ وهل استخلف من أتم بهم الصلاة
أو هم أتموها؟ قال أبو عمر ابن عبد البر: والأكثر أنه استخلف جعدة بن هبيرة، فصلى بهم
تلك الصلاة.
قال: ثم قال علي رضي الله عنه لأصحابه حين أخذوا ابن ملجم: احبسوه فإن مت
فاقتلوه ولا تمثلوا به، وإن لم أمت فالأمر إلي في العفو أو القصاص.
وقيل: إنه قال لهم: "النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه وإن بقيت رأيت فيه رأيي، يا بني
عبد المطلب لا ألفيتكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن إلا
قاتلي". وأتت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنهما إلى ابن ملجم وهو مكتوف فقالت: "أي
عدو الله، إنه لا بأس على أبي، والله مخزيك". قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد شريته
بألف وسممته بألف، ولو كانت الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد.
قال: ثم أوصى علي رضي الله عنه أولاده بتقوى الله، ولم ينطق إلا بقول "لا إله إلا الله"
حتى مات رضي الله عنه وأرضاه.
روي عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه: من
أشقى الأولين؟ : قال: الذي عقر الناقة. قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال؟ لا أدري. قال:
"الذي يضربك على هذا" يعني يافوخه، "فيخضب هذه" يعني لحيته.
وعن ثعلبة الجماني قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: والذي فلق الحبة
وبرأ النسمة لتخضبن هذه يعني لحيته من دم هذا يعني رأسه.

وروى النسائي من حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أشقى
الناس الذي عقر الناقة والذي يضربك على هذا -ووضع يده على رأسه- حتى تخضب
هذه، يعني لحيته.
وعن ابن سيرين عن عبيدة قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا رأى ابن
ملجم قال:
أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد
وكان علي رضي الله عنه كثيراً ما يقول: ما يمنع أشقاها -أو ما ينتظر أشقاها أن
يخضب هذه من دم هذا -ويشير إلى لحيته ورأسه- خضاب دمٍ لا خضاب عطر ولا
عبير؟.
وروى عمرو بن شبة عن أبي عاصم النبيل وموسى بن إسماعيل عن سكين بن عبد
العزيز العبدي، أنه سمع أباه يقول: جاء عبد الرحمن بن ملجم يستحمل عليا فحمله، ثم قال:
أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد
أما إن هذا قاتلي. قيل: فما يمنعك منه؟ قال: إنه لم يقتلني بعد.
وأتى علي رضي الله عنه فقيل له: ابن ملجم يسم سيفه، ويقول إنه سيفتك بك فتكةً
يتحدث بها العرب. فبعث إليه فقال له: لم تسم سيفك؟ قال لعدوي وعدوك. فخلى
عنه.
وفي كلام علي رضي الله عنه يقول بكر بن حماد:
وهزّ عليٌّ بالعراقين لحيةً مصيبتها حلّت على كلّ مسلم
فقال: سيأتيها من الله حادث ويخضبها أشقى البريّة بالدّم
فباكره بالسيف شلّت يمينه لشؤم قطام عند ذاك ابن ملجم
فيا ضربةً من خاسرٍ ضلّ سعيه تبوّأ منها مقعداً في جهنّم
ففاز أمي المؤمنين بحظّه وإن طرقت فيه الخطوب بمعظم
ألا إنّما الدنيا بلاءٌ وفتنةٌ حلاوتها شيبت بصابٍ وعلقم
وحكي عن عثمان بن المغيرة قال: لما دخل رمضان، كان علي رضي الله عنه يتعشى ليلة
عند الحسن رضي الله عنه، وليلةً عند الحسين، وليلةً عند ابن جعفر رضي الله عنهم، لا
يزيد على ثلاث لقم، ثم يقول رضي الله عنه: يأتيني أمر الله وأنا خميص، وإنما هي ليلة أو
ليلتان، فلم يمض قليل حتى قتل.
وقال الحسن ابن كثير عن أبيه قال: خرج علي رضي الله عنه من الفجر، فأقبل الإوز

يصحن في وجهه، فطردوهن عنه، فقال: ذروهن فإنهن نوائح، فضربه ابن ملجم في ليلته.
وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما يوم قتل علي: خرجت البارحة وأبي يصلي في
مسجد داره، وقال لي: "يا بني إني بت أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر فملكتني
عيناي فنمت، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت
من أمتك من الأود واللدد، فقال لي: ادع عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم
وأبدلهم بي من هو شرٌ مني" فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة فخرج، وخرجت خلفه، فضربه
ابن ملجم فقتله.
وروى أبو عمر ابن عبد البر بسنده إلى عبد الله ابن مالك قال: جمع الأطباء لعلي رضي
الله عنه يوم جرح، وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمر السكوني، وكان يقال له: أثير بن
عمريا، وكان صاحب كسرى يتطبب له، وهو الذي ينسب إليه صحراء أثير، فأخذ أثير
رئة شاة حارة، فتتبع عرقاً منها فاستخرجه فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق
فاستخرجه فإذا عليه بياض دماغ، وإذا لضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فقال: يا أمير
المؤمنين اعهد عهدك فإنك ميت.
وفي ضربة ابن ملجم يقول عمران بن حطان الخارجي يمدح ابن ملجم:
لله درّ المرادي الذي سفكت كفّاه مهجة شرّ الخلق إنسانا
أمسى عشيّة غشّاه بضربته ممّا جناه من الآثام عريانا
يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البريّة عند الله ميزانا
فقال بكر بن حماد التاهرتي معارضاً له:
قل لابن ملجم والأقدار غالبةٌ هدمت ويحك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدمٍ وأوّل الناس إسلاماً وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما سنّ الرسول لنا شرعاً وتبيانا
صهر النبيّ ومولاه وناصره أضحت مناقبه نوراً وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له مكان هارون من موسى بن عمران
وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً ليس إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدرٌ فقلت: سبحان ربّ الناس سبحانا

إنّي لأحسبه ما كان من بشرٍ   يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادٍ إذا عدّت قبائلها   وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت   على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها   قبل المنيّة أزماناً فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمّله   ولا سقى قبل عمران بن حطّانا
لقوله في شقيٍ ظلّ مجترماً   ونال ما ناله ظلماً وعدوانا:
"يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا"
بل ضربةٌ من غويٍّ أوردته لظىً   فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنّه لم يرد قصداً بضربته   إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا
وقالت أم الهيثم بنت العريان النخعية، ومنهم من يرويها لأبي الأسود الدؤلي:
ألا يا عين ويحك أسعدينا   ألا تبكي أمير المؤمنينا
تبكي أمّ كلثومٍ عليه   بعبرتها فقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا   فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا   بخير النّاس ضرّاً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا   وذلّلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها   ومن قرأ المثاني والمبينا
وكلّ مناقب الخيرات فيه   وحبّ رسول ربّ العالمينا
لقد علمت قريشٌ حين كانت   بأنّك خيرهم حسباً ودينا
إذا استقبلت وجه أبي تراب   رأيت البدر فوق الناظرينا
وكنّا قبل مقتله بخيرٍ   ترى مولى رسول الله فينا
يقيم الحقّ لا يرتاب فيه   ويعدل في العدا والأقربينا
وليس بكاتمٍ علماً لدينا   ولم يخلق من المتجبّرينا
كأنّ النّاس إذ فقدوا عليّاً   نعامٌ حار في بلدٍ سنينا
فلا تشمت معاوية بن صخرٍ   فإنّ بقية الخلفاء فينا
قال ولما مات عليٌ رضي الله عنه غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكفن
في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلى عليه ابنه الحسن وكبر سبع تكبيرات.
قال: ولما قبض رضي الله عنه بعث الحسن رضي الله عنه إلى ابن ملجم فأحضره، فقال
للحسن: "هل لك في خصلة؟ إني والله أعطيت الله عهداً أن لا أعاهد عهداً إلا وفيت
به، وإني عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت
خليت بيني وبينه، ولك عهد الله على أني إن لم أقتله أو قتلته ثم بقيت أن آتيك حتى أضع

يدي في يدك". فقال له الحسن: لا والله. ثم قدمه فقتله، فأخذه الناس فأدرجوه في بواري
وحرقوه بالنار.
واختلف في موضع قبر علي رضي الله عنه، فقيل: دفن في قصر الإمارة بالكوفة، وقيل: في
رحبة الكوفة، وقيل: دفن بنجف الحيرة في موضع بطريق الحيرة، وقيل: عند مسجد
الجماعة، وقال الواقدي: دفن ليلاً وأخفي قبره.
وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وقيل: أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام،
وقيل: وثلاثة أيام، وقيل: وأربعة عشر يوماً.
وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، وقيل: خمساً وستين، وقيل: تسعاً وخمسين، والأول أصح.
وأما سيرته رضي الله عنه في خلافته فقد تقدم من فضائله ما قدمناه في صدر هذا
الفصل.
وكان من سيرته رضي الله عنه أنه يسير في الفيء بسيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
في القسم، وإذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئاً إلا قسمه، ولا يترك في بيت المال إلا ما يعجز
عن قسمته في يومه ذلك، ويقول: يا دنيا غري غيري، ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء، ولا
يخص به حميماً ولا قريباً.
وروى أبو عمر بسنده إلى مجمع التميمي أن علياً رضي الله عنه قسم ما في بيت المال بين
المسلمين، ثم أمر به فكنس، ثم صلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة.
وبسنده إلى سفيان بن عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على علي المال من أصبهان،
فقسمه سبعة أسباع، ووجد فيه رغيفاً فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم
أقرع بينهم: أيهم يعطي أولاً.
وعن معاذ بن العلاء عن أبيه عن جده قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: ما أصبت
فيكم إلا هذه القارورة أهداها إلى الدهقان، ثم نزل إلى بيت المال ففرق كل ما فيه، ثم
جعل يقول:
أفلح من كانت له قوسره   يأكل منها كلّ يومٍ تمره
وعن عنترة الشيباني قال: كان علي رضي الله عنه يأخذ الجزية والخراج من أهل كل
صناعة من صناعته وعمل يده، حتى يأخذ من أهل الإبر والمسال والخيوط والحبال، ثم

يقسمه بين الناس، ولا يدع في بيت المال مالاً يبيت فيه حتى يقسمه إلا أن يغلبه شغل،
فيصبح إليه وهو يقول. يادنيا لا تغريني وغري غيري.
وكان رضي الله عنه لا يخصص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات، وإذا بلغه عن
أحدهم خيانةً كتب إليه: "قد جاءكم موعظةٌ من ربكم" "وأوفوا الكيل والميزان بالقسط"
"ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم
مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ" إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى
نبعث إليك من يتسلمه منك. ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول: اللهم إنك تعلم أني لم آمرهم
بظلم خلقك ولا بترك حقك.
ومواعظه رضي الله عنه ووصاياه لعماله إذ كان يخرجهم إلى أعماله كثيرة مشهورة، وقد
قدمنا منها في الباب الرابع من القسم الخامس، من الفن الثاني، من كتابنا هذا ما تقف عليه
هناك، وهو في السفر السادس من هذه النسخة.
قال أبو عمر ابن عبد البر: قد ثبت عن الحسن بن علي رضي الله عنهما من وجوه أنه
قال: لم يترك أبي إلا ثمانمائة درهم أو سبعمائة درهم فضلت من عطائه، كان يعدها بخادمٍ
يشتريها لأهله وأما تقشفه في لباسه ومطعمه، فكان من ذلك على الغاية القصوى.
روي عن عبد الله ابن أبي الهزيل قال: رأيت علياً رضي الله عنه خرج وعليه قميصٌ
غليظ دارس، إذا مد كمه بلغ إلى الظفر، وإذا أرسله صار إلى نصف الساعد.
وعن الحسن بن جرموز عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج من
مسجد الكوفة وعليه قطريتان، مؤتزراً بالواحدة مرتدياً بالأخرى، وإزاره إلى نصف الساق،
وهو يطوف في الأسواق، ومعه درة يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث، وحسن البيع،
والوفاء بالكيل والميزان.
وعن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "علي
مخشوشن في ذات الله تعالى".
أزواج علي
رضي الله عنه وأولاده وكاتبه وقاضيه وحاجبه

أول زوجة تزوجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها، ولدت له
الحسن والحسين رضي الله عنهما، وقد قيل: إنها أزو
ولدت ابناً اسمه محسن توفي صغيراً، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى.
وتزوج بعدها أم البنين ابنة حرام الكلابية، فولدت له العباس وجعفر وعبد الله وعثمان،
قتلوا مع الحسين بالطف.
وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية، فولدت عبيد الله وأبا بكر قتلا مع
الحسين، وقيل: إن عبيد الله قتله المختار ابن أبي عبيد.
وتزوج أسماء بنت عميس الخسعمية، فولدت له محمداً الأصغر ويحيى، وقيل: إن محمداً
لأم ولد، وقيل إنها ولدت عوناً.
وله من الصهباء بنت ربيعة التغلبية -وهي من السبي الذي أغار عليهم خالد بن الوليد
بعين التمر في خلافة أبي بكر- عمر ورقية، فعمر عمر هذا حتى بلغ خمساً وثمانين سنة،
وحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه، ثم مات بينبع.
وتزوج علي رضي الله عنه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وأمها زينب بنت النبي صلى
الله عليه وسلم، فولدت له محمداً الأوسط.
وله محمد الأكبر، وهو ابن الحنفية، أمه خولة بنت جعفر، من بني حنيفة.
وتزوج أم سعيد ابنة عروة بن مسعود فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى.
وكانت له بنات من أمهات شتى، وهن: أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى
وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة،
وكلهن لأمهات أولاد.
وتزوج محياة ابنة امرؤ القيس بن عدي الكلبية، فولدت له جارية هلكت صغيرة.
فجميع أولاد علي رضي الله عنه خمسة عشر ذكراً، وهم الحسن والحسين ومحسن -على
خلافٍ فيه- والعباس وجعفر وعبد الله وعثمان وعبيد الله وأبو بكر ومحمد بن الحنفية
ومحمد الأوسط ومحمد الأصغر ويحيى وعون وعمر، والنسل منهم للحسين والحسن ومحمد
بن الحنفية والعباس بن الكلابية عمر بن التغلبية.
ومن البنات تسع عشرة، وهن: زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ورقية وأم الحسن ورملة

الكبرى وأم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة
وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة وجارية ابنة الكلبية.
وكان كاتبه عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب له سعد
بن نمران الهمداني.
قاضيه شريح بن الحارث.
صاحب شرطته معقل بن قيس الرياحي، وقيل: سليمان بن صرد الخزاعي.
حاجبه قنبر مولاه، وكان قبله بشر مولاه.
نقش خاتمه: "الملك لله الواحد القهار".
وتقدم ذكر عماله.
خلافة الحسن بن علي
بن أبي طالب رضي الله عنهما
هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، وأمه فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم.
وسنذكر إن شاء الله نبذة من فضائله وأخباره عند ذكرنا لوفاته، ونذكر في هذا الموضع ما
يختص بالخلافة دون غيره.
بويع له يوم وفاة أبيه في شهر رمضان سنة أربعين، وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة،
وقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال المحلين. فقال له الحسن:
على كتاب الله وسنة رسوله، فإنهما يأتيان على كل شرط. فبايعه الناس، وكان الحسن
يشرط عليهم: "إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت".
فارتابوا بذلك وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا إلا القتال..
وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لما ضربه ابن ملجم دخل عليه جندب بن عبد
الله فقال: "إن فقدناك -ولا نفقدك- أفنبايع الحسن؟" فقال علي رضي الله عنه: "ما آمركم
ولا أنهاكم، أنتم أبصر". فلما مات بايعه الناس، ولم تطل مدته حتى سلم الأمر لمعاوية ابن
أبي سفيان رضي الله عنه؛ لأسباب نذكرها إن شاء الله تعالى.
تسليم الخلافة لمعاوية
بن أبي سفيان
قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت،

وتجهز لقصد الشام لقتال معاوية فقتل قبل ذلك.
فلما بايع الناس الحسن تجهز بهذا الجيش، وسار من الكوفة في شهر ربيع الأول سنة
إحدى وأربعين، وذلك عندما بلغه مسير معاوية إليه في أهل الشام.
ووصل الحسن إلى المدائن، وجعل قيس بن سعد بن عبادة على مقدمته في اثني عشر ألفاً،
وقيل: بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبيد الله بن عباس، فجعل عبيد الله على
مقدمته في الطلائع قيس بن سعد.
ووصل معاوية مسكن.
فلما نزل الحسن المدائن نادى منادٍ في العسكر: ألا إن قيس ابن سعد قتل فانفروا.
فنفروا. وأتوا سرادق الحسن، وانتهبوا ما فيه، حتى نازعوه بساطاً كان تحته، وأخذوا
رداءه من ظهره، ووثب عليه رجل من الخوارج من بني أسد يقال له ابن أقيصر بخنجر
مسموم فطعنه به في إليته، ووثب الناس على الأسدي فقتلوه.
فازداد لهم بغضاً ومنهم ذعراً، ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان الأمير على المدائن
سعد بن مسعود الثقفي، عم المختار بن أبي عبيد، فقال له المختار وهو شاب: هل لك في
الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: تستوثق من الحسن وتستأمن به إلى معاوية. فقال له
عمه: "عليك لعنة الله! أثب على ابن بنت رسول الله وأوثقه؟ بئس الرجل أنت! "
فلما رأى الحسن رضي الله عنه تفرق الناس عنه كتب إلى معاوية وشرط شروطاً، وقال:
إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع، وعليك أن تفي لي به. وقال لأخيه الحسين وعبد الله
ابن جعفر: إنني قد أرسلت إلى معاوية في الصلح. فقال له الحسين: أنشدك الله أن لا
تصدق أحدوثة معاوية وتكذب أحدوثة أبيك! فقال له الحسن: اسكت أنا أعلم بالأمر
منك.
فلما انتهى كتاب الحسن إلى معاوية أمسكه، وكان قد أرسل عبد الله بن عامر وعبد
الرحمن بن سمرة بن جندب إلى الحسن قبل وصول الكتاب إليه، ومعهما صحيفة، بيضاء
مختوم على أسفلها، وكتب إليه: أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت

فهو لك. فلما أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل
ذلك، وأمسكها عنده.
فلما سلم الحسن رضي الله عنه الأمر لمعاوية، طلب الحسن أن يعطيه الشروط التي
اشترطها في الصحيفة التي ختم عليها معاوية فأبى ذلك، قال: قد أعطيتك ما كتبت
تطلب.
قال: ولما اصطلحا قام الحسن رضي الله عنه في أهل العراق فقال: " يا أهل العراق إنه
سخي بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي"..
قال: وكان الذي طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة
آلاف ألف. وقيل: سبعة آلاف ألف وخراج داره بجرد من فارس وأن لا يشتم علي.
فلم يجبه إلى الكف عن شتم علي، فطلب أن لا يشتم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك، ثم لم
يف له به أيضاً. فأما خراج دار بجرد فإن أهل البصرة منعوه منه وقالوا: هو فيئنا، لا
نعطيه أحداً. وقيل: كان منعهم بأمر معاوية أيضاً.
وقيل: إن معاوية أجرى على الحسن رضي الله عنه بعد ذلك في كل سنة ألف ألف
درهم.
وتسلم معاوية الأمر لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين. وقيل: في شهر
ربيع الآخر. وقيل: في جمادى الأولى في النصف منه.
وقيل: إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية؛ لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه
خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: "إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم،
وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم
في مسيركم إلى صفين ودينكم أما دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد
أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره، وأما الباقي
فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزٌ ولا نصفه، فإذا أردتم
الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، فإن أردتم الحياة قبلناه
وأخذنا لكم الرضا".

فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية، فأمضى الصلح.
فلما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس فقال: "أيها الناس، إنما نحن أمراؤكم
وضيفانكم، ونحن أهل بيت نبيكم عليه الصلاة والسلام الذين أذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا" وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس إلا من بكى حتى سمع نشيجه،
وأرسل إلى معاوية وسلم إليه الأمر.
فكانت خلافة الحسن على قول من يقول "سلم الأمر في ربيع الأول" خمسة أشهر ونصف
شهر، وعلى قول من يقول "في ربيع الآخر" ستة أشهر وأياماً، وعلى قول من يقول "في جمادى
الأولى" سبعة أشهر وأياماً.
وحكى أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله أن الحسن رضي الله عنه لما قتل أبوه بايعه أكثر
من أربعين ألفاً، كلهم قد كانوا بايعوا أباه علياً قبل موته على الموت، ثم خرج لقتال معاوية
وخرج معاوية لقتاله، فلما تراءى الجمعان -وذلك في موضع يقال له مسكن من أرض السواد
بناحية الأنبار- علم أنه لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى، فكتب إلى
معاوية أنه يصير الأمر إليه، على أن يشترط عليه أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة
والحجاز ولا أهل العراق بشيء مما كان في أيام أبيه، فأجابه معاوية وكاد يطير فرحاً إلا أنه
قال: أما عشرة أنفس فلا أؤمنهم، فراجعه الحسن فيهم، فكتب إليه يقول: إني آليت أني
متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده. فراجعه الحسن: أني لا أبايعك أبداً وأنت
تطلب قيساً أو غيره، بتبعةٍ قلت أو كثرت، فبعث إليه معاوية يومئذٍ برق أبيض وقال: اكتب
ما شئت فيه وأنا ألتزمه.
فاصطلحا على ذلك، واشترط عليه الحسن رضي الله عنه: أن يكون له الأمر من بعده،
فالتزم ذلك كله معاوية، فقال له عمرو بن العاص: إنه قد انفل حدهم وانكسرت شوكتهم.
فقال له معاوية: "أما علمت أنه قد بايع علياً أربعون ألفاً على الموت؟ فوالله لا يقتلون حتى
يقتل أعدادهم من أهل الشام، ووالله ما في العيش خيرٌ بعد ذلك". فاصطلحا على ما
ذكرناه.

وكان الحسن رضي الله عنه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ابني هذا
سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"
قال: ولما بايع الحسن معاوية كان أصحاب الحسن يقولون له: يا عار المؤمنين. فيقول: العار
خير من النار.
وروى أبو عمر بسنده إلى أبي الغريف قال: كنا في مقدمه الحسن بن علي رضي الله
عنهما على اثني عشر ألفاً بمسكن مستميتين، تقطر أسيافنا من الجد والحرص على قتال
أهل الشام، وعلينا أبو العمر طه، فلما جاءنا صلح الحسن كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ
والحزن، فلما جاء الحسن رضي الله عنه الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أبا عامر سيفان بن
ليلى، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين. فقال: "لا تقل هذا يا أبا عامر، فإني لم أذل
المؤمنين، ولكني كرهت أن أطلبهم في طلب الملك".
قال أبو عمر: ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلم الخلافة لمعاوية حياتة، لا غير، ثم
تكون له من بعده، وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك الوقت، ورأى الحسن ذلك
خيراً من إراقة الدماء في طلبها، وإن كان عند نفسه أحق بها.
قال: ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس، فأشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن بن
علي فيخطب الناس، فكره ذلك معاوية وقال: لا حاجة لنا بذلك: فقال عمرو: "ولكني أريد
ذلك ليبدو للناس عيه، فإنه لا يدري هذه الأمور ما هي" ولم يزل بمعاوية حتى أمر الحسن
رضي الله عنه أن يخطب، وقال له: يا حسن قم فكلم الناس فيما جرى بيننا. فقام
الحسن رضي الله عنه فتشهد وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال في بديهته: أما بعد أيها الناس
فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دولٌ، وإن الله عز
وجل يقول: "وإن أدري أقريبٌ أم بعيدٌ ما توعدون. إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما
تكتمون وإن أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين".
فلما قالها، قال له معاوية: أجلس. ثم قام معاوية فخطب الناس،ثم قال لعمرو: هذه من
رأيك.
ومن رواية عن الشعبي أن الحسن خطب فقال: "الحمد لله الذي هدا بنا أولكم وحقن بنا

دماء آخركم، ألا إن أكيس الكيس التقى، وأعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي
اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون أحق به مني، وإما أن يكون حقي فتركته لله تعالى
وإصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم".
ثم التفت إلى معاوية فقال: "وإن أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حينٍ".
ثم نزل، فقال معاوية لعمرو: ما أردت إلا هذا. وحقدها معاوية على عمرو.
ولحق الحسن رضي الله عنه بالمدينة، بأهل بيته وحشمه، والناس يبكون عند مسيرهم
من الكوفة.
والحسن رضي الله عنه آخر الخلفاء حقيقة، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"الخلافة ثلاثون ثم تكون ملكاً وملوكاً" فكانت هذه المدة من خلافة أبي بكر رضي الله
عنه وإلى آخر أيام الحسن.
ولم يزل الحسن رضي الله عنه مقيماً بالمدينة إلى أن مات على ما نذكره إن شاء الله في
حوادث سنة تسع وأربعين.
وحيث ذكرنا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وذكرنا أخبار من مات أو استشهد من
العشرة، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء أخبار الخلفاء، فلنصل هذا
الباب بذكر من بقي من العشرة، وهما: سعد بن أبي وقاص وسعيد بت زيد، ليكمل عدة
العشرة في هذا الباب، وإن كانت وفاتهما في غير أيام الخلفاء. سعد بن أبي وقاص ووفاته
هو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك ابن أهيب بن عبد مناف
بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري.
كان رضي الله عنه سابع سبعة في الإسلام، أسلم بعد ستة، وهو ابن تسع عشرة سنة.
وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وأحد الستة
الذين جعل عمر رضي الله عنه الشورى فيهم، وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات وهو عنهم راضٍ.
وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة مشهوراً بذلك، تخاف دعوته وترجى لاشتهار إجابتها،
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه: "اللهم سدد سهمه وأجب دعوته".

وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وذلك في سرية عبيدة بن الحارث، وقد تقدم ذكره
في السيرة النبوية في الغزوات والسرايا.
وجمع رسول الله عليه الصلاة والسلام له بين أبويه في قوله صلى الله عليه وسلم "ارم فداك
أبي وأمي" ولم يقل ذلك إلا له وللزبير بن العوام.
وكان أحد الفرسان الشجعان من قريش، وهو الذي كوف الكوفة ونفى الأعاجم وتولى
قتال الفرس كما تقدم ذكر ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وكان أميراً على الكوفة، فشكاه أهلها ورموه بالباطل، فدعا على الذي واجهه بالكذب
دعوة ظهرت إجابته فيها.
ولما جعله عمر بن الخطاب في أصحاب الشورى قال: إن وليها سعد فذاك وإلا فليستعن
به الوالي فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.
وكلمه ابنه عمر بن سعد أن يدعو لنفسه بعد مقتل عثمان فأبى. وكان رضي الله عنه ممن
لزم بيته وقعد في الفتنة، وأمر أهله أن لا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة
على إمام، فطمع معاوية فيه وفي عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة، فكتب إليهم يدعوهم
إلى عونه على الطلب بدم عثمان، ويقول لهم إنهم لا يكفرون ما أتوه من قتله وخذلانه إلا
بذلك، وقال: إن قاتله وخاذله سواء، في نثر ونظم كتب به إليهم، فأجابه كل واحد منهم يرد
عليه ما جاء به من ذلك، وينكر عليه مقالته، ويعرفه أنه ليس بأهلٍ لما يطلبه، وكان في
جواب سعد:

معاوي داؤك الداء العياء		وليس بما تجيء به دواء
أيدعوني أبو حسن عليٌّ		فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له اعطني سيفاً قصيراً		تماز به العداوة والولاء
فإنّ الشرّ أصغره كبيرٌ		وإنّ الظّهر مثقله الدّماء
أتطمع في الذي أعيا عليّاً		على ما قد طمعت به العفاء!
ليومٌ منه خيرٌ منك حيّا		وميتاً أنت للمرء الفداء
وأما أمر عثمانٍ فدعه		فإنّ الرّأي أذهبه البلاء

وكانت وفاة سعد رضي الله عنه في قصره بالعقيق، على عشرة أميال من المدينة، وحمل
إلى المدينة على رقاب الرجال، ودفن بالبقيع وصلى عليه مروان بن الحكم، واختلف في
وقت وفاته، فقال الواقدي: توفي في سنة خمس وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقال

أبو نعيم مات سنة ثمان وخمسين، وقال الزبير والحسن بن عثمان وعمرو بن علي الغلاس:
توفي في سنة أربع وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين، وذكر أبو زرعة عن أحمد بن حنبل
رضي الله عنه قال: توفي وهو ابن ثلاث وثمانين سنة، وروي عن ابن شهاب أن سعد ابن
أبي وقاص رضي الله عنه: لما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف، فقال كفنوني
فيها فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي علي وإنما كنت أخبؤها لهذا اليوم،
رضي الله عنه وأرضاه.
أخبار سعيد بن زيد
هو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن
قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي ابن غالب القرشي العدوي. وأمه فاطمة بنت
بعجة بن مليح الخزاعية.
وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصهره، كانت تحته فاطمة بنت الخطاب
أخت عمر، وكانت أخته عاتكة بنت يزيد تحت عمر.
وكان سعيد رضي الله عنه من المهاجرين الأولين، قديم الإسلام لم يشهد بدراً، وضرب له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره، وقد قدمنا ذكر ذلك في غزوة بدر، وشهد
ما بعد بدر من المشاهد، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.
وكان أبوه زيد بن عمرو يطلب دين الحنيفية -دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام- قبل أن
يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان لا يذبح للأنصاب، ولا يأكل مما ذبح لها، ولا
يأكل الميتة ولا الدم، وخرج في الجاهلية يطلب الدين هو وورقة بن نوفل، فعرضت عليهم
اليهود دينهم فتهود ورقة، ثم لقيا النصارى فترك ورقة اليهودية وتنصر، وأبى زيد أن يأتي
شيئاً من ذلك، وقال: ما هذا إلا كدين قومنا تشركون ويشركون، ولكنكم عندكم من الله
ذكر ولا ذكر عندهم. فقال له راهب: إنك تطلب ديناً ما هو على الأرض اليوم. قال: وما
هو؟ قال: دين إبراهيم عليه السلام.
قال: وما كان عليه إبراهيم؟ قال: كان يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ويصلي إلى الكعبة.
فكان زيد على ذلك حتى مات.

ومن رواية أخرى قال: خرج ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو يطلبان الدين حتى مرا بالشام،
فأما ورقة فتنصر، وأما زيد فقيل له: إن الذي تطلب أمامك، فانطلق حتى أتى الموصل فإذا
هو براهب فقال: من أين أقبل صاحب الراحلة؟ قال من بيت إبراهيم. قال: ما تطلب؟
قال: الدين. قال: فعرض عليه النصرانية، فقال: لا حاجة لي فيها، وأبى أن يقبل، فقال: إن
الذي تطلب سيظهر بأرضك. فأقبل وهو يقول:
لبيك حقاً حقاً. تعبد ورقا.
وقال: مهما تجشمني فإني جاشم. عذت بما عاذ به إبراهيم.
قال: وأتى سعيد بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن زيداً كان
كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له. قال عليه الصلاة والسلام: "نعم، فإنه يبعث يوم القيامة
أمة وحده" فاستغفر له.
قال أبو عمر: وكان عثمان ابن عفان رضي الله عنه قد أقطع سعيد بن زيد أرضاً بالكوفة
فنزلها وسكنها إلى أن مات، وسكنها من بعده من بنيه الأسود بن سعيد.
وكانت وفاة سعيد في سنة خمسين أو سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة
رضي الله عنه وأرضاه.
الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الخامس
الدولة الأموية
معاوية بن أبي سفيان
أول من ملك من ملوك هذه الدولة معاوية بن أبي سفيان، هو أبو عبد الرحمن معاوية بن
أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب،
يجتمع نسبه ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف بن قصي.
وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.
ولي معاوية دمشق عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، في سنة ثماني عشرة كما ذكرنا
ذلك في خلافة عمر، وأقام بقية أيام عمر وأيام عثمان بن عفان رضي الله عنهما بكمالها إلى
أن قتل.
فلما بويع علي رضي الله عنه امتنع من مبايعته، وكان بينهما من الحروب ما ذكرناه في
خلافة علي.

وسلم عليه بالإمارة بعد اجتماع الحكمين في سنة سبع وثلاثين، وبويع له بعد وفاة علي
رضي الله عنه في ذي الحجة سنة أربعين ببيت المقدس، قاله أبو بشر الدولابي رحمة الله
عليه، ثم بويع له البيعة العامة بالكوفة بعد أن خلص له الأمر وتسلمه من الحسن بن علي
رضي الله عنهما، على ما تقدم، في سنة إحدى وأربعين، في شهر ربيع الأول لخمس بقين
منه وقيل: في ربيع الآخر. وقيل: جمادى الأولى..
ولنبدأ من أخباره بما كان منها في خلافة علي رضي الله عنه، مما لم نذكره هناك ثم نذكر
من أخباره بعد أن خلص له الأمر، فنبدأ هناك بما وقع في أيامه من الغزوات والفتوحات،
ثم نذكر أخبار الخوارج عليه، ثم حوادث السنين خلاف ذلك على نحو ما قدمناه في أخبار
غيره، إن شاء الله تعالى.
قدوم عمرو بن العاص على معاوية وصلحه معه
كان عمرو بن العاص قد فارق المدينة وقدم إلى فلسطين في آخر أيام عثمان، فأقام هناك
حتى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد ذكرنا في خلافة عثمان سبب خروج
عمرو، فلما أتاه الخبر بقتل عثمان قال: "أنا أبو عبد الله، أنا قتلته وأنا بوادي السبع إن يل
هذا الأمر طلحة فهو فتى العرب سيبا، وإن يله ابن أبي طالب فهو اكره من يليه إلي!".
فأتاه الخبر ببيعة علي، فاشتد عليه، فأقام ينتظر ما يصنع الناس، فأتاه خبر مسير عائشة
وطلحة والزبير، فأقام ينتظر ما يصنعون، فأتاه خبر وقعة الجمل، فأرتج عليه.
فسمع أن معاوية امتنع من بيعة علي رضي الله عنه وأنه يعظم شأن عثمان، فدعا ابنيه،
فاستشارهما، وقال: "ما تريان؟ أما علي فلا خير عنده، وهو يدل بسابقته، وهو غير
مشركي في أمره". فقال له ابنه عبد الله: "يا أبت، توفي النبي صلى الله عليه وسلم وأبو
بكر وعمر وهم عنك راضون، فأرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس".
وقال له محمد: "يا أبت، أنت نابٌ من أنياب العرب، ولا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك
فيه صوت".
فقال عمرو: "أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وأما أنت يا محمد

فأمرتني بما خير لي في دنياي وشر لي في آخرتي".
ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية وقيل: إنه ارتحل من فلسطين وهو يبكي كما
تبكي المرأة، ويقول: واعثماناه! أنعى الحياء والدين، حتى قدم دمشق فوجد أهل الشام
يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان. فقال لهم: أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة
المظلوم.
ومعاوية لا يلتفت إليه، فقال له ابناه: ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إليك، انصرف إلى غيره،
فدخل عليه فقال: "والله لعجبٌ لك أني أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عني، إن قاتلنا
معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس ما فيها، حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته،
ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا".
فصالحه معاوية وعطف عليه واقتدى بآرائه، وشهد عمرو معه صفين، وحكمه، وكان من
أمره معه ما تقدم، والله أعلم
مقتل محمد بن أبي حذيفة
وشيء من أخباره
كان أبوه حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتل يوم اليمامة وترك ابنه محمداً هذا،
فكفله عثمان وأحسن تربيته. وكان فيما قيل قد أصاب شرابا فحده عثمان، ثم تنسك
بعد ذلك وأقبل على العبادة.
وطلب من عثمان أن يوليه عملاً فقال له: لو كنت أهلاً لذلك لوليتك، فقال له: إلي قد
رغبت في غزو البحر فأذن لي في إتيان مصر.
فأذن له وجهزه، فلما قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وعظموه.
وغزا مع عبد الله بن سعد غزوة الصواري، وكان محمد يعيب ابن سعد، ويعيب عثمان
بتوليته، ويقول: استعمل رجلاً أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه.
وكتب عبد الله إلى عثمان: إن محمداً قد أفسد علي البلاد هو ومحمد بن أبي بكر.
فكتب عثمان رضي الله عنه إليه: أما ابن أبي بكر فإنه يوهب لأبيه وعائشة، وأما ابن
أبي حذيفة فإنه ابني وابن أخي وتربيتي وهو فرخ قريش.
فكتب إليه: إن هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق إلا أن يطير.
فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة ثلاثين ألف درهم ومحملاً عليه كسوة.

فوضعهما محمد في المسجد وقال: يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني
ويرشوني، عليه.
فازداد أهل مصر تعظيماً له وطعناً على عثمان، وبايعوه على رئاستهم.
فكتب إليه عثمان يذكره بره به وتربيته إياه وقيامه بشأنه، ويقول له: كفرت إحساني أحوج
ما كنت إلى شكرك. فلم يرده ذلك عن ذمه وتأليب الناس عليه، وحثهم إلى المسير إلى
حصره ومساعدة من يريد ذلك.
فلما سار المصريون إلى عثمان أقام هو بمصر، وخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبي
سرح، فاستولى عليها وضبطها ولم يزل مقيماً بها حتى قتل عثمان وبويع علي رضي الله
عنه، واتفق معاوية وعمرو بن العاص على خلاف علي فسار عمرو بن العاص إليه وقتله.
وقد اختلف في قتله، فمن المؤرخين من قال: إن عمرو بن العاص سار إلى مصر هو
ومعاوية قبل مقدم قيس بن سعد إليها، وأراد دخول مصر فلم يقدرا على ذلك، فخدعا
محمداً حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصن بها، فنصبا عليه المنجنيق حتى نزل
في ثلاثين من أصحابه فقتل.
وهذا القول ليس بشيء يعتمد عليه، وهو بعيد جداً، لأن علي بن أبي طالب استعمل
قيس بن سعد على مصر أول ما بويع، ولو كان قتل محمد بن أبي حذيفة قبل وصول قيس
بن سعد إلى مصر لاستولى معاوية على مصر، ولا خلاف أن استيلاء معاوية على مصر
كان بعد صفين، وإنما ذكرنا هذا القول لنبين بطلانه، وقد علله بعض المؤرخين بنحو هذا
التعليل، واستدل على بطلانه.
وقد قيل غير ذلك وهو أن محمد بن أبي حذيفة سير المصريين إلى عثمان، فلما حضروه
أخرج محمد عبد الله بن سعيد بن أبي سرح عن مصر وهو عامل عثمان واستولى عليها،
فنزل عبد الله على تخوم مصر وانتظر أمر عثمان، فطلع عليه راكب، فسأله، فأخبره بقتل
عثمان وببيعة علي رضي الله عنه، فاسترجع، وأخبره بولاية قيس بن سعد على مصر،
وأنه قادم بعده فقال عبد الله: "أبعد الله محمد بن أبي حذيفة! فإنه بغى على ابن عمه

وسعى عليه، وقد كفله ورباه وأحسن إليه، فأساء جواره، وجهز إليه الرجال، حتى قتل،
ثم ولى علي من هو أبعد منه ومن عثمان، ولم يمتعه بسلطان بلاده شهراً ولم يره لذلك
أهلاً".
وخرج عبد الله هارباً حتى قدم على معاوية.
وقيل: إن عمرو بن العاص سار إلى مصر بعد صفين، فلقيه محمد بن أبي حذيفة في جيش
كثير، فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل إليه فاجتمعا، فقال له عمرو: "إنه قد كان ما
ترى، وقد بايعت هذا الرجل -يعني معاوية- وما أنا راض بكثير من أمره، وإني لأعلم أن
صاحبك علياً أفضل من معاوية نفساً وقدماً، وأولى بهذا الأمر، فواعدني موعداً ألتقي
معك فيه في غير جيش، تأتي في مائة وآتي في مثلها، وليس معنا إلا السيوف في القرب".
فتعاهدا وتعاقدا على ذلك واتعدا العريش، ورجع عمرو إلى معاوية فأخبره الخبر، فلما
جاء الأجل سار كل واحد منهما في مائة، وجعل عمرو جيشاً خلفه، فلما التقيا بالعريش،
قدم جيش عمرو على أثره فعلم محمد أنه قد غدر به، فدخل قصراً بالعريش فتحصن به،
وحصره عمرو، ورماه بالمنجنيق حتى أخذ أسيراً، فبعث به إلى معاوية فسجنه، وكانت
ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة محمد عمة أبي حذيفة، أمها فاطمة بنت عتبة، فكانت تصنع له
طعاماً ترسله إليه، فأرسلت إليه يوماً في الطعام مبارد، فبرد بها قيوده، وهرب، فاختفى في
غار، فأخذ وقتل.
وقيل: إنه بقي محبوساً إلى أن قتل حجر بن عدي، ثم هرب فطلبه مالك بن هبيرة
السكوني، فظفر به فقتله غضباً لحجر، وكان مالك قد شفع إلى معاوية في حجر فلم
يشفعه.
وقيل: إن محمد بن أبي حذيفة -لما قتل محمد بن أبي بكر- خرج في جمع كثير على عمرو،
فأمنه عمرو، ثم غدر به، وحمله إلى معاوية، فحبسه، ثم إنه هرب، فأظهر معاوية للناس أنه
كره هربه، وأمر بطلبه فسار في طلبه عبيد الله بن عمر بن ظلام الخثعمي فأدركه بحوران في
غار، وجاءت حمر تدخل الغار، فلما رأت محمداً نفرت منه، وكان هناك ناس يحصدون،

فقالوا: والله إن لنفرة هذه الحمر لشأناً، فذهبوا إلى الغار فرأوه، وخرجوا من عنده، فوافقهم
عبيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم، فقالوا: هو في الغار، فأخرجه، وكره أن يأتي به معاوية
فيخلى سبيله، فضرب عنقه. والله أعلم.

ملك عمرو بن العاص مصر
ومقتل محمد بن أبي بكر ووفاة الأشتر وما يتصل بذلك

قد ذكرنا في أخبار علي رضي الله عنه استعماله محمد بن أبي بكر على مصر، وما كان
بينه وبين أهل خربتا وقتلهم ابن مضاهم، ثم خرج معاوية ابن حديج السكوني، ودعا إلى
الطلب بدم عثمان فأجابه ناس وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر، فبلغ ذلك علياً
فاستدعى الأشتر، وكان قد توجه إلى نصيبين بعد صفين، فحضر إليه فأخبره خبر أهل
مصر، وقال له: "ليس لها غيرك، فاخرج غليها، فإني لو لم أوصيك اكتفيت برأيك، فاستعن
بالله، واخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ، وتشدد حين لا يغني إلا الشدة"
فخرج الأشتر إلى مصر، فبلغ معاوية ذلك، فعظم عليه، وكان قد طمع في مصر، فعلم أن
الأشتر إن قدمها كان عليه أشد من محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، فبعث معاوية إلى
المقدم على أهل الخراج بالقلزم وهو الجابستار وقال له: إن الأشتر قد ولي مصر فإن كفيتنيه
لم آخذ منك خراجاً ما بقيت وبقيت. فخرج الجابستار حتى أتى القلزم وأقام به.
وخرج الأشتر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه
النزول، فنزل عنده، فأتاه بطعام فأكل وأتاه بشربة من عسل قد جعل فيه سماً فسقاه إياه،
فلما شربها وأقبل معاوية يقول لأهل الشام: إن علياً قد وجه الأشتر إلى مصر فادعوا الله
عليه فكانوا يدعون عليه.
وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر، فقام معاوية خطيباً، ثم قال: أما بعد،
فإنه كانت لعلي يمينان، قطعت إحداهما يوم صفين -يعني عمار بن ياسر- وقطعت الأخرى
اليوم -يعني الأشتر- .
فلما بلغ ذلك علياً قال: لليدين وللفم! وكان ثقل عليه لأشياء نقلت عنه، وقيل: إنه لما بلغه

قتله استرجع وقال: "مالك! وما مالك؟ وهو موجود مثل ذلك؟ لو كان من حديدٍ لكان
قيداً، أو من حجر لكان صلداً، على مثله فلتبك البواكي! ".
ثم كتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره على عمله، وأوصاه وقيل: إنه إنما ولي الأشتر
بعد قتل محمد بن أبي بكر.
قال: ولما كان من الحكمين ما كان، وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة، لم يكن لهم همٌ إلا
مصر، وكان يعاب أهلها لقربهم منه ولشدتهم وما كان من رأيهم في عثمان، وكان يرجو أنه
إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي رضي الله عنه لعظم خراجها، فدعا معاوية عمرو بن
العاص، وحبيب بن أبي سلمة، وبسر بن أرطاة، والضحاك بن قيس، وعبد الرحمن بن
خالد، وأبا الأعور والسلمى، وشرحبيل بن السمط الكندي، فقال لهم: أتدرون لم
جمعتكم؟ فإني جمعتكم لأمر مهم.
فقالوا: لم يطلع الله على الغيب أحداً، ولم نعلم ما تريد.
فقال عمرو بن العاص: لتسألنا عن رأينا في مصر، فإن كنت جمعتنا لذلك، فاعزم واصبر،
فنعم الرأي رأيت في افتتاحها، فإن فيه عزك وعز أصحابك، وكبت عدوك، وذل أهل
الشقاق عليك.
فقال معاوية: أهمك يا ابن العاص ما أهمك.
وذلك أن عمراً صالح معاوية على قتال علي رضي الله عنه على أن له مصر طعمة ما
بقي.
وأقبل معاوية على أصحابه وقال: أصاب أبو عبد الله، فما ترون؟ قالوا: ما نرى إلا ما
رأى عمرو.
ثم كتب معاوية إلى مسلمة ابن مخلد ومعاوية بن حديج السكوني -وكانا قد خالفا علياً-
يشكرهما على ذلك، ويحثهما على الطلب بدم عثمان، ويعدهما المواساة في سلطانه.
وبعثه مع مولاه سبيع. فلما وقفا عليه أجاب مسلمة بن مخلد الأنصاري عن نفسه وعن
ابن حديج: "أما بعد، فإن الأمر الذي بذلنا له أنفسنا، واتبعنا أمر الله نرجو به ثواب ربنا،
والنصر على من خالفنا، وتعجيل النقمة على من سعى على إمامنا، وأما ما ذكرت من
المواساة في سلطانك، فبالله إن ذلك أمرٌ ماله نهضنا، ولا إياه أردنا، فعجل علينا بخيلك

ورجالك، فإن عدونا قد أصبحوا لنا هائبين، فإن يأتنا مدد يفتح الله عليك، والسلام.
فجاءه الكتاب وهو بفلسطين، فدعا أولئك النفر وقال لهم: ما ترون؟ قالوا: نرى أن تبعث
جندا.
فأمر عمرو بن العاص ليتجهز إليها، وبعث معه ستة آلاف رجل، وأوصاه بالتؤدة وترك
العجلة.
وسار عمرو حتى نزل أداني أرض مصر، فاجتمعت العثمانية إليه، فأقام بهم، وكتب إلى
محمد بن أبي بكر: "أما بعد، فتنح عني بدمك يا بن أبي بكر، فإني لا أحب أن يصيبك
مني ظفر؛ إن الناس بهذه البلاد قد أجمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج منها، إني
لك من الناصحين" وبعث إليه بكتاب معاوية في المعنى، ويتهدده بقصده حصار عثمان.
فأرسل محمد الكتابين إلى علي رضي الله عنه، ويخبره بنزول عمرو بأرض مصر، وأنه رأى
التثاقل ممن عنده، ويستمده.
فكتب إليه يأمره أ، يضم شيعته إليه، ويعده إنفاذ الجيوش إليه ويأمره بالصبر لعدوه وقتاله.
وقام محمد في الناس فندبهم إلى الخروج إلى عدوهم مع كنانة بن بشر، فانتدب معه ألفان،
وخرج محمد بن أبي بكر بعده في ألفين، وأقبل عمرو نحو كنانة، فلما دنا منه سرح الكتائب
كتيبة بعد كتيبة، فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة إلا حمل عليها، فألحقها بعمرو، فلما رأى ذلك
بعث إلى معاوية بن حديج، فأتاه في مثل الدهم، فأحاطوا بكنانة وأصحابه، واجتمع أهل
الشام عليهم من كل جانب، فنزل كنانة عن فرسه ونزل معه أصحابه، فقالت بسيفه حتى
قتل، وبلغ قتله محمد بن أبي بكر، فتفرق عنه أصحابه، وأقبل عمرو بجمع، ولم يبق مع محمد
أحد.
فخرج محمد يمشي في الطريق، فانتهى إلى خربة فأوى إليها، وسار عمرو بن العاص حتى
دخل الفسطاط، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد بن أبي بكر، فانتهى إلى جماعة
على قارعة الطريق فسألهم عنه، فقال أحدهم: دخلت تلك الخربة فرأيت فيها رجلاً
جالساً، فقال ابن حديج: هو هو. فدخلوا فاستخرجوه وكاد يموت عطشاً، وأقبلوا به نحو

الفسطاط.
ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم إلى عمرو وكان في جنده، وقال:
أيقتل أخي صبراً؟ ابعث إلى ابن حديج فانهه عنه. فبعث إليه يأمره أن يأتيه بمحمد،
فقال: قتلتم كنانة بن بشر وأخلي أنا محمداً "أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر"
هيهات هيهات!
فقال لهم محمد بن أبي بكر رضي الله عنه: اسقوني ماء. فقال ابن حديج: "لا سقاني الله
إن سقيتك قطرة أبداً؛ إنكم منعتم عثمان شرب الماء، والله لأقتلنك حتى يسقيك الله من
الحميم والغساق".
فقال له محمد: "يا ابن اليهودية النساجة، ليس ذلك إليك، لإنما ذلك إلى الله، يسقي
أولياءه، ويظمئ أعداءه، أنت وأمثالك، أما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم مني هذا".
قال له: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار. فقال محمد:
"إن فعلت بي ذلك فطالما فعلتم ذلك بأولياء الله، وإني لأرجو أن يجعلها الله عليك وعلى
أوليائك ومعاوية وعمرو ناراً تلظى، كلما خبت زادها الله سعيراً".
فغضب منه وقتله، ثم ألقاه في جيفة حمار، ثم أحرقه بالنار.
فلما بلغ ذلك عائشة رضي الله عنها جزعت عليه جزعاً شديداً، وقنتت في وتر الصلاة
تدعو على معاوية وعمرو، وأخذت عيال محمد إليها، وامتنعت عائشة بعد ذلك أ، تأكل
شواء حتى ماتت. وقد قيل: إن محمد بن أبي بكر قاتل عمراً ومن معه قتالاً شديداً، فقتل
كنانة وانهزم محمد، فاختبأ عند جبلة بن مسروق، فدل عليه معاوية ابن حديج، فأحاط
به، فخرج إليه محمد فقاتل حتى قتل. وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين.
قال: وأما علي رضي الله عنه، فإنه لما أتاه كتاب محمد ندب الناس إلى الخروج، فتثاقلوا
فخطبهم وحثهم على الخروج ووبخهم على التثاقل، فقام إليه كعب بن مالك الأرحبي فقال:
يا أمير المؤمنين: اندب الناس؛ لهذا اليوم كنت أدخر نفسي، ثم قال: أيها الناس، اتقوا الله
وأجيبوا إمامكم، وانصروا دعوته، وقاتلوا عدوه وأنا أسير إليه، فخرج معه ألفان. فقال له

علي رضي الله عنه: سر فوالله ما أظنك تدركهم حتى ينقضي أمرهم، فسار بهم خمساً.
ثم قدم الحجاج بن غزية من مصر فأخبره بالخبر، وأتاه عبد الرحمن بن شبيب الفرازي من
الشام وكان عينه هناك فأخبره أن البشارة من عمرو وردت بقتل محمد وملك مصر وسرور
أهل الشام بقتله، فقال علي؛ أما إن حزننا عليه بقدر سرورهم به، لا بل يزيد أضعافاً:
وأرسل إلى الجيش فأعادهم.
وقام في الناس خطيباً فقال: "ألا إن مصر قد افتتحتها الفجرة أولو الجور والظلم، الذين
صدوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجاً، ألا وإن محمد بن أبي بكر استشهد، فعند الله
نحتسبه، أما والله إنه كان -ما علمت- لمن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل
الفاجر، ويحب هدي المؤمن، والله لا ألوم نفسي على تقصير، وإني بمقاساة الحرب لجد
خبير، وإني لأقدم على الأمر، وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المصيب،
وأستصرخكم معلنا، وأناديكم نداء المستغيث، فلا تسمعون لي قولا، ولا تطيعون لي أمراً،
حتى تصير الأمور إلى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر، ولا تنقص بكم
الأوتار، ودعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع مخمسين ليلة، فتجرجرتم جرجرة الجمل
الأشدق، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليست له نية في جهاد العدو، ولا اكتساب الأجر،
ثم خرج إلي منكم جنيد متثائب، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، فأف لكم! ". ثم
نزل رضي الله عنه.
سرايا معاوية إلى بلاد علي
بن أبي طالب رضي الله عنه
لما كان من أسر الحكمين ما ذكرنا، وملك معاوية مصر، استشرفت نفسه إلى غير ذلك،
فلما كان في سنة تسع وثلاثين بث سراياه في أطراف بلاد علي رضي الله عنه.
فبعث النعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين التمر وفيها مالك بن كعب مسلحة لعلي في
ألف رجل، وكان مالك قد أذن لأصحابه فأتوا الكوفة، ولم يبق معه إلا مائة رجل، فلما سمع
خبر النعمان كتب إلى علي رضي الله عنه يستمده، فندب الناس إلى الخروج، فتثاقلوا،

وواقع مالك النعمان، وجعل وراء القرية في ظهر أصحابه، وكتب مالك إلى مخنف بن سليم
يستغيثه وهو قريب منه، فوجه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً، فانتهوا إلى مالك
وقد كسروا جفون سيوفهم واستقتلوا، وذلك بعد أن قاتلوا قتالاً شديداً، فلما رآهم أهل
الشام انهزموا بعد العشاء، وظنوا أن لهم مدداً، وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر.
وبعث سفيان بن عوف في ستة آلاف، وأمره أن يأتي هيت فيقطعها، ثم يأتي الأنبار
والمدائن فيوقع بأهلها، فأتى هيت فلم يجد بها أحداً، ثم أتى الأنبار وفيها مسلحة لعلي
تكون خمسمائة رجل، وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلا مائتا رجل، وكان سبب تفرقهم أن
أميرهم كميل بن زياد بلغه أن قوماً بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت، فسار إليهم، فأتى
أصحاب سفيان وكميل غائب، فقاتل سفيان من وجد هناك فصبروا له، ثم قتل صاحبهم
وهو أشرس ابن حسان البكري وثلاثون رجلاً، واحتمل أصحاب سفيان ما في الأنبار من
أموال أهلها ورجعوا إلى معاوية، وبلغ الخبر علياً فأرسل في طلبهم فلم يدركوا.
وبعث عبد الله بن مسعدة بن حكيم بن مالك بن بدر الفزاري في ألف وسبعمائة رجل
إلى تيماء وأمره أن يأخذ صدقة من مر به من أهل البوادي ويقتل من امتنع، ففعل ذلك،
وبلغ مكة والمدينة، واجتمع إليه بشر كثير من قومه.
وبلغ ذلك علياً فأرسل المسيب بن نجبة الفزاري في ألفي رجل، فلحق عبد الله بتيماء
فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى زالت الشمس، وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث
ضربات لا يريد قتله، ويقول له: النجاء النجاء. فدخل ابن مسعدة وجماعة من أصحابه
الحصن وهرب الباقون نحو الشام، وانتهب الأعراب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة
وحصره ثلاثة أيام، ثم ألقى الحطب في الباب وحرقه، فلما رأوا الهلاك أشرفوا عليه وقالوا:
قومك يا مسيب! : فرق لهم وأمر بالنار فأطفئت، وقال لأصحابه: قد جاءني عيون
فأخبروني أن جنداً قد أتوكم من الشام.
وبعث معاوية أيضاً الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف رجل، أمره أن يمر بأسفل واقصة،

ويغير على كل من مر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب، فسار وقتل الناس وأخذ
الأموال، ومضى إلى الثعلبية فأغار على مسلحة علي وانتهى إلى القطقطانة، فلما بلغ ذلك
علياً أرسل حجر بن عدي إليه في أربعة آلاف وأعطاهم خمسين درهماً، فلحق الضحاك
بتدمر فقتل من أصحابه تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحابه رجلان، وحجز بينهما الليل
فهرب الضحاك وأصحابه، ورجع حجر ومن معه.
وسار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم رجع.
وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي إلى مكة لأخذ البيعة له، وإقامة الحج بالناس، ومعه
ثلاثة آلاف، فسار إلى مكة وبها قثم بن العباس من قبل علي، فأراد مفارقتها، واللحاق
ببعض شعابها، فنهاه أبو سعيد الخدري، وكتب قثم إلى علي يستمده، ووصل يزيد إلى
مكة قبل التروية بيومين، فما تعرض للقتال، ونادى في الناس، أنتم آمنون إلا من قاتلنا
ونازعنا. واتفق قثم ويزيد أن يعتزلا الصلاة بالناس، واختارا شيبه بن عثمان، فصلى
بالناس وحج بهم، ولما انقضى الحج رجع يزيد إلى الشام، وأقبلت خيل علي مدداً لقثم،
وفيهم الريان ابن ضمرة الحنفي، وأبو الطفيل، وعليهم معقل بن قيس، فتبعوه فأدركوه وقد
دخل وادي القرى، وظفروا بنفر من أصحابه فأخذوهم أسارى ورجعوا بهم إلى علي،
ففادى بهم أسارى كانت لهم عند معاوية.
وبعث معاوية عبد الرحمن بن قباس بن أشيم إلى بلاد الجزيرة وبها شبيب بن عامر
بنصيبين، فكتب إلى كميل بن زياد وهو بهيت يعلمه خبرهم، فسار كميل إليهم نجدة له في
ستمائة فارس، فأدركوا عبد الرحمن ومعه معن بن يزيد السلمي فقاتلهما كميل فهزمهما،
وغلب على عسكرهما، وأكثر القتل في أهل الشام، وقتل من أصحاب كميل رجلان، وأقبل
شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلاً قد أوقع بالقوم فهنأه بالظفر، واتبع الشاميين فلم
يدركهم، فعبر الفرات وبث خيله فأغار على نواحي الرقة، فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلا
استقاها، ولا خيلاً ولا سلاحاً إلا أخذه، وعاد إلى نصيبين.
وكتب إلى علي رضي الله عنه فكتب إليه ينهاه عن أخذ أموال الناس إلا الخيل والسلاح

الذي يقاتلون به، وقال: رحم الله شبيباً، لقد أبعد الغارة، وعجل الانتصار.
ولما فعل شبيب ذلك وقدم يزيد بن شجرة على معاوية بعث معاوية الحارث بن نمر
التنوخي إلى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة علي، فأخذ من أهل دارا سبعة نفر من بني
تغلب، وكان جماعة من نبي تغلب قد فارقوا علياً إلى معاوية فسألوه في إطلاق أصحابهم
فلم يفعل فاعتزلوه أيضاً، وفادى معاوية بهم من كان أسرهم معقل بن قيس من أصحاب ابن
شجرة.
وبعث معاوية زهير بن مكحول العامري إلى السماوة ليأخذ صدقات الناس، فبلغ ذلك
علياً فبعث ثلاثة نفر، وهم: جعفر بن عبد الله الأشجعي، وعروة بن عشبة والجلاس بن
عمير الكلبيين، ليأخذوا صدقه من في طاعته من كلب وبكر بن وائل، فوافوا زهيراً
فاقتتلوا، فانهزم أصحاب علي رضي الله عنه، وقتل جعفر، ولحق ابن العشبة بعلي فعنفه
وعلاة بالدرة، فغضب ولحق بمعاوية.
وأما ابن الجلاس فإنه مر براع فأخذ جبته وأعطاه جبة خز فأدركته الخيل، فقالوا:أين أخذ
هؤلاء الترابيون؟ فأشار إليهم: أخذوا هاهنا. ثم أقبل إلى الكوفة.
وبعث أيضاً مسلم بن عقبة المري إلى دومه الجندل، وكان أهلها قد امتنعوا من بيعة علي
ومعاوية جميعاً، فدعاهم إلى طاعة معاوية وبيعته، فامتنعوا، وبلغ ذلك علياً، فبعث مالك
بن كعب الهمذاني في جمع إلى دومه الجندل، فلم يشعر مسلم إلا وقد وافاه مالك، فاقتتلوا
يوماً ثم انصرف مسلم منهزماً، وقام مالك أياماً يدعو أهل دومه الجندل إلى بيعة علي، فأبوا
وقالوا: لا نبايع حتى يجتمع الناس على إمام، فانصرف عنهم وتركهم.
مسير بسر إلى الحجاز واليمن
وفي سنة أربعين بعث معاوية بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة -واسم أبي أرطاة عمير، وقيل
عويمر الشامي من بني عامر بن لؤي- إلى الحجاز واليمن في ثلاثة آلاف فارس، فسار من
الشام حتى قدم المدينة، وعامل المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري من قبل على رضي الله

عنهما، ففر أبو أيوب ولحق بعلي، ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد، فصعد منبرها فنادى:
يا دينار، يا نجار، يا زريق وهذه بطون من الأنصار شيخي شيخي، عهدته ههنا بالأمس،
فأين هو؟ ! يعني عثمان. ثم قال: والله لولا ما عهد إلى معاوية ما تركت بها محتلماً إلا
قتلته.
ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية، وأرسل إلى بني سلمة فقال: مالكم عندي أمان ولا
مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله.
فأخبر، فانطلق إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: "ماذا ترين؟ فإني
خشيت أن أقتل، وهذه بيعة ضلالة! " فقالت: "أرى أن تبايع، وقد أمرت ابني عمر بن أبي
سلمة وختني بن زمعة أن يبايعا"، وكانت ابنتها زينب تحت ابن زمعه، فأتى جابر إلى بسر
فبايعه لمعاوية، وهدم بسر دوراً بالمدينة.
ثم انطلق حتى أتى مكة، وفيها أبو موسى الأشعري، فخافه أبو موسى على نفسه أن
يقتله، فهرب، فقيل ذلك لبسر، فقال: ما كنت لأطلبه وقد خلع علياً. ولم يطلبه.
وكتب أبو موسى إلى اليمن: أن خيلاً مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس ممن أبى أن يقر
بالحكومة.
ثم مضى بسر إلى اليمن، وعامل اليمن من قبل علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس،
فلما بلغه أمر بسر فر إلى الكوفة حتى أتى علياً، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد
المدان الحارثي، فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه، ولقي ثقل عبيد الله بن العباس رضي الله عنه
وفيه ابنان صغيران لعبيد الله بن العباس فقتلهما، وهما عبد الرحمن وقثم.
وقيل: إنهما كانا عند رجل من بني كنانة بالبادية، فلما أرادا قتلهما قال له الكناني: "لم تقتل
هذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلهما فاقتلني معهما!"، فقتله، وقتلهما بعده.
وقيل: إن الكناني أخذ سيفه وقاتل على الغلامين وهو يقول: الليث من يمنع حافات الدار.
ولا يزال مصلتاً دون الجار.
فقاتل حتى قتل وأخذ بسر الغلامين فذبحهما، فخرج نسوة من بني كنانة، فقالت امرأة

منهن: "ما هذا؟ قتلت الرجال فعلام تقتل الولدان؟ والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا
إسلام! والله إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الضرع الصغير والشيخ الكبير وبرفع الرحمة وعقوق
الأرحام لسلطان سوء!" فقال لها بسر: والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف. فقالت
له: تالله إنها لأخت التي صنعت وما أنا لها منك بآمنة! ثم قالت للنساء التي حولها:
ويحكن! تفرقن!.
وقتل بسر في مسيره جماعةً من شيعة علي باليمن.
وبلغ علياً الخبر، فأرسل جارية بن قدامة في ألفين، ووهب ابن مسعود في ألفين، فسار
جارية حتى أتى نجران، فقتل بها ناساً من شيعة عثمان، وهرب بسرٌ منه، واتبعه جارية
إلى مكة، فقال: بايعوا أمير المؤمنين. فقالوا: قد هلك فلمن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب
علي فبايعوا خوفاً منه.
ثم سار حتى أتى المدينة، وأبو هريرة يصلي بالناس، فهرب منه، فقال جارية: لو وجدت أبا
سنور لقتلته. ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي، فبايعوا، وأقام يومه، ثم عاد إلى
الكوفة، ورجع أبو هريرة يصلي بهم.
وكانت أم ابني عبيد الله أم الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ، وقيل: عائشة بنت عبد
الله بن عبد المدان، فلما قتل ولداها ولهت عليها، فكانت لا تعقل ولا تصغي، ولا تزال
تنشدهما في المواسم وتقول:

ها ما أحسن بنيّيّ اللذين هما كالدرّتين تشظّى عنهما الصدف
ها من أحسّ بنيّيّ اللذين هما سمعي وعقلي فقلبي اليوم مختطف
ها من أحسّ بنيّيّ اللذين هما مخّ العظام فمخّي اليوم مزدهف
من ذلّ والهة حيرى مدلّهة على صبيّين ذلاّ إذ غدا السّلف
نبّئت بسراً وما صدّقت ما زعموا من قتلهم ومن الإثم الذي اقترفوا
أحني على ودجي إبنيّ مرهفةً مشحوذةً وكذاك الإثم يقترف

قال: فلما سمع علي بقتلهما جزع جزعاً شديداً، ودعا على بسرٍ فقال: اللهم اسلبه دينه
وعقله. فأصابه ذلك، وفقد عقله، فكان يهذي بالسيف فيطلبه، فيؤتى بسيف من

خشب، ويجعل بين يديه زق منفوخ، فلا يزال يضربه، فلم يزل كذلك إلى أن مات.
قال: ولما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه عبيد الله بن عباس وعنده بسر، فقال لبسر:
وددت أن الأرض أنبتتني عندك حين قتلت ولدي. فقال بسر: هاك سيفي. فأهوى عبيد
الله ليتناوله، فأخذه معاوية وقال لبسر: "أخزاك الله شيخاً قد خرفت! والله لو تمكن منه
لبدأ بي!" قال عبيد الله: أجل ثم ثنيت به.
وقيل: إن مسير بسر إلى الحجاز كان في سنة اثنتين وأربعين، وإنه أقام بالمدينة شهراً
يستعرض الناس، لا يقال له عن أحد "إنه شرك في دم عثمان" إنه قتله.
وحكى أبو عمر بن عبد البر عن أبي عمرة الشيباني قوله: لما وجه معاوية بن أبي سفيان
بسر بن أرطاة الفهري لقتل شيعة علي، قام إليه معن أو عمرو بن يزيد بن الأخنس السلمي
وزياد بن الأشهب الجعدي فقالا: "يا أمير المؤمنين نسألك بالله والرحم ألا تجعل لبسرٍ على
قيس سلطاناً، فيقتل قيساً بما قتلت بنو سليم من بني فهر وكنانة يوم دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة".
فقال له معاوية: يا بسر، لا أمر لك على قيس. فسار حتى أتى المدينة فقتل ابني عبيد الله
بن عباس، وفر أهل المدينة ودخلوا الحرة: حرة بني سليم.
هكذا قال السيباني: إنه قتل ابني عبيد الله بالمدينة. والأكثر أنه قتلهما باليمن على ما
ذكرنا.
قال: وفي هذه الخرجة أغار بسرٌ على همدان وقتل وسبى نساءهم، فكن أول مسلماتٍ
سبين في الإسلام. وقتل أحياء من بني سعد.
وروى أبو عمر بسنده عن أبي الرباب وصاحب له أنهما سمعا أبا ذر يدعو ويتعوذ في
صلاة صلاها طال قيامها وركوعها وسجودها، قال: فسألناه: مم تعوذت؟ وفيم دعوت؟
فقال: تعوذت بالله من يوم البلاء أن يدركني ويوم العورة أن أدركه. فقلنا: وما ذاك؟ فقال:
أما يوم البلاء فتلتقي فئتان من المسلمين فيقتل بعضهم بعضاً، وأما يوم العورة فإن نساء من
المسلمات يسبين فيكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقاً اشتريت على عظم ساقها،

فدعوت الله ألا يدركني هذا الزمان ولعلكما تدركانه. قال: فقتل عثمان ثم أرسل معاوية
بسر بن أرطاة إلى اليمن فسبى نساء مسلمات فأقمن في السوق.
هذا ما كان من أخباره في خلافة علي رضي الله عنه مما يدخل فيما نحن بصدده، فلنذكر
الآن ما اتفق له في مدة ولايته بعد أن خلص له الأمر، ونبدأ بالغزوات والفتوحات.
الغزوات والفتوحات
في أيام معاوية بعد أن استقل بالأمر
في سنة اثنتين وأربعين كان غزو الروم، فهزموا، وقتل جماعة كبيرة من بطارقتهم.
وفيها كان غزو اللان.
وفي سنة ثلاث وأربعين غزا بسر بن أرطاة الروم حتى بلغ القسطنطينية، وشتى بأرضهم،
حكاه الواقدي، وأنكره غيره وقال: لم يشت بسر بأرضهم، حكاه الواقدي، وأنكره غيره
وقال: لم يشت بسر بأرض الروم قط، وكان بسر إذ ذاك يلي البصرة من قبل معاوية على ما
نذكره في حوادث السنين.
وفيها استعمل عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سمرة على سجستان، فأتاها، فكان
يغزو البلد وقد كفر أهله فيفتحه، حتى بلغ كابل، فحصرها أشهراً، ونصب عليها مجانيق
فثلمت سورها ثلمة عظيمة، فبات عليها عباد بن الحصين الحبطي ليلة -وكان على
الشرطة- فما زال يطاعن المشركين حتى أصبح، فلم يقدروا على سدها وخرجوا من الغد
يقاتلون فهزمهم المسلمون، ودخلوا البلد عنوة.
وساروا إلى زروان، فهرب أهلها، فغلب عليها، ثم سار إلى خشك، فصالحه أهلها.
ثم أتى الرخج، فقاتلوه، فظفر بهم وفتحها، ثم صار إلى زابلستان -وهي غزنة وأعمالها-
وكانوا قد نكثوا ففتحها. وعاد إلى كابل، وقد نكث أهلها ففتحها.
غزوة السند
قال: وفي سنة ثلاث وأربعين استعمل عبد الله بن عامر -وكان على البصرة وخراسان
وسجستان- عبد الله بن سوار العبدي على ثغر السند -ويقال: بل كان ابن سوار من قبل
معاوية- فغزا القيقان، فأصاب مغنماً، ووفد على معاوية وأهدى له خيلاً، ثم غزا القيقان

مرة ثانية، فاستنجدوا بالترك، فقتلوه وكان كريماً، لم يوقد أحد في عسكره ناراً، فرأى ذات
ليلة في عسكره ناراً، فقال: ما هذه؟ قالوا: امرأة نفساء يعمل لها الخنبيص، فأمر أن يطعم
الناس الخنبيص ثلاثة أيام.
وفي سنة أربع وأربعين دخل المسلمون بلاد الروم مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد،
وشتوا بها... وغزا بسر بن أرطاة في البحر.
وفيها غزا الملهب بن أبي صفرة ثغر السند، وقاتلهم، ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية
عشر فارساً من الترك، فقاتلوه قتالاً شديداً، فقتلوا جميعاً.
وفي سنة ست وأربعين كان مسشتى مالك بن عبد الله بأرض الروم، وقيل: بل كان عبد
الرحمن بن خالد بن الوليد، وقبل: بل كان مالك بن هبيرة السكوني.
وفي سنة سبع وأربعين كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم ومشتى أبي عبد الرحمن
القيني بأنطاكية.
وفيها غزا الحكم بن عمرو بعض جبال الترك، ومعه المهلب بن أبي صفرة فغنموا، وأخذ
الترك عليهم الشعاب والطرق، فعيي الحكم بالأمر فولى المهلب الحرب، فلم يزل المهلب يحتال
حتى أخذ عظيماً من عظماء الترك، فقال له: إما أن تخرجنا من هذا المضيق أو أقتلك،
فقال له التركي: "أوقد النار حيال طريق من هذه الطرق وسير الأثقال نحوه، فإنهم
سيجتمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق، فبادرهم إلى طريق آخر، فما يدركونكم حتى
تخرجوا منه".
ففعل ذلك، فسلم الناس بما معهم من الغنائم.
وفيها أيضاً سار الحكم أيضاً إلى بلاد الغور فغزا من بها وكانوا قد ارتدوا، فأخذهم عنوة
بالسيف، وفتحها، وأصاب منها مغانم كثيرة وسبايا، ولما رجع الحكم من هذه الغزاة مات
بمرو، في قول بعضهم، وكان الحكم قد قطع النهر في ولايته ولم يفتح، وكان أول المسلمين شرب
من النهر مولى للحكم، اغترف بترسه فشرب، وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين،
وكان أول المسلمين فعل ذلك.
وفي سنة ثمان وأربعين كان مشتى عبد الرحمن القيني بأنطاكية وصائفة عبد الله بن قيس

الفزاري، وغزوة مالك بن هبيرة السكوني البحر، وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر في
البحر وبأهل المدينة.
غزوة القسطنطينية
وفي تسع وأربعين - وقيل: في سنة خمسين - بعث معاوية جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم
عليهم سفيان بن عوف وكان في هذا الجيش عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد
الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري، وعبد العزيز بن زرارة الكلابي وغيرهم.
وأمر معاوية ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل واعتل، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس في
غزاتهم جوع ومرض شديد، فقال يزيد:
ما إن أبالي بما لاقت جموعهمو بالغذقذونة من حمى ومن موم
إذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مران عندي أم كلثوم
" وأم كلثوم: امرأته، وهي ابنة عبد الله بن عامر " فبلغ معاوية شعره، فأقسم عليه:
ليلحقن بسفيان في أرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس. فسار ومعه جمع كثير أضافهم
إليه أبوه، فلحق بهم.
وأوغل المسلمون في بلاد الروم، حتى بلغوا القسطنطينية، والتقوا بالروم، واقتتلوا فاشتدت
الحرب بينهم في بعض الأيام فلم يزل عبد العزيز بن زراره يتعرض للشهادة، فلم يقتل، فأنشأ
يقول:
قد عشت في الدهر أطواراً على طرق شتى، فصادفت منها اللين والبشعا
كلا بلوت، فلا النعماء تبطرني ولا تخشعت مز لأوائها جزعا
لا يملأ الأمر صدري قبل موقعه ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا
ثم حمل من يليه، فقتل فيهم، وانغمس بينهم، فشجره الروم برماحهم، حتى قتلوه، رحمه
الله، فبلغ قتله وعاوية، فقال لأبيه: هلك والله فتى العرب! فقال: ابني أو ابنك! قال ابنك
فآجرك الله! فقال:
فإن يكن الموت أودى به وأصبح مخ الكلابي ريرا
فكل فتى شارب كأسه فإما صغيراً وإما كبيرا
قال: ثم رجعوا إلى الشام، وتوفي أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينية، فدفن بالقرب من
سورها، فأهلها يستسقون به.
وفي سنة خمسين غزا بسر بن أرطاة وسفيان بن عوف الأزدي أرض الروم، وغزا فضالة

بن عبيد الأنصاري في البحر.
وفي سنة إحدى وخمسين كان مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم، وغزوة بسر بن أرطاة
الصائفة.
وفي سنة اثنتين وخمسين غزا سفيان بن عوف الأزدي الروم، وشتي بأرضهم، وتوفي بها في
قول، فاستخلف عبد الله بن مسعدة الفزاري، وقيل: إن الذي شتى في هذه السنة بأرض
الروم بسر بن أرطاة ومعه سفيان بن عوف. وغزا الصائفة محمد بن عبد الله الثقفي.
فتح جزيرة أرواد
وفي سنة أربع وخمسين فتح المسلمون يقدمهم جنادة بن أبي أمية جزيرة أرواد بالقرب من
القسطنطينية، وأقاموا بها سبع سنين، فلما مات معاوية وولي ابنه يزيد أمرهم بالعودة
فعادوا.
وفيها استعمل معاوية عبيد الله بن زياد بن أبيه على خراسان، فقطع النهر إلى جبال
بخارى على الإبل، فكان أول من قطع جبال بخارى في جيش، ففتح رامني، ونسف،
وبيكند. وسنذكر ذلك إن شاء الله في حوادث سنة أربع وخمسين.
وفي سنة خمس وخمسين كان مشتى سفيان بن عوف الأزدي بأرض الروم، في قول، وقيل:
بل شتى في هذه السنة عمرو بن محرز، وقيل: عبد الله بن قيس الفزاري، وقيل: بل مالك
بن عبد الله.
وفي سنة ست وخمسين كان مشتى جنادة بن أبي أمية بأرض الروم، وقيل: عبد الرحمن
بن مسعود، وقيل: غزا فيها في البحر يزيد بن شجرة وفي البر عياض بن الحارث.
وفيها قطع سعيد بن عثمان بن عفان النهر إلى سمرقند، فخرج إليه أهل الصغد، فقاتلهم،
وسنذكر ذلك إن شاء الله في حوادث سنة ست وخمسين.
وفي سنة سبع وخمسين كان مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم.
وفي سنة ثمان وخمسين غزا مالك بن عبد الله الخثعمي أرض الروم، وعمرو بن زيد الجهني
في البحر، وقيل: جنادة بن أبي أمية.
وفي سنة تسع وخمسين كان مشتى عمرو بن مرة الجهني بأرض الروم في البر، وغزا في البحر
جنادة بن أبي أمية، وقيل لم يكن في البحر غزاة في هذه السنة.

وفيها غزا المسلمون حصن كمخ ومعهم عمير بن الحباب السلمي فصعد عمير السور، ولم
يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف الروم وصعد المسلمون، ففتحه بعمير.
وفي سنة ستين كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية، ودخول جنادة رودس، وهدمه
مدينتها في قول بعضهم.
فهذه الغزوات والفتوحات التي كانت في أيام معاوية.
فلنذكر أخبار الخوارج عليه وما كان من أمرهم.
أخبار الخوارج
في أيام معاوية وما كان من أمرهم
كان أول من خرج بعد أن استقل معاوية بالأمر فروة بن نوفل الأشجعي، وكان قد اعتزل في
خمسمائة من الخوارج، وسار إلى شهرزور، وترك قتال علي والحسن.
فلما ولي معاوية قال: " جاء الآن مالا شك فيه، سيروا إلى معاوية فجاهدوه " . فسار
بهم حتى نزل النخيلة عند الكوفة.
وكان الحسن بن علي قد سار يريد المدينة، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فروة بن
نوفل، فلحقه رسوله بالقادسية، أو قريباً منها، فلم يرجع، وكتب إلى معاوية يقول: " لو آثرت
أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك، فإني تركته لصلاح الأمة وحقن دمائها " فأرسل
إليهم معاوية جمعاً من أهل الشام، فقاتلوهم، فانهزم أهل الشام.
فقال معاوية لأهل الكوفة: والله لا أمان لكم عندي حتى تكفونيهم! فخرج أهل الكوفة
إليهم، فقاتلوهم، فقالت الخوارج لهم: أليس معاوية عدونا وعدوكم؟ دعونا حتى نقاتله، فإن
أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا. فقالوا: لا بد لنا من
قتالكم، فأخذت أشجع صاحبهم فروة، فوعظوه، فلم يرجع، فأدخلوه الكوفة قهراً.
فاستعمل الخوارج عليهم عبد الله بن أبي الحوساء " رجل من طيئ " فقاتلهم أهل الكوفة،
فقتلوهم في شهر ربيع الأول، أو ربيع الآخر، سنة إحدى وأربعين. وقتل ابن الحوساء،
وكان حين ولي أمر الخوارج قد خوف من السلطان أن يصلبه إذا ظفر بهم، فقال:

ما إن أبالي إذا أرواحنا قبضت ماذا فعلتم بأوصال وأبشار

تجري المجرة والنسران عن قدر   والشمس والقمر الساري بمقدار
وقد علمت وخير القول أنفعه   أن السعيد الذي ينجو من النار
ثم خرج حوثرة بن وداع، وذلك أنه لما قتل ابن أبي الحوساء اجتمع الخوارج فولوا أمرهم
حوثرة بن وداع بن مسعود الأسدي، فقام فيهم، فعاب فروة بن نوفل في شكه في قتال علي
رضي الله عنه، ودعا الخوارج وسار بهم من براز الروز - وكان بها - حتى قدم النخيلة
في مائة وخمسين، وانضم إليهم فل ابن أبي الحوساء، وهم قليل.
فدعا معاوية أبا حوثرة فقال له: اخرج إلى ابنك لعله يرق إذا رآك، فخرج إليه وكلمه
وناشده وقال له: ألا آتيك بابنك لعلك إذا رأيته كرهت فراقه! فقال: أنا إلى طعنة برمح من
يد كافر أتقلب فيه ساعة أشوق مني إلى ابني! فرجع أبوه فأخبر معاوية بمقالته. فسير إليه
عبد الله بن عوف بن أحمر في ألفين، وخرج أبو حوثرة فيمن خرج، فدعا ابنه إلى البراز،
فقال له: يا أبت لك في غيري سعة، فقاتله ابن عوف وقتله مبارزة، وقتل أصحابه إلا
خمسين رجلاً دخلوا الكوفة، وذلك في جمادى الآخرة من السنة.
ورأى ابن عوف بوجه حوثرة أثر السجود، وكان صاحب عبادة فندم على قتله، وقال:
قتلت أخا بني أسد سفاها   لعمر أبي فما لقيت رشدي
قتلت مصلياً محياه ليل   طويل الحزن ذا بر وقصد
قتلت أخا تقى لأنال دنيا   وذاك لشقوتي وعثار جدي
فهب لي توبة يا رب واغفر   لما قارفت من خطأ وعمد
ثم خرج فروة بن نوفل الأشجعي على المغيرة بن شعبة، وذلك بعد مسير معاوية، فوجه
إليه المغيرة خيلاً عليها شبث بن ربعي، وقيل: معقل بن قيس، فلقيه بشهرزور، وقيل
بالسواد.
وخرج شبيب بن بحرة، وكان شبيب مع ابن ملجم حين قتل علياً، كما ذكرنا، فلما دخل
معاوية أتاه شبيب كالمتقرب إليه، فقال: أنا وابن ملجم قتلنا علياً. فوثب معاوية مذعوراً
من مجلسه حتى دخل منزله، وبعث إلى أشجع وقال: لئن رأيت شبيباً أو بلغني أنه ببابي
لأهلكنكم أخرجوه عن بلدكم! .
فكان شبيب إذا جن عليه الليل خرج فلم يلق أحداً إلا قتله. فلما ولي المغيرة خرج عليه

بالطف بقرب الكوفة، فبعث المغيرة خيلاً عليها خالد بن عرفطة، وقيل: معقل بن قيس،
فاقتتلوا، فقتل شبيب وأصحابه.
وبلغ المغيرة أن معين بن عبد الله - وهو رجل من محارب - يريد الخروج، فأخذه وحبسه
وبعث إلى معاوية يخبره، فكتب إليه: إن شهد أني خليفة فخل سبيله، فأحضره المغيرة،
فأبى أن يشهد بخلافة معاوية، فقتله.
ثم خرج أبو مريم مولى بني الحارث بن كعب، ومعه امرأتان: قطام وكحيلة، وكان أول من
أخرج معه النساء، فعاب عليه ذلك أبو بلال بن أدية، فقال: قد قاتل النساء مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين بالشام، وسأردهما فردهما. فوجه إليه المغيرة جابراً
البجلي، فقاتله أبو مريم وأصحابه ببادوريا.
وخرج أبو ليلى - وكان أسود طويلاً - ومعه ثلاثون من الموالي فبعث إليه المغيرة معقل بن
قيس الرياحي، فقتله بسواد الكوفة في سنة اثنتين وأربعين.
وخرج سهم بن غالب الهجيمي في سنة إحدى وأربعين بالبصرة على عبد الله بن عامر،
في سبعين رجلاً، منهم الخطيم الباهلي واسمه زياد بن مالك، وإنما قيل له " الخطيم " لضربة
ضربها على وجهه. فنزلوا بين الجسرين والبصرة، فمر بهم عبادة بن قرص الليثي، وقد
انصرف من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه، فقال لهم الخوارج: من أنتم؟ قالوا: قوم مسلمون،
قالوا: كذبتم. قال عبادة: سبحان الله! اقبلوا منا ما قبل النبي صلى الله عليه وسلم مني،
قالوا: أنت كافر، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه، فخرج إليهم ابن عامر فقاتلهم، فقتل منهم
عدة، وانحاز بقيتهم إلى أجمة، وفيهم سهم والخطيم، فأمنهم ابن عامر ورجعوا، وكتب إلى
معاوية، فأمره بقتلهم، فلم يقتلهم، وكتب إلى معاوية: إني جعلت لهم ذمتك.
فلما أتى زياد بن أبيه البصرة في سنة خمس وأربعين هرب الخطيم إلى الأهواز، واجتمع إلى
سهم جماعة، فأقبل بهم إلى البصرة، فتفرق عنه أصحابه، فاختفى وطلب الأمان، فلم يزل
يؤمنه زياد، وبحث عنه وأخذه فقتله وصلبه في داره .. وقيل: إنه لم يزل مستخفياً حتى
مات زياد، فأخذه عبيد الله بن زياد وصلبه في سنة أربع وخمسين، فقال رجل من الخوارج:

فإن تكن الأحزاب باءوا بصلبه   فلا يبعدن الله سهم بن غالب
وأما الخطيم فإن زياداً سأله عن قتل عبادة، فأنكره، فسيره إلى البحرين، ثم أعاده، بعد
ذلك، وقيل: إنه قتله.
خبر المستورد الخارجي
وفي سنة اثنتين وأربعين تحرك الخوارج الذين كانوا انحازوا عمن قتل يوم النهروان، واجتمعوا
في أربعمائة وأمروا عليهم المستورد بن علفة التيمي، من تيم الرباب، وبايعوه في جمادى
الآخرة، واستعدوا للخروج فخرجوا في غرة شعبان سنة ثلاث وأربعين.
فبلغ أنهم اجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان السلمي وتواعدوا للخروج، فأرسل صاحب
شرطته، وهو قبيصه بن الدمون، فأحاط بدار حيان، وإذا عنده معاد بن جوين وهو من
رءوس الخوارج ونحو عشرين رجلاً، وثارت امرأته وهي أم ولد كانت له كارهة فأخذت
سيوفهم وألقتها تحت الفراش، وقاموا ليأخذوا سيوفهم فلم يجدوها فاستسلموا، فجيء بهم
إلى المغيرة، فحبسهم بعد أن قررهم فلم يعترفوا بشيء قالوا: وإنما اجتمعنا لقراءة القرآن،
ولم يزالوا في السجن نحو سنة، وسمع إخوانهم فحذروا.
وخرج صاحبهم المستورد فنزل الحيرة، واختلف الخوارج إليه، ثم تحول إلى دار سليم بن
مجدوع العبدي، وهو مهره.
وبلغ المغيرة الخبر وأنهم عزموا على الخروج في تلك الأيام، فجمع الرؤساء فخطبهم وقال
لهم: ليكفني كل رجل منكم قومه، وإلا والله تحولت عما تعرفون إلى ما تنكرون، وعما
تحبون إلى ما تكرهون. فرجعوا إلى قومهم فناشدوهم الله والإسلام إلا دلوهم على من
يريد تهييج الفتنة.
فبلغ المستورد ذلك فخرج من دار سليم بن محدوج، وأرسل إلى أصحابه فأمرهم فخرجوا
متفرقين، واجتمعوا في نحو ثلاثمائة رجل وساروا إلى الصراة.
وبلغ المغيرة بن شعبة خبرهم، فندب معقل بن قيس في ثلاثمائة آلاف فارس اختارهم من
الشيعة.
وأما الخوارج فإنهم ساروا إلى أن بلغوا المذار فأقاموا بها.
وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم، فندب شريك بن الأعور الحرثي، وانتخب معه ثلاثة آلاف
فارس أكثرهم من ربيعة، فسار بهم إلى المذار.

وسار معقل وقدم أمامه أبا الرواغ في ثلاثمائة، فأتى بهم إلى المذار وقاتل الخوارج عامة نهاره
وهم يهزمونه ويعود إلى القتال، ثم أدركه معقل في سبعمائة من أهل القوة، فجاء وقد غربت
الشمس فصلوا المغرب، وحملت الخوارج عليهم فانهزم أصحاب معقل، وثبت هم في نحو
مائتين ونزل إلى الأرض فتراجع إليه أصحابه وأتاه بقية الجيش.
فبينما هم على ذلك بلغ الخوارج أن شريك بن الأعور قد أقبل من البصرة في ثلاثة آلاف،
فأشار المستورد على أصحابه بالرجوع من حيث جاءوا، وقال: إنا إذا رجعنا نحو الكوفة
لم يتبعنا أهل البصرة، ويرجعوا عنا فنقاتل طائفة أسهل من قتال طائفتين.
فانحاز بأصحابه إلى البيوت، وخرج من الجانب الآخر وسار ليلته، ولم يعلم الجيش
بمسيرهم، وبات معقل وأصحابه يتحارسون إلى الصباح، فأتاهم خبر مسيرهم.
وجاء شريك، فدعاه معقل أن يسير معه، فأبى أصحاب شريك اتباعهم، فاعتذر إليه
لمخالفة أصحابه ورجع.
ودعا معقل أبا الرواغ، وأمره باتباعهم، في ستمائة فارس، فاتبعهم، فأدركهم نحو جرجرايا
مع طلوع الشمس، فحمل المستورد على أبي الرواغ، فانهزم أصحابه وثبت في مائة فارس
وقاتلهم طويلاً، ثم عطف أصحابه من كل جانب، وصدقوهم القتال، فلما رأى المستورد
ذلك علم أن معقلاً إن أتاهم بمن معه هلكوا، فمضى بأصحابه وعبر دجلة إلى بهرسير،
وتبعهم أبو الرواغ حتى نزل بهم إلى ساباط، فقال المستورد: هؤلاء حماة معقل وفرسانه ولو
علمت أني أسبقهم إليه بساعة لسرت إليهم فواقعته، ثم ركب بأصحابه حتى انتهى إلى
جسر ساباط، فقطعه، ووقف أبو الرواغ ينتظرهم للقتال وقد عبأ أصحابه.
وسار المستورد حتى أتى ديلمان، وبها معقل فلما رآهم نصب رايته ونزل وقال: يا عباد
الله الأرض!، فنزل معه نحو مائتي رجل، فحملت الخوارج عليهم، فاستقبلوهم
بالرماح جثاة على الركب، فلم يقدروا عليهم، فتركوهم، وعدلوا إلى خيولهم فحالوا بينهم
وبينها وقطعوا أعنتها فذهبت، ثم رجعوا إلى معقل وأصحابه فحملوا عليهم، واشتد الأمر

على معقل ومن معه.
فبينما هم كذلك أقبل أبو الرواغ بمن معه، وكان سبب عوده أنه أقام ينتظر عودة الخوارج
إليه، فلما أبطأوا عليه أرسل من يأتيه بخبرهم فرأوا الجسر مقطوعاً ففرحوا بذلك ظناً
منهم أن الخوارج فعلوا ذلك هيبة، فرجعوا إلى أبي الرواغ فأخبروه أنهم لم يروهم، وأن
الجسر قد قطعوه هيبة لهم، فقال أبو الرواغ: لعمري ما فعلوا هذا إلا مكيدة، وما أراهم إلا
قد سبقوكم إلى معقل حيث علموا أن فرسان أصحابه معي، وقد قطعوا الجسر ليشغلوكم
به عن لحاقهم، فالنجاء النجاء في الطلب. ثم أمر أهل القرية فعقدوا الجسر، فعبر عليه،
واتبع الخوارج، فلقيه أوائل الناس منهزمين، فصاح بهم: إلي إلي، فرجعوا إليه، وأخبروه الخبر
وأنهم تركوا معقلاً يقاتلهم، وما يظنونه إلا قتيلاً، فجد في السير، ورد معه من لقيه من
المنهزمين، وانتهى إلى العسكر، فرأى راية معقل منصوبة والناس يقتتلون، فحمل أبو الرواغ
وأصحابه على الخوارج فأزالهم غير بعيد.
ووصل أبو الرواغ إلى معقل فإذا هو متقدم يحرض أصحابه، فشدوا على الخوارج شدة
منكرة، ونزل المستورد ومن معه إلى الأرض ونزل أصحاب معقل أيضاً، ثم اقتتلوا طويلاً من
النهار بالسيوف أشد قتال، ثم إن المستورد نادى معقلاً ليبرز إليه، فبرز إليه، فمنعه
أصحابه، فلم يقبل منهم، وكان معه ومع المستورد رمحه، فقال أصحاب معقل له: خذ
رمحك. فأبى، وأقدم على المستورد، فطعنه المستورد برمحه، فخرج السنان من ظهره،
وتقدم معقل والرمح فيه إلى المستورد، فضربه بسيفه فخالط دماغه فماتا جميعاً.
وكان معقل قال لأصحابه: إن قتلت فأميركم عمرو بن محرز بن شهاب التميمي، فلما قتل
معقل أخذ عمرو الراية، وحمل هو وأصحابه على الخوارج فقتلوهم، فلم ينج منهم غير
خمسة أو ستة، وانكفت الخوارج بعد ذلك مدة ولاية زياد بن أبيه إلى سنة خمسين.
فخرج قريب الأزدي وزحاف الطائي بالبصرة وهما ابنا خالة، وكان زياد يومئذ بالكوفة،
وسمرة بالبصرة فأتى الخوارج بني ضبيعة وهم سبعون رجلاً فقتلوا منهم شيخاً، فاشتد

زياد في أمر الخوارج فقتلهم وأمر سمرة بذلك، فقتل منهم بشراً كثيراً، وخطب زياد على
المنبر فقال: يا أهل البصرة والله لتكفنني هؤلاء. أو لأبدأن بكم، والله لئن أفلت رجل منهم
لا تأخذون العام من عطاياكم درهماً. فسار الناس إليهم فقتلوهم.
ثم خرج زياد بن خراش العجلي في سنة اثنتين وخمسين في ثلاثمائة فأتى مسكن من
السواد، فسرح إليه زياد بن أبيه خيلاً عليها سعد بن حذيفة، أو غيره، فقتلوهم وقد
صاروا إلى ماه وخرج رجل من طئ اسمه معاذ في ثلاثين رجلاً فبعث إليه زياد من قتله
وقتل أصحابه، ويقال بل حل لواءه واستأمن.
وخرج طواف بن غلاق في سنة ثمان وخمسين بالبصرة، وكان سبب خروجه أن قوماً من
الخوارج بالبصرة كانوا يجتمعون إلى رجل اسمه حرار فيتحدثون عنده ويعيبون السلطان،
فأخذهم عبيد الله بن زياد فحبسهم، ثم أحضرهم، وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً
ويخلى سبيل القاتلين، ففعلوا، فأطلقوا، وكان طواف ممن قتل، فعذلهم أصحابهم وقالوا:
قتلتم إخوانكم، قالوا أكرهنا وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالإيمان، وندم طواف
وأصحابه، وقال أما من توبة؟ فكانوا يبكون، وعرضوا على أولياء من قتلوا الدية، فأبوا
قبولها، وعرضوا عليهم القود، فأبوا.
ولقي طواف الهثهاث بن ثور السدوسي، فقال له: ما ترى لنا من توبة! فقال: ما أجد لك
إلا آية في كتاب الله عز وجل: " ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم " . فدعا طواف أصحابه إلى الخروج على أن
يفتكوا بابن زياد، فبايعوه في هذه السنة، وهم سبعون رجلاً من عبد القيس بالبصرة،
فسعى بهم رجل من أصحابهم إلى ابن زياد، وبلغ ذلك طوافاً فعجل الخروج، فخرجوا من
ليلتهم، فقتلوا رجلاً، ومضوا إلى الجلحاء، فندب ابن زياد الشرط والبخارية فقاتلوهم،
فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة، واتبعوهم، وذلك يوم الفطر فكاثرهم الناس، فقاتلوا
فقتلوا، وبقي طواف في ستة نفر وعطش فرسه، فاقتحم به الماء، فرماه البخارية بالنشاب

حتى قتلوه وأخذ فصلب، ثم دفنه أهله.
عروة بن أدية وأخيه مرداس بن أدية
وغيرهما من الخوارج
قال: وفي سنة ثمان وخمسين اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج، فقتل منهم جماعة
كثيرة، منهم عروة بن أدية.
وكان سبب قتله أن عبيد الله بن زياد خرج في رهان له، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع
الناس إليه، وفيهم عروة بن أدية وهو أخو مرداس بن أدية، وأدية أمهما وأبوهما جدير، وهو
تميمي، فأقبل عروة على زياد يعظه، فكان مما قال له: " أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون
مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين " .
قال: فلما قال له ذلك ظن ابن زياد أنه لم يقله إلا ومعه جماعة فركب وترك رهانه، فقيل
لعروة: ليقتلنك. فاختفى، فطلبه ابن زياد فأتى الكوفة فأخذ وأتي به إلى ابن زياد فقطع
يديه ورجليه وقتله وقتل ابنته.
وأما أخوه أبو بلال مرداس فكان عابداً مجتهداً عظيم القدر في الخوارج وشهد صفين مع
علي فأنكر التحكيم. وشهد النهروان مع الخوارج، وكانت الخوارج كلها تتولاه.
وكانت البثخاء امرأة من بني يربوع - تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته،
وكانت من المجتهدات، فذكرها ابن زياد، فقال لها أبو بلال: إن التقية لا بأس بها فتغيبي فإن
هذا الجبار قد ذكرك. فقالت: أخشى أن يلقى أحد بسببي مكروهاً، فأخذها ابن زياد
فقطع يديها ورجليها ورماها في السوق، فمر بها أبو بلال فعض على لحيته وقال: لهذه
أطيب نفساً بالموت منك يا مرداس! ما ميتة أموتها أحب إلي من ميتة البثخاء!.
ومر أبو بلال ببعير قد طلي بقطران فغشي عليه، ثم أفاق فتلا: " سرابيلهم من قطران
وتغشى وجوههم النار " .
ثم إن ابن زياد ألح في طلب الخوارج حتى ملأ منهم السجون.
وحبس أبا بلال مرداس بن أدية، فرأى السجان عبادته، فأذن له كل ليلة في إتيان أهله،
فكان يأتيهم ليلاً ويعود إلى السجن مع الصبح، وكان لمرداس صديق يسامر ابن زياد،
فانطلق صديق مرداس إليه وأعلمه الخبر، وبات السجان بليلة سوء خوفاً أنه لا يرجع، فعاد

على عادته، فقال له السجان: أما بلغك ما عزم عليه الأمير؟
قال: بلى، قال: وكيف
أتيت؟ قال: لم يكن جزاؤك مع إحسانك أن تعاقب بسببي،
وأصبح ابن زياد فقتلهم، فلما
أحضر مرداس قام السجان - وكان ظئراً لعبيد الله - فشفع فيه
وقص عليه قصته، فوهبه
له وخلى سبيله.
ثم خاف من ابن زياد، فخرج في أربعين رجلاً إلى الأهواز، فكان
إذا اجتاز به مال لبيت
المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه، ثم يرد الباقي، فلما سمع
ابن زياد خبرهم بعث
إليهم أسلم بن زرعة الكلابي، وقيل: أبو الحصين التيمي، وكان
الجيش ألفي رجل، وذلك في
سنة ستين، فلما أتوه ناشدهم أبو بلال الله أن ينصرفوا عنه،
فأبوا ودعاهم أسلم إلى
معاودة الجماعة، فقالوا أتردنا إلى ابن زياد الفاسق؟ فرمى
أصحاب أسلم رجلاً من
الخوارج فقتلوه، فقال أبو بلال: قد بدءوكم بالقتال. فشد
الخوارج على أسلم وأصحابه شدة
رجل واحد، فهزموهم، فقدموا البصرة، فلامه ابن زياد على
ذلك، وقال: هزمك أربعون
وأنت في ألفين؟ لا خير فيك!. فقال: لأن تلومني وأنا حي خير
من أن تثني علي وأنا ميت
وكان الصبيان إذا رأوا أسلم صاحوا به: أبو بلال وراءك. فشكا
ذلك إلى ابن زياد،
فنهاهم، فانتهوا.
وقال رجل من الخوارج:
أألفا مؤمن منكم زعمتم ويقتلهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم على الفئة الكثيرة ينصرونا
هذا ما كان من أخبار الخوارج، فلنذكر حوادث السنين.
الحوادث في أيام معاوية
بن أبي سفيان
غير ما تقدم، على حكم السنين منذ خلص له الأمر إلى أن توفى
إلى رحمة الله
سنة احدى وأربعين
في هذه السنة خلص الأمر لمعاوية بن أبي سفيان؛ بمبايعة
الحسن ابن علي رضي الله
عنهما له كما تقدم، فسمي هذا العام عام الجماعة وذلك
لاجتماع الناس على إمام واحد،
وهو معاوية.

وروي أنه لما سار الحسن رضي الله عنه عن الكوفة عرض له رجل فقال: يا مسود وجه
المؤمنين. فقال: لا تعذلني فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أري بني أمية ينزون على
منبره رجلاً رجلاً، فساءه ذلك، فأنزل الله تعالى: " إنا أعطيناك الكوثر " وهو نهر في الجنة،
و" إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر " يملكها
بعدك بنو أمية، وقد خرج هذا الحديث أهل الصحة. وكانت دولة بني أمية ألف شهر.

صلح معاوية وقيس بن سعد
بن عبادة

في هذه السنة تم الصلح بين معاوية وقيس بن سعد، وكان قيس قد خرج على مقدمة
الحسن في اثني عشر ألفاً كما ذكرنا.
وقيل: إن عبيد الله بن عباس كان على مقدمته، وكان قيس بن سعد على مقدمة عبيد
الله، فلما علم عبيد الله ما عزم عليه الحسن من تسليم الأمر إلى معاوية كتب إليه يسأل
الأمان لنفسه وعلى ما
أصاب من مال وغيره، فأجابه إلى ذلك، وفارق عبيد الله جنده وتركهم بغير أمير، فأمروا
عليهم قيس بن سعد، وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط له ولهم على ما أصابوا من
الدماء والأموال، فراسله معاوية في الدخول في طاعته، وأرسل إليه بسجل وختم أسفله،
وقال: اكتب فيه ما شئت فهو لك، فاشترط لنفسه ولشيعة على الأمان على ما أصابوا من
الدماء والأموال، ولم يشترط مالاً، فأعطاه ذلك، ودخل قيس في طاعة معاوية.

استعمال معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة

وفي هذه السنة استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة.
وكان قد استعمل عليها عبد الله بن عمرو بن العاص، فأتاه المغيرة وقال: " استعملت عبد
الله على الكوفة، وأباه بمصر، فتكون أميراً بين نابي أسد ". فعزله، واستعمل المغيرة.
وبلغ عمرو بن العاص ما قاله المغيرة، فدخل على معاوية وقال: " استعملت المغيرة على
الخراج، فيغتال المال، ولا تستطيع أن تأخذه منه، استعمل على الخراج رجلاً يخافك ويتقيك
" فعزله عن الخراج رجلاً يخافك ويتقيك " فعزله عن الخراج وأقره على الصلاة.

ولما ولي المغيرة استعمل كثير بن شهاب على الري، وكان يكثر سب علي بن أبي طالب
رضي الله عنه على المنبر.
استعمال بسر بن أرطاة على البصرة وعزله،
واستعمال عبد الله بن عامر عليها
وفي هذه السنة استعمل معاوية بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة على البصرة، وكان سبب
ذلك أن الحسن لما صالح معاوية وثب حمران بن أبان على البصرة، فأخذها وغلب عليها،
فبعث إليه معاوية بسر بن أرطاة؛ وأمر بقتل بني زياد بن أبيه، وكان زياد على فارس، قد
أرسله عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما تقدم.
فلما قدم بسر البصرة خطب على منبرها فشتم علياً، ثم قال: نشدت الله رجلاً يعلم أني
صادق إلا صدقني أو كاذب إلا كذبني، فقال أبو بكرة؛ اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً! فأمر به
فخنق، فقام أبو لؤلؤة الضبي فرمى نفسه عليه فمنعه، فأقطعه أبو بكرة مائة جريب، وقيل
لأبي بكرة: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يناشدنا الله ثم لا نصدقه.
وكان معاوية قد كتب إلى زياد: أن في يديك مالا من مال الله فأد ما عندك منه. فكتب
إليه زياد: " أنه لم يبق عندي شيء، وقد صرفت ما كان عندي في وجهه، واستودعت
بعضه لنازلة إن نزلت، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمه الله تعالى ". فكتب إليه
معاوية أن أقبل ننظر فيما وليت، فإن استقام بيننا أمر وإلا رجعت إلى مأمنك. فامتنع
زياد.
فأخذ بسر أولاده الأكابر، منهم عبد الرحمن وعبيد الله وعباد وكتب إليه: لتقدمن على
أمير المؤمنين أو لأقتلن بنيك، فكتب إليه زياد: لست بارحاً مكاني حتى يحكم الله بيني
وبين صاحبك، وإن قتلت ولدي فالمصير إلى الله تعالى، ومن ورائنا الحساب " وسيعلم
الذين ظلموا إي منقلب ينقلبون " فأراد بسر قتلهم وأتاه أبو بكرة فقال له: قد أخذت ولد
أخي بلا ذنب، وقد صالح الحسن معاوية على ما أصاب أصحاب علي رضي الله عنه
حيث كانوا، فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل، وأجله أياماً حتى يأتي بكتاب معاوية،

فركب أبو بكرة إلى معاوية وهو بالكوفة، فلما أتاه قال له: يا معاوية إن الناس لم يعطوك
بيعتهم على قتل الأطفال! قال: وما ذاك يا أبا بكرة؟ قال: بسر يريد قتل بني أخي زياد،
فكتب إليه بتخليتهم، فأخذ كتابه وعاد، فوصل البصرة يوم الميعاد، وقد أخرج بسر أولاد
زياد مع طلوع الشمس، ينتظر بهم الغروب ليقتلهم، واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون أبا
بكرة؛ إذ رفع على نجيب أو برذون يكده، فوقف فنزل عنه وألاح بثوبه، وكبر وكبر الناس
معه، وأقبل يسعى على رجليه، فأدرك بسراً قبل أن يقتلهم، فدفع إليه الكتاب، فأطلقهم.
وكان زياد قد تحصن بالقلعة التي تسمى قلعة زياد.
وأما بسر فلم يطل مقامه بالبصرة، بل عزله معاوية في بقية سنة إحدى وأربعين، وأراد أن
يستعمل عتبة بن أبي سفيان، فكلمه ابن عامر وقال له: إن لي بالبصرة ودائع وأموالاً، فإن لم
تولني عليها ذهبت. فولاه البصرة، فقدمها في آخر سنة إحدى وأربعين، وجعل إليه
خراسان وسجستان، فجعل على شرطته حبيب بن شهاب وعلى القضاء عميرة بن يثربي
أخا عمرو، وقد تقدم في وقعة الجمل أن عميرة قتل فيها، وقيل: المقتول عمرو.
واستعمل ابن عامر قيس بن الهيثم على خراسان، وكان أهل باذغيس وهراة وبوشنج قد
نكثوا، فسار إلى بلخ، فأخرب نوبهارها، وكان الذي تولى ذلك عطاء بن السائب مولى بني
ليث، واتخذ قناطر على ثلاثة أنهار من بلخ على فرسخ، فقيل: قناطر عطاء، فسأل أهلها
الصلح ومراجعة الطاعة، فصالحهم قيس، وقيل: إنما صالحهم الربيع ابن زياد سنة إحدى
وخمسين، ثم قدم قيس على ابن عامر فضربه وحبسه، واستعمل عبد الله بن خازم،
فأرسل إليه أهل هراة وباذغيس وبوشنج يطلبون الأمان والصلح، فصالحهم وحمل إلى ابن
عامر مالاً.
وفيها ولد علي بن عبد الله بن العباس، وقيل: ولد سنة أربعين قبل قتل علي رضي الله
عنه، والأول أصح.
وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان، وقيل عنبسة بن أبي سفيان.
سنة اثنتين وأربعين

في هذه السنة ولي معاوية بن الحكم المدينة، وخالد بن العاص بن هشام مكة، فاستقصى
مروان عبد الله بن الحارث ابن نوفل.
قدوم زياد بن أبيه على معاوية بن أبي سفيان
في هذه السنة قدم زياد بن أبيه على معاوية، وكان معاوية قد كتب إليه يتهدده، حين قتل
علي رضي الله عنه، فقام زياد خطيباً فقال: العجب من ابن آكلة الكبود، وكهف النفاق،
ورئيس الأحزاب يتهددني وبيني وبينه ابنا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني ابن
عباس والحسن بن علي رضي الله عنهم - في سبعين ألفاً، واضعي سيوفهم على عواتقهم،
أما والله لئن خلص إلي ليجدني أحمر ضراباً بالسيف.
فلما صالح الحسن معاوية اعتصم زياد بقلعته كما تقدم ثم كان من خبر بنيه مع بسر بن
أرطأة ما ذكرناه، فأهم معاوية أمره، وكان زياد قد استودع عبد الرحمن بن أبي بكرة ماله،
فبلغ معاوية ذلك، فبعث إليه المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد، فأخذ عبد الرحمن فقال
له لئن كان أبوك أساء إلي لقد أحسن عمك - يعني زياداً - فكتب إلى معاوية: إني لم أجد
في يد عبد الرحمن مالاً يحل لي أخذه. فكتب إليه معاوية: أن عذب عبد الرحمن. فقال
لعبد الرحمن: احتفظ بما في يدك، وألقى على وجهه حريرة ونضحها بالماء فغشي عليه، فعل
ذلك ثلاث مرات، ثم خلاه، وكتب إلى معاوية: إني عذبته فلم أجد عنده شيئاً.
ثم دخل المغيرة على معاوية فقال له: ذكرت زياداً واعتصامه بفارس فلم أنم ليلتي. فقال
المغيرة: ما زياد هناك؟ فقال معاوية: " داهية العرب! معه أمول فارس، يدبر الحيل، ما
يؤمنني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت، فإذا هم قد أعادوا الحرب جذعة! " واستكتمه
معاوية ذلك، فقال المغيرة: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إتيانه؟ قال: نعم وتلطف له، فأتاه
المغيرة وقال له: إن معاوية استخفه الوجل حتى بعثني إليك، ولم يكن أحد يمد يده إلى هذا
الأمر غير الحسن، وقد بايع فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغني معاوية عنك.
قال: أشر علي وارم الغرض الأقصى فإن المستشار مؤتمن. فقال المغيرة: أرى أن تصل

حبلك بحبله وتشخص إليه. قال : أرى ويقضي الله. وكتب إليه معاوية بأمانه بعد عود
المغيرة عنه.
فخرج زياد من فارس نحو معاوية، وعه المنجاب بن الضبي، وحارثة بن بدر، وقدم على
معاوية فسأله عن أموال فارس فأخبره بما حمل منها إلى أرض علي رضي الله عنه، وما
أنفق منها في الوجوه التي تحتاج إلى النفقة، وما بقي عنده وأنه مودع للمسلمين، فصدقه
معاوية فيما أنفق وفيما بقي عنده وقبضه منه، وقيل: إن زياداً لما قال لمعاوية، قد بقيت
بقية من المال، وقد أودعتها قوماً فمكث معاوية يروده، فكتب زياد كتباً إلى قوم يقول: قد
علمتم مالي عندكم من الأمانة، فتدبروا كتاب الله " إنا عرضنا الأمانة على السموات
والأرض والجبال " الآية فاحتفظوا بما عندكم.
وسمى في الكتب المال الذي أقر به لمعاوية، وأمر رسوله أن يتعرض لبعض من يبلغ ذلك
معاوية، ففعل رسوله، وانتشر ذلك، فقال معاوية لزياد حين وقف على الكتب: أخاف أن
تكون مكرت بي فصالحني على ما شئت، فصالحه على ألفي ألف درهم، وحملها زياد إليه،
واستأذنه زياد في نزول الكوفة فأذن له، فكان المغيرة يكرمه ويعظمه، وكتب معاوية إلى
المغيرة ليلزم زياداً وحجر ابن عدي وسليمان بن صرد وشبيب بن ربعي وابن الكواء وابن
الحمق بالصلاة في الجماعة، فكانوا يحضرون معه الصلاة.
وحج بالناس في هذه السنة عنبسة بن أبي سفيان.
سنة ثلاث وأربعين
فيها استعمل عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سمرة على سجستان واستعمل عبد الله
بن خازم على خراسان وعزل قيس بن الهيثم عنها.
وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة.
وفيها توفي محمد بن مسلمة الأنصاري، وعبد الله بن سلام، وعمرو العاص.
وفاة عمرو بن العاص وشيء من أخباره
واستعمال عبد الله ابن عمرو على مصر
كانت وفاته بمصر يوم عيد الفطر من هذه السنة على الأصح وكان له يوم مات تسعون
سنة، ودفن بالمقطم من ناحية السفح، وصلى عليه ابنه عبد الله، ثم رجع فصلى بالناس
صلاة العيد.

وكان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكوراً بذلك فيهم.
وكلن حسن الشعر، فمن شعره يخاطب عمارة بن الوليد بن المغيرة عند النجاشي:
إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطراً منه وغادر سبة إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما
وكان أحد الدهاة في أمور الدنيا المقدمين في الرأي، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
إذا استضعف رجلاً في رأيه قال: أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد. يريد خالق
الأضداد.
حكي أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص وهو على المنبر عن أمه،
فسأله، فقال: أمي سلمى بنت حرملة تلقب النابغة من بني عنزة، ثم أحد بني جلان،
أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله
بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت له، فأنجبت، فإن كان جعل لك شيء
فخذه.
قالوا: ولما حضرته الوفاة قال: " اللهم أمرتني فلم آتمر، وزجرتني فلم أنزجر " ووضع يده في
موضع الغل ثم قال: " اللهم لا قوي فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، ولا مستكبر بل مستغفر، لا
إله إلا أنت ". فلم يزل يرددها حتى مات.
وروى أبو عمر ابن عبد البر بسنده إلى الشافعي رضي الله عنه أنه قال: دخل ابن عباس
رضي الله عنهما على عمرو بن العاص في مرضه فسلم عليه وقال: كيف أصبحت يا أبا
عبد الله؟ قال: " أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً، وأفسدت من ديني كثيراً، فلو
كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت، والذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت، ولو كان
ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمنجنيق بين السماء
والأرض، لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين، فعظني بعظة أنتفع بها يا بن أخي ". فقال ابن
عباس: " هيهات يا أبا عبد الله، صار ابن أخيك أخاك، ولا نشاء أن تبكي إلا بكيت،
كيف يؤمر برحيل من هو مقيم؟ ". فقال عمرو على حينها من حين ابن بضع وثمانين سنة

تقنطني من رحمة ربي، اللهم إن ابن عباس يقنطني من رحمتك فخذ مني حتى ترضى. فقال
ابن عباس: هيهات يا أبا عبد الله أخذت جديداً وتعطي خلقاً، قال: ما لي ولك يا بن
عباس ما أرسل كلمة إلا أرسلت نقيضها.
وروى بسنده إلى يزيد بن أبي حبيب: أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه قال: لما حضرت
عمرو بن العاص الوفاة بكى، فقال له ابنه عبد الله: " لم تبكي؟ أجزعاً من الموت؟ " قال:
لا والله ولكن لما بعده، فقال له: لقد كنت على خير، وجعل يذكره صحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفتوحه الشام. فقال عمرو: " تركت أفضل من ذلك كله، شهادة أن لا إله
إلا الله، إني كنت على ثلاثة أطباق، ليس منها طبق إلا عرفت نفسي فيه، كنت أول شيء
كافراً، فكنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو مت حينئذ وجبت
لي النار، فلما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أشد الناس حياء منه، فما
ملأت عيني من رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه، فلو مت يومئذ قال الناس:
هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير ومات على خير أحواله فترجى له الجنة، ثم تلبست
بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري أعلي أم لي؟ فإذا مت فلا تبكين علي باكية، ولا
يتبعني مادح ولا زار، وشدوا علي إزاري فإني مخاصم، وشنوا علي التراب فإن جنبي
الأيمن ليس بأحق من جنبي الأيسر، ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجراً، وإذا واريتموني
فاقعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعها بينكم أستأنس بكم!. ولما مات استعمل معاوية
بعده على مصر ابنه عبد الله بن عمرو.
سنة أربع وأربعين
في هذه السنة حج معاوية بالناس.
وفيها عمل مروان بن الحكم المقصورة، وهو أول من عملها بالمدينة، وكان معاوية قد عملها
بالشام لما ضربه الخارجي.
عزل عبد الله بن عامر عن البصرة
واستعمال الحارث بن عبد الله
في هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة، وشبب ذلك أنه كان كريماً

حليماً ليناً لا يأخذ على أيدي السفهاء، ففسدت البصرة في أيامه، فشكا ذلك إلى زياد،
فقال له: جرد فيهم السيف، قال: إني أكره أن أصلحهم بفساد نفسي.
فلما علم معاوية حال البصرة أراد عزل ابن عامر، فأرسل إليه يستزيره، فجاء إليه، فرده
إلى عمله، فلما ودعه قال له معاوية: " إني سائلك ثلاثاً فقل: هن لك ". قال: هن لك وأنا
ابن أم حكيم فقال: ترد علي عماي ولا تغضب. قال: قد فعلت. قال: وتهب لي مالك
بعرفة. قال: قد فعلت. قال: وتهب لي دورك بمكة. قال: قد فعلت. قال: وصلتك رحم!
قال بان عامر: " يا أمير المؤمنين إني سائلك ثلاثاً، فقل هن لك " قال هن لك وأنا ابن هند،
قال: ترد علي مالي بعرفة. قال: قد فعلت. قال: ولا تحاسب لي عاملاً ولا تتبع لي أثراً.
قال: قد فعلت. قال: وتنكحني ابنتك هند. قال: قد فعلت.
ويقال: إن معاوية قال له: " اختر إما أن أتبع أثرك وأحاسبك بما صار إليك وأردك إلى
العمل، أو أعزلك وأسوغك ما أصبت ".
فاختار العزل وأن يسوغه ما أصاب، فعزله، واستعمل الحارث ابن عبد الله الأزدي، وكان
ابن عامر قد استعمل على خراسان، قبل مقدمه عبد الله ابن أبي شيخ اليشكري، وقيل:
بل استعمل عليها طفيل بن عوف اليشكري.
استلحاق معاوية بن أبي سفيان زياد بن أبيه وهو ابن سمية
وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد بن أبيه، وقد ذكر عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير
في تاريخه الكامل سبب ذلك وكيفيته، وابتدأ حال سمية فقال: كانت سمية أم زياد لدهقان
زندورد، بكسكر فمض الدهقان، فدعا الحارث بن كلدة الطبيب الثقفي، فعالجه، فبرأ،
فوهبه سمية، فولدت عند الحارث أبا بكرة واسمه أبو بكرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
حين حضر الطائف، قال الحارث لنافع: أنت ولدي، وكان قد زوج سمية من غلام له اسمه
عبيد، وهو رومي، فولدت له زياداً.
قال: وكان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهلية إلى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو
مريم السلولي - وأسلم أبو مريم بعد ذلك، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم - فقال أبو

سفيان لأبي مريم: قد اشتهيت النساء فالتمس لي بغياً، فقال هل لك في سمية؟ فقال:
هاتها على طول ثدييها وذفر بطنها. فأتاه بها، فوقع عليها، فوقعت بزياد، ثم وضعته سنة
إحدى من الهجرة.
فلما كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الأشعري حين ولي البصرة.
ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استكفى زياداً أمراً، فقام فيه مقاماً مرضياً، فلما
عاد إليه حضر وعند عمر المهاجرون والأنصار، فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها، فقال
عمرو بن العاص: " لله در هذا الغلام. لو كان أبوه من قريش لساق العرب الناس بعصاه ".
فقال أبو سفيان وهو حاضر: والله إني لأعرف أباه ومن وضعه في رحم أمه. فقال له علي
بن أبي طالب: ومن هو يا أبا سفيان؟ قال: أنا. قال: " مهلاً يا أبا سفيان، اسكت، فإنك
تعلم أن عمر لو سمع هذا القول منك لكان إليك سريعاً ".
وروى أبو عمر ابن عبد البر بسنده إلى ابن عباس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بعث زياداً في إصلاح فساد وقع باليمن، فرجع من وجهه، وخطب خطبة لم يسمع الناس
مثلها " وذكر كلام عمرو بن العاص ومقالة أبي سفيان وكلام علي رضي الله عنه بنحو ما
تقدم " قال: فقال أبو سفيان:

أما والله لولا خوف شخص يراني يا علي من الأعادي
لأظهر أمره صخر بن حرب ولم يكن المقالة عن زياد
وقد طالت مجاملتي ثقيفاً وتركي فيهمو ثمر الفؤاد

نعود إلى ما حكاه ابن الأثير قال: فلما ولي علي رضي الله عنه الخلافة استعمل زياداً على
فارس فضبطها وحمى قلاعها، واتصل الخبر بمعاوية فساءه ذلك، فكتب إلى زياد يتهدده،
ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه، فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس فقال: " العجب كل
العجب من ابن آكلة الأكباد، ورأس النفاق، يخوفني بقصده إياي وبيني وبينه ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار. أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر
مخشياً ضراباً بالسيف ".
وبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فكتب إليه: " إني قد وليتك ما وليتك وأنا أراك له أهلاً،
وقد كان من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذب النفس، لا توجب له ميراثاً ولا تحل

لك نسباً، وإن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلف، وعن يمينه وعن شماله فاحذر
ثم احذر، والسلام ".
فلما قتل علي رضي الله عنه وكان من أمر زياد ومصالحة معاوية ما ذكرناه، وضع زياد
مصقلة بن هبيرة الشيباني، وضمن له عشرين ألف درهم؛ ليقول لمعاوية: " إن زياداً قد أكل
فارس براً وبحراً، وصالحك على ألفي ألف درهم، والله ما أرى الذي يقال إلا حقاً " فإذا
قال لك يقال: وما يقال؟ فقل: إنه ابن أبي سفيان. ففعل مصقل ذلك.
ورأى معاوية أن يستصفي مودته باستلحاقه، فاتفقا على ذلك، وأحضر الناس وحضر من
شهد لزياد، وكان فيمن حضر أبو مريم السلولي، فقال له معاوية: بم تشهد يا أبا مريم؟ فقال:
أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغياً، فقلت ليس عندي إلا سمية فقال: ايتني
بها على قذرها ووضرها. فأتيته بها فخلا معها، ثم خرجت من عنده وإن إسكتيها
ليقطران منياً. فقال له زياد: مهلاً أبا مريم إنما بعثت شاهداً ولم تبعث شاتماً. فاستلحقه
معاوية.
وكان استلحاقه أول ما ردت فيه أحكام الشريعة علانية، فإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر.
قال: وقد اعتذر الناس عن معاوية في استلحاقه إياه، فقالوا: إن أنكحة الجاهلية كانت
أنواعاً، منها أن الجماعة يجامعون البغي فإذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن شاءت منهم،
فلما جاء الإسلام حرم هذا النكاح، إلا أنه أقر نسب كل ولد إلى من كان ينسب إليه من
أي نكاح كان، فتوهم معاوية أن ذلك جائز له، ولم يفرق بين ما استلحق في الجاهلية
والإسلام.
قال أبو عمر ابن عبد البر: ولما ادعى معاوية زياداً دخل عليه بنو أمية، وفيهم عبد
الرحمن بن الحكم، فقال: يا معاوية لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة، فأقبل
معاوية على مروان، وقال: أخرج عنا هذا الخليع، فقال مروان: والله إنه لخليع ما يطاق.
فقال معاوية: " والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنه لا يطاق، ألم يبلغني شعره في وفي زياد؟

". ثم قال لمروان أسمعنيه، فقال:
ألا بلغ معاوية بن صخر لقد ضاقت بما تأتي اليدان
أتغضب أن يقال: أبوك عف وترضى أن يقال: أبوك زاني
فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها حملت زياداً وصخر من سمية غير دان
قال: وهذه الأبيات تروى ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري الشاعر، ومن رواها له جعل
أولها:
ألا بلغ معاوية بن صخر مغلغلة من الرجل اليماني
قال أبو عمر: وروى عمر بن شبة وغيره أن ابن مفرغ لما شفعت فيه اليمانية إلى معاوية أو
ابنه يزيد، وكان قد لقي من عباد بن زياد وأخيه عبد الله ما لقي من النكال مما يطول
شرحه، فلما وصل إلى معاوية بكى وقال: " يا أمير المؤمنين ركب مني ما لم يركب من مسلم
قط، على غير حدث في الإسلام ولا خلع يد من طاعة ". وكان عبيد الله ابن زياد قد أمر
به فسقي دواء، ثم حمل على حمار وطيف به وهو يسلح في ثيابه، فقال معاوية: ألست
القائل؟:
ألا بلغ معاوية بن صخر.....وذكر الأبيات.
فقال ابن مفرغ: " لا والذي عظم حقك ورفع قدرك يا أمير المؤمنين ما قلتها قط وقد بلغني
أن عبد الرحمن بن الحكم قالها ونسبها إلي " قال ألست القائل؟:
شهدت بأن أمك لم تتباشر أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لبس على وجل شديد وارتياع
أولست القائل أيضاً!:
إن زياداً ونافعاً وأبا بكرة عندي من أعجب العجب
همو رجال ثلاثة خلقوا في رحم أنثى ما كلهم لأب
ذا قرشي كما يقول وذا مولى وهذا بزعمه عربي
في أشعار قلتها لزياد وبنيه تهجوهم! أغرب لا عفا الله عنك! فقد عفوت عن جرمك،
ولو صحبت زياداً لم يكن شيء مما كان، اذهب فاسكن أي أرض أحببت ". فاختار
الموصل.
قال أبو عمر: وليزيد بن مغرف في هجو زياد وبنيه - من أجل ما لقي من عباد بن زياد
بخراسان - أشعار كثيرة منها:
أعباد ما للؤم عنك محول وما لك أم في قريش ولا أب
وقل لعبيد الله ما لك والد بحق ولا يدري امرء كيف تنسب
وقوله في زياد:

فكر ففي ذاك إن فكرت معتبر هل نلت مكرمة إلا بتأمير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير
قال: وكان أبو بكرة أخا زياد لأمه، فلما بلغه أن معاوية استلحقه وأنه رضي بذلك آلي
يميناً لألا يكلمه أبداً، وقال: " هذا زنى أمه وانتفى من أبيه، لا والله ما علمت سمية رأت
أبا سفيان قط؛ ويله! ما يصنع بأم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم؟ أيريد أن
يراها؟ فإن حجبته فضحته، وإن رآها يالها مصيبة، يهتك من رسول الله صلى الله عليه
وسلم حرمة عظيمة! ".
فلما حج زياد ودخل المدينة أرادوا الدخول على أم حبيبة، ثم ذكر قول أبي بكرة
فانصرف عن ذلك. وقيل: إن أم حبيبة حجبته ولم تأذن له في الدخول عليها، قيل: وإنه
حج ولم يزرها من أجل قول أبي بكرة، وقال: جزى الله أبا بكرة خيراً لم يدع النصيحة على
كل حال.
قالوا: وكتب زياد إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:
من زياد بن أبي سفيان وهو يريد أن تكتب إليه إلى زياد بن أبي سفيان فكتبت إليه من
عائشة أم المؤمنين إلى ولدها زياد.
وكان يقال لزياد قبل الاستلحاق زياد بن أبيه وزياد بن أمه وزياد بن سمية وزياد بن عبيد
المثقفي.
وروى أبو عمر بسنده إلى أبي عثمان النهدي ويقال: اشترى زياد أباه عبيداً بألف درهم
فأعتقه.. فكنا نغيظه بذلك.
سنة خمس وأربعين
ولاية زياد البصرة وخراسان وسجستان
وما تكلم به زياد عند مقدمه ومن استعمله زياد من العمال
وفي هذه السنة عزل معاوية الحارث بن عبد الله الأزدي عن البصرة وكان قد استعمله
عليها في أول هذه السنة، ثم عزله، فكانت ولايته أربعة أشهر، واستعمل زياداً على البصرة
وخراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان.
فقدم زياد البصرة في آخر شهر ربيه الآخر من السنة، فدخلها والفسق فيها ظاهر فاش.
فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها وقيل: بل حمد الله فقال: الحمد لله على إفضاله

وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه، اللهم كما زدتنا نعماً فألهمنا شكراً على نعمك
فينا. أما بعد فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والفجر الموقد لأهله النار الباقي عليهم
سعيرها، ما يأتيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام، فيثب فيها الصغير،
ولا ينحاش عنها الكبير كأن لم يسمعوا نبي الله، ولم يقرءوا كتاب الله، ولم يعلموا ما أعد الله
من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا
يزول، أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على
الباقية؟ ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه وفي نسخه بعد
قوله " لم تسبقوا إليه " قال: من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله والضعيفة المسكينة في
النهار المبصر والعدد غير قليل! ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار؟
قربتم القرابة وباعدتم الدين! تعتذرون بغير العذر وتغطون على المختلس! كل امرئ منكم
يذب عن سفيهه صنع من لا يخاف عاقبة ولا يخشى معاداً! ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم
السفهاء، فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الله الإسلام ثم أطرقوا
وراءكم كنوساً في مكانس الريب!. حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً
وإحراقاً! إني رأيت هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف، وشدة في
غير جبرية وعنف. وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالولي والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر،
والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد
هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم! إن كذبة المنبر مشهودة، فإذا تعلقم علي بكذبة فقد
حلت لكم معصيتي! من بيت منكم فأنا ضامن لما ذهب له، إياي ودلج الليل، فإني لا
أوتي بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم فيه ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع
إليكم. وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه، وقد
أحدثتم إحداثاً لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قوماً

غرقناه، ومن حرق قوماً حرقناه، ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنته فيه
حياً! فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدي ولسانس، ولا يظهر من أحد منكم
خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه! وقد كانت بيني وبين أقوام إحن فجعلت ذلك
دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً، ومن كان مسيئاً فلينزع عن
إساءته، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً ولم أهتك له
ستراً حتى يبدي لي صفحته فإذا فعل لم أناظره. فاستأنفوا أموركم، وأعيني على أنفسكم،
فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس أيها الناس، إنا أصبحنا لكم
ساسة، وعنكم زادة، نسسوسكم بسلطان الله الذي أعطاناه، ونزود عنكم بفيء الله
الذي خولناه، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا،
فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا. واعلموا أني مهما قصرت عنكم فإني لا أقصر
عن ثلاث: لست محتجباً عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابساً رزقاً
ولا عطاء عن إبانه، ولا مخمراً لكم بعثاً، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم، فإنهم ساستكم
المؤدبون، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم،
فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم
فيهم لكان شراً لكم، أسأل الله أن يعين كلاً على كل، فإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه
على أذلاله. وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من
صرعاي!
فقام إليه عبد الله بن الأهتم فقال: أشهد أيها الأمير أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب.
فقال: " كذبت، ذاك نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ".
فقال الأحنف: " قد قلت فأحسنت، أيها الأمير والثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء،
إنا لا نثني حتى نبتلى، ولا نحمد حتى نعطى ". فقال زياد: صدقت.
فقام أبو بلال مرداس بن أدية وهو يقول: أنبأنا الله بغير ما قلت، قال الله تعالى: " وإبراهيم

الذي وفى، ألا تزر وازرة وزر أخر، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى،
ثم يجزاه الجزاء الأوفى " فأوعدنا الله خيراً مما أوعدتنا يا زياد فقال زياد: إنا لا نجد إلى ما
نريد منك ومن أصحابك سبيلاً حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً! وقيل: إنه قال: حتى
نخوض إليها الدماء.
وقيل: إنه لما قدم العراق خطب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " إن معاوية غير مخوف
على قومه، ولك يكن ليلحق بنسبه من ليس منه، وقد شهدت الشهود بما قد بلغكم،
والحق أحق أن يتبع، والله حيث وضع البينات كان أعلم، وقد رحلت عنكم وأنا أعرف
صديقي من عدوي، وقد قدمت عليكم، وصار العدو صديقاً مناصحاً، والصديق عدواً
مكاشحاً، فاشتمل كل امرئ على ما في صدره، فلا يكونن لسانه شفرة تجري على ودجه،
وليعلم أحدكم إذا خلا بنفسه إني قد حملت سيفي بيده، فإن شهره لم أغمده، وإن أغمده
لم أشهره ". ثم نزل.
واستعمل على شرطته عبد الله بن حصن.. وأجل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وعاد
إليه وصول الخبر، وكان يؤخر العشاء الآخرة، ثم يصلي ويأمر رجلاً فيقرأ سورة البقرة أو
مثلها يرتل القرآن، فإذا فرغ أمهل بقدر ما يرى أن إنساناً يبلغ أقصى البصرة، ثم يأمر
صاحب شرطته بالخروج فيخرج فلا يرى إنساناً إلا قتله.
فخرج ذات ليلة، فأخذ أعرابياً، فأتى به زياداً، فقال: هل سمعت النداء؟ قال: " لا والله
قدمت بحلوبة لي، وغشيني الليل، فاضطررتها إلى موضع، وأقمت لأصبح ولا علم لي بما
كان من الأمير ". قال: أظنك والله صادقاً ولكن في قتلك صلاح الأمة. ثم أمر به فضربت
عنقه.
وكان زياد أول من شدد أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية، وجرد السيف، وأخذ على
الظنة، وعاقب بالشبهة، وخافه الناس خوفاً شديداً، حتى أمن بعضهم بعضاً، وحتى كان
الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه، ولا يغلق
أحد بابه، وأدر العطاء، وبنى مدينة الرزق، وجعل الشرط أربعة آلاف.

وقيل له، إن السبيل مخوفة فقال: " لا أعاني شيئاً وراء المصر حتى أصلح المصر، فإن
غلبني فغيره أشد غلبة منه ". فلما ضبط المصر وأصلحه تكلف ما وراء ذلك وأحكمه،
وهو أول من سير بين يديه بالحراب والعمد، واتخذ الحرس خمسمائة لا يفارقون المسجد.
والله أعلم.
عمال زياد بن أبيه
قال: ولما ولي زياد استعان بعدة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورصي عنهم،
منهم عمران بن حصين الخزاعي ولاه قضاء البصرة، وأنس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة
وسمرة بن جندب. فأما عمران فاستعفاه من القضاء فأعفاه، واستقضى عبد الله بن
فضالة الليثي، ثم أخاه عاصم، ثم زرارة بن أوفة.
وجعل خراسان أرباعاً، فاستعمل على مرو أمير بن أحمر اليشكري وعلى نيسابور خليد
بن عبد الله الحنفي، وعلى مرو الرود والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم، وعلى هراة
وباذغيس وبوشنج نافع بن خالد الطائي، ثم عزله واستعمل الحكم بن عمرو الغفاري،
وكانت له صحبته، وكان زياد قد قال لحاجبه: ادع لي الحكم يريد الحكم بن أبي العاص
الثقفي ليوليه خراسان، فجاء بالحكم الغفاري، وقال له زياد: ما أردتك ولكن الله أرادك،
فولاه خراسان وجعل معه رجالاً على جباية الخراج، منهم أسلم بن زرعة الكلابي وغيره،
وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة ثم مات، واستخلف أنس بن أبي أناس بن زنيم
فعزله زياد، وكتب إلى خليد بن عبد الله الحنفي لولاية خراسان، ثم بعث الربيع بن زياد
الحارثي رضي الله تعالى عنه إلى خراسان في خمسين ألفاً من البصرة والكوفة.
وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم، وكان على المدينة.
سنة ست وأربعين
وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان قد عظم أمره عند أهل الشام
ومالوا إليه لغنائه بالروم ولآثار أبيه، فخافه معاوية، فأمر ابن أثال النصراني أن يحتال في قتله،
ضمن له أن ويضع عنه خراجه مال عاش، ويوليه خراج حمص.

فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه، فشربها،
فمات بحمص، فوفى له معاوية.
ثم قدم خالد بن عبد الرحمن المدينة، فجلس يوماً إلى عروة بن الزبير فقال له عروة: ما فعل
ابن أثال؛ فقام من عنده وسار إلى حمص فقتل ابن أثال، فحمل إلى معاوية فحبسه أياماً
وغرمه ديته، ورجع إلى المدينة فأتى عروة فقال له ما فعل ابن أثال؟ فقال: قد كفيتكه ولكن
ما فعل ابن جرموز؟ يعني قاتل الزبير فسكت عروة.
وقد روى في خبر عبد الرحمن بن خالد أن معاوية لما أراد البيعة ليزيد خطب أهل الشام
وقال: " يا أهل الشام، إني قد كبرت سني وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون
نظاماً لكم، وإنما أنا رجل منكم، فارتؤا رأيكم ". فأصفقوا واجتمعوا. وقالوا: رضينا
عبد الرحمن بن خالد. فشق ذلك على معاوية وأسرها في نفسه، ثم مرض عبد الرحمن
فأمر معاوية طبيباً عنده مكيناً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه
فمات. ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً، هو وغلام له، فرصدا ذلك
اليهودي، فخرج ليلاً من عند معاوية، ومعه قوم، فهجم عليه المهاجر فهربوا عنه فقتله
المهاجر.
وقد قيل إن الذي قتل ابن أثال أو اليهودي خالد بن المهاجر بن خالد، وأن عروة بن الزبير،
كان يعيره بترك الطلب بثأر عمه، فخرج خالد ونافع ملاه من المدينة حتى أتيا دمشق،
فرصد الطبيب ليلاً عند مسجد دمشق، وكان يسهر عند معاوية، فلما انتهى إليهما ومعه
قوم من حشم معاوية حملا عليه، فانفرجوا، وضرب خالد بن المهاجر اليهودي فقتله، ثم
انصرف إلى المدينة، وقال لعروة بن الزبير:
قضى لابن سيف الله بالحق سيفه   وعري من حمل الذحول رواحل
سل ابن أثال هل ثأرت ابن خالد؟   فهذا ابن جرموز فهل أنت قاتله؟
وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان.
سنة سبع وأربعين
في هذه السنة عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر، واستعمل عليها معاوية ابن

حديج وكان عثمانياً، فمر به عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقال: " يا معاوية،
قد أخذت جزاءك من معاوية، قد قتلت أخي محمداً لتلي مصر فقد وليتها ". فقال: ما
قتلت محمداً إلا بما صنع بعثمان، فقال عبد الرحمن: فلو كنت إنما تطلب بدم عثمان ما
شاركت معاوية فيما صنع، حيث عمل عمرو بالأشعري ما عمل، فوثبت أول الناس
فبايعته.
وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان، وقيل عنبسة ابن أبي سفيان.
سنة ثمان وأربعين
في هذه السنة استعمل زياد غالب ابن فضال الليثي على خراسان وكانت له صحبة.
وحج بالناس مروان بن الحكم وهو يتوقع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه، وارتجع
معاوية منه فدك وكان وهبها له.
سنة تسع وأربعين
في هذه السنة عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة، في شهر ربيع الأول، وأمر سعيد
بن العاص، فكانت ولاية مروان المدينة ثماني سنين وشهرين، وكان على قضاء المدينة عبد
الله بن الحارث بن نوفل، فعزله سعيد حين ولي، واستقضى أبا سلمة عبد الرحمن.
وفاة الحسن بن علي
بن أبي طالب رضي الله عنه
قد اختلف في وقت وفاته رضي الله عنه، فقيل: في سنة تسع وأربعين، وقيل: بل مات في
شهر ربيع الأول في سنة خمسين، وقيل مات في سنة إحدى وخمسين، ودفن في بقيع الغرقد،
وصلى عليه سعيد بن العاص أمير المدينة، قدمه الحسين للصلاة عليه، وقال له لولا أنها
سنة ما قدمتك.
قال أبو عمر بن عبد البر: وقد كانت عائشة رضي الله عنها أباحت له أن يدفن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيتها، وكان قد سألها ذلك في مرضه، فلما مات منع من ذلك
مروان بن الحكم وبنو أمية.
وروى أبو عمر: أن الحسن لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه: " يا أخي إن أباك رحمه
الله لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرف لهذا الأمر رجاء أن يكون

صاحبه، فصرفه الله عنه، وولاها أبا بكر، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف لها أيضاً،
فصرفت عنه إلى عمر، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم، فلم يشك
أنها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان، فلما هلك عثمان بويع له، ثم نوزع حتى جرد
السيف، وطلبها، فما صفا له شيء منها، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت
النبوة والخلافة، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة: فأخرجوك، وإني قد كنت
طلبت إلى عائشة إذا مت أن تأذن لي فأدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قالت: نعم، وإني لا أدري لعلها كان ذلك منها حياء، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها، وما
أظن إلا أن القوم سيمنعونك إذا أردت ذلك، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وادفني في بقيع
الغرقد، فإن لي بمن فيه أشوة، فلما مات الحسن رضي الله عنه أتى الحسين عائشة فطلب
ذلك إليها فقالت: نعم وكرامة. فبلغ ذلك مروان بن الحكم فقال: " كذب وكذبت، والله لا
يدفن هناك أبداً، منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ويريدون دفن الحسن في بيت عائشة ".
فبلغ ذلك الحسين فدخل هو ومن معه في السلاح، واستلأم مروان في الحديد أيضاً، فبلغ ذلك
أبا هريرة رضي الله عنه فقال: " والله ما هو إلا ظلم، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه! والله
إنه لأبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ".
ثم انطلق إلى الحسين فكلمه وناشده الله وقال له: " أليس قد قال أخوك: إن خفت أن
يكون قتال فردني إلى مقبرة المسلمين؟ فلم يزل به حتى فعل، فقدمه الحسين للصلاة، وقال:
هي للسنة.
وشهدها خالد بن الوليد بن عقبة بعد أن ناشد بني أمية أن يخلوه يشهد الجنازة فتركوه
فشهد دفنه في المقبرة، ودفن إلى جانب أمه فاطمة رضي الله عنهما.
قال: وقال أبو قتادة وأبو بكر بن حفص: سم الحسن ابن علي رضي الله عنهما: سمته
امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي. قال: وقالت طائفة كان ذلك منها بتدسيس
معاوية إليها وما بذل في لها ذلك، وكان لها ضرائر وأنه وعدها بخمسين ألف درهم، وأن

يزوجها من يزيد، فلما فعلت وفى لها بالمال، وقال: حبنا ليزيد يمنعنا من الوفاء لك بالشرط
الثاني.
وروى قتادة قال: دخل الحسين على أخيه الحسن رضي الله عنهما فقال: " يا أخي إني
سقيت السم ثلاث مرات، ولم أسق مثل هذه المرة، إني لأضع كبدي! ". فقال الحسين: من
سقاك يا أخي؟ قال: " ما سؤالك عن هذا؟ أتريد أن تقاتله؟ أكلهم إلى الله ".
فلما مات ورد البريد بموته على معاوية فقال: " يا عجباً من الحسن! شرب شربة من
عسل بماء رومة فقضى نحبه! ".
وأتى ابن عباس معاوية فقال له: يا بن عباس احتسب الحسن لا يحزنك الله ولا يسوءك.
قال: أما ما أبقاك الله يا أمير المؤمنين فلا يحزنني الله ولا يسوؤني، فأعطاه على كلمته ألف
ألف درهم وعروضاً وأشياء. وقال خذها فاقسمها على أهلك.
ومات الحسن رضي الله عنه وله من السن يومئذ سبع وأربعون سنة.
وقيل: ست وأربعون سنة.
وكان رضي الله عنه وأرضاه ورعاً فاضلاً، دعاه ورعه وفضله إلى ترك الخلافة رغبة فيما
عند الله، وقال: واله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني أن لي أمر أمة محمد صلى
الله عليه وسلم، على أن يراق في ذلك محجمة دم.
وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص.
سنة خمسين
وفاة المغيرة بن شعبة
في هذه السنة توفي المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب
بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس وهو ثقيف.
وكان الطاعون قد وقع بالكوفة فهرب المغيرة منه، فلما ارتفع عاد إلى الكوفة وطعن، فمات
في شعبان من السنة، وكان طوالاً أعور، ذهب عينه يوم اليرموك، وتوفي وهو ابن سبعين
سنة.
وكان المغيرة من الدهاة، روي عن الشعبي قال: كان دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي
سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه، فأما معاوية فللأناة والحلم، وأما
عمرو فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادهة، وأما زياد فللكبيرة والصغيرة.

وحكى الرياشي عن الأصمعي قال: كان معاوية يقول: أنا للأناة، وعمرو للبديهة، وزياد
للصغار والكبار، والمغيرة للأمر العظيم.
ولما دفن وقف على قبره مصقله بن هبيرة الشيباني وقال:
إن تحت الأحجار حزماً وجوداً وخصيماً ألد ذا معلاق
حية في الوجار أربد لا ين فع منه السليم نفث الراقي
ثم قال، أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت، شديد الأخوة لمن آخيت. وكان
المغيرة كثير الزواج، قال أبو عمر: قال نافع أحصن المغيرة ثلاثمائة امرأة في الإسلام. قال:
وغيره يقول: ألف امرأة.
ولما حضرته الوفاة استخلف على الكوفة ابنه عروة، وقيل: استخلف جريراً، فولى معاوية
زياداً.
ولاية زياد الكوفة
قال: ولما مات المغيرة استعمل معاوية زياداً على الكوفة، وهو أول من جمع له بين الكوفة
والبصرة، فسار إلى الكوفة، واستخلف على البصرة سمرة بن جندب، فكان زياد يقيم
بالكوفة ستة أشهر، وبالكوفة ستة أشهر.
ولما وصل الكوفة خطبهم، فحصب وهو على المنبر، فجلس حتى أمسكوا، ثم دعا قوماً
من خاصته فأمرهم فأخذوا أبواب المسجد ثم قال: ليأخذن كل رجل منكم جليسه، ولا
يقولن لا أدري من جليسي.
ثم أمر بكرسي فوضع على باب المسجد، ثم دعاهم أربعة أربعة يحلفون: ما منا من
حصبك، فمن حلف خلاه، ومن لم يحلف حبسه، حتى صاروا ثلاثين، وقيل: ثمانين، فقطع
أيديهم، واتخذ زياد المقصورة حين حصب.
قال: وأما سمرة فإنه أكثر القتل بالبصرة لما استخلفه زياد عليها، قال ابن سيرين: قتل سمرة
في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف. فقال زياد: أتخاف أن تكون قتلت بريئاً؟ قال: لو قتلت
معهم مثلهم ما خشيت.
وقال أبو السوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين، كلهم قد
جمعوا القرآن.
وركب سمرة يوماً، فلقيت أوائل خيله رجلاً فقتلوه، فمر به سمرة وهو يتشحط في دمه،
فقال: ما هذا؟ قيل: أصابه أوائل خيلك، فقال إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا.

نقل المنبر من المدينة إلى الشام
ومن قصد ذلك بعده من الأمراء
في هذه السنة أمر معاوية بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحمل إلى الشام، وقال:
لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهم قتلة عثمان. فطلب العصا،
وهي عند سعد القرظ وحرك المنبر، فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية، فأعظم
الناس ذلك فتركه.
وقيل أتاه جابر وأبو هريرة فقالا: يا أمير المؤمنين لا يصلح أن تخرج منبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم من موضع وضعه، وتنقل عصاه إلى الشام فانقل المسجد، فتركه وزاد فيه
ست درجات، واعتذر مما صنع.
فلما ولي عبد الملك بن مروان هم بالمنبر، فقال قبيصة بن ذؤيب أذكرك الله أن لا تفعل،
إن معاوية حركه فكسفت الشمس، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من حلف
على منبري آثماً فليتبوأ مقعده من النار " وهو مقطع الحقوق بينهم بالمدينة. فتركه عبد
الملك.
فلما ولى الوليد ابنه وحج هم بدلك، فأرسل سعيد بن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز
فقال: كلم صاحبك لا يتعرض للمسجد ولا لله والسخط له، فكلمه عمر فتركه.
فلما حج سليمان بن عبد الملك أخبره عمر بما كان من الوليد، فقال سليمان: " ما كنت
أحب أن يذكر عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا، ولا عن الوليد، ما لنا ولهذا؟ أخذنا
الدنيا فهي في أيدينا، ونريد أن نعمد إلى علم من أعلام الإسلام يوفد إليه فنحمله، هذا ما لا
يصلح! ".
وفيها عزل معاوية معاوية بن حديج عن مصر، واستعمل عليها مسلمة بن مخلد مع إفريقية
وكان على إفريقية عقبة بن نافع، وكان قد اختط قيروانها، وكان موضعه غيضة لا ترام من
السباع والحيات فدعا الله عليها، فلم يبق منها شيء إلا خرج هارباً، حتى إن كانت
السباع لتحمل أولادها، وبنى الجامع، فلما عزله معاوية عن إفريقية وأضافها إلى مسلمة بن
مخلد استعمل على إفريقية مولى له يقال له: أبو المهاجر، فلم يزل عليها حتى هلك معاوية.

وقيل: إن عقبة بن نافع ولي إفريقية في هذه السنة وعمر مدينة القيروان، وكانت غيضة
على ما تقدم، فدعا الله تعالى، وكان مستجاب الدعوة، ثم نادى: " أيتها الحيات والسباع،
إنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فإنا نازلون، ومن وجدناه بعد
ذلك قتلناه ".
فنظر الناس إلى الدواب تحمل أولادها وتنتقل، فأسلم كثير مكن البربر، وقطع الأشجار
وأمر ببناء المدينة، فبنيت وبنى المسجد الجامع، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم، وكان
دور القيروان ثلاثة آلاف باع وستمائة باع. وسنذكر إن شاء الله تعالى ذلك بما هو أبسط
من هذا في أخبار إفريقية وبلاد الغرب.
وفاة الحكم بن عمرو الغفاري
وفي هذه السنة توفي الحكم بن عمرو الغفاري بمرو، على أحد الأقوال، وله صحبة، وكان
زياد قد كتب إليه: " إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء، فلا
تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة ". فكتب إليه الحكم: " بلغني ما أمر به أمير المؤمنين، وإني
وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله لو أن السماوات والأرض كانتا رتقاً
على عبد ثم اتقى الله لجعل له فرجاً ومخرجاً، والسلام عليك ". ثم قال للناس: اغدوا
على أعطياتكم وما لكم، فقسمه بينهم، ثم قال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني
إليك. فمات، واستخلف لما حضرته الوفاة أنس بن أبي أناس.
وحج بالناس في هذه السنة معاوية، وقيل: بل حج ابنه يزيد.
وفيها توفي عثمان بن أبي العاص الثقفي، وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد
شمس، وأبو موسى الأشعري، وقيل: سنة اثنتين وخمسين، وتوفي غيرهم من الصحابة
رضي الله عنهم.
سنة إحدى وخمسين
في هذه السنة استعمل زياد بن أبيه الربيع بن زياد الحارثي على خراسان بعد وفاة الحكم،
وكان الحكم قد استخلف أنس بن أبي أناس كما ذكرنا فعزله زياد، وولى خليد بن عبد الله
الحنفي، ثم عزله، وولي الربيع في أول سنة إحدى وخمسين، وسير معه خمسين ألفاً بعيالهم

من أهل الكوفة والبصرة، منهم بريدة بن الحصيب وأبو برزة، ولهما صحبة، فسكنوا
خراسان، فلما قدمها غزا بلخ ففتحها صلحاً، وكانت قد أغلقت بعدما صالحهم الأحنف،
وفتح قهستان عنوة وقتل من بناحيتها من الأتراك، وبقي منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن
مسلم في لايته. والله ولي التوفيق.
وولي زياد، فقام في الناس فخطبهم عند قدومه فترحم على عثمان وأثنى على أصحابه،
ولعن قاتليه، فقام حجر ففعل كما كان يفعل بالمغيرة.
ورجع زياد إلى البصرة، واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث فبلغه أن حجراً يجتمع إليه
شيعة علي رضي الله عنه، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه، وأنهم حصبوا عمرو بن
حريث. فشخص إلى الكوفة، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وحجر جالس، ثم
قال: " أما بعد، لإن غب البغي والغي وخيم، إن هؤلاء جموا فأشروا، وأمنوني فاجترأوا
على الله، لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم، ولست بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر
وأدعه نكالاً لمن بعده! ويل أمك يا حجر، سقط العشاء بك على سرحان! " وأرسل إلى
حجر يدعوه وهو في ناحية المسجد، فأتاه الرسول يدعوه إليه، فقال أصحابه، لا يأتيه ولا
كرامة! فرجع السول فأخبر زياداً، فأمر صاحب شرطته - وهو شداد بن الهيثم الهلالي -
أن يبعث إليه جماعة، ففعل، فسبهم أصحاب حجر فرجعوا فأخبروا زياداً.
فجمع أهل الكوفة وقال: " تشجون بيد وتأسون بأخرى، أبدانكم معي وقلوبكم مع حجر
الأحمق، هذا والله من دحسكم، والله لتظهرن لي براءتكم، أو لآتينكم بقوم أقيم بهم
أودكم وصعركم ". فقالوا: معاذ الله أن يكون لنا رأي إلا طاعتك وما فيه رضاك. قال:
فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله. ففعلوا ذلك، وأقاموا أكثر
أصحابه عنده.
وقال زياد لصاحب شرطته: انطلق إلى حجر فإن تبعك فأتني به، وإلا فشدوا عليهم
بالسيوف حتى تأتوني به. فأتاه صاحب الشرطة يدعوه، فمنعه أصحابه من إجابتهم،

فحمل عليهم، فقال أبو العمرطة الكندي لحجر: " إنه ليس معك من معه سيف غيري،
وماذا يغني عنك سيفي؟ قم فالحق بأهلك يمنعك قومك ". وزياد ينظر إليهم وهو على
المنبر، فغشيهم أصحاب زياد، وضرب رجل رأس عمرو ابن الحمق بعمود فوقع، وحمله
أصحابه إلى الأزد فاختفى عندهم حتى خرج، وانحاز أصحاب حجر إلى أبواب كندة،
وضرب بعض الشرطة يد عائذ بن حملة التميمي وكسر نابه، فأخذ عموداً من بعض
الشرط فقاتل به، وحمى حجراً وأصحابه حتى خرجوا من أبواب كندة، وأتى حجر ببغلته
فقال له أبو العمرطة: اركب فقد قتلتنا ونفسك. وحمله حتى أركبه، وركب أبو العمرطة
فرسه، ولحقه يزيد بن ظريف المسلي فضرب أبا العمرطة بالعمود على فخده، وأخذ أبو
العمرطة سيفه فضرب به رأسه فسقط. فكان ذلك السيف أول سيف يضرب به في
الكوفة في اختلاف بين الناس.
ومضى حجر وأبو العمرطة إلى دار حجر، واجتمع واجتمع إليهما ناس كثير، ولم يأته من
كندة كثير أحد، ثم اختفى حجر، وتنقل من مكان إلى آخر، والطلب خلفه، حتى أتى
الأزد، واختفى عند ربيعة بن ناجد.
فلما أعياهم طلبه دعا زياد محمد بن الأشعث، وقال له: والله لتأتيني به أو لأقطعن كل
نخلة لك، وأهدم دورك، ثم أقطعك إرباً إرباً، فاستمهله، فأمهله ثلاثاً، وأقام حجر ببيت
ربيعة يوماً وليلة، فأرسل إلى محمد بن الأشعث يقول له: ليأخذ له أماناً من زياد حتى يبعث
به إلى معاوية، فجمع محمد جماعة، منهم جرير ابن عبد الله، وحجر بن يزيد، وعبد الله بن
الحارث أخو الأشتر، فدخلوا على زياد فاستأمنوا له أن يرسله إلى معاوية فأجابهم،
فأرسلوا إلى حجر فحضر عند زياد، فلما رآه قال: " مرحباً أبا عبد الرحمن، حرب أيام
الحرب، وحرب وقد سالم الناس! على أهلها تجني براقش ". فقال حجر: " ما خلعت
طاعة، ولا فارقت جماعة، وإن يعلى بيعتي ". فأمر به إلى السجن، فلما ولي قال زياد: والله
لأحرضن على قطع خيط رقبته... وطلب أصحابه.

فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعة بن شداد، فاختفيا بجبل هناك،
فرفع خبرهما إلى عامل الموصل، وهو عبد الرحمن ابن عبد الله عثمان الثقفي، ويعرف بابن
أم الحكم وهو ابن أخت معاوية؛ فسار إليهما فخرجا إليه، وكان عمرو قد استسقى بطنه،
فأمسك، وركب رفاعة فرسه وحمل على القوم، فأفرجوا له، فنجا، وكتب عامل الموصل إلى
معاوية بخبر عمرو بن الحمق، فكتب إليه معاوية: " إنه يزعم أنه طعن عثمان تسع طعنات
بمشاقص معه، فاطعنه كما طعن عثمان ". فطعنه فمات في الأولى منها أو الثانية.
وجد زياد في طالب أصحاب حجر، فهربوا منه، وأخذ من قدر عليه منهم، فاجتمع له
اثنا عشر رجلاً في السجن.
ثم دعا رؤساء الأرباع يومئذ، وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة، وخالد بن
عرفطة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة، وأبو بردة بن أبي
موسى على ربع مذحج وأسد، فشهد هؤلاء أن حجر بن عدي جمع الجموع، وأظهر شتم
الخليفة، ودعا إلى حربه، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب، وأنه وثب
بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه
وأهل حزبه، وشهدوا أن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه وأمره.
ونظر زياد في شهادة الشهود فقال: إني أحب أن يكونوا أكثر من أربعة، فدعا الماس
ليشهدوا فشهد إسحاق وموسى ابنا طلحة ابن عبيد الله، والمنذر بن الزبير، وعمارة بن
عقبة بن أبي معيط، وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم.
وكتب في الشهود شريح بن الحارث القاضي وشريح بن هانئ، فكان شريح بن هانئ يقول:
ما شهدت.
ثم دفع زياد حجر بن عدي الكندي وأصحابه وهم الأرقم بن عبد الله الكندي، وشريك
بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكريم بن
عفيف الخثعمي وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمي البجلي، وكدام بن حيان،

وعبد الرحمن بن حسان؛ العنزيان التميميان، ومحرز بن شهاب التميمي، وعبد الله بن حوية
السعدي التميمي إلى وائل ابن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى
الشام، فلحقهم شريح بن هانئ بعد مسيرهم، وأعطى وائلاً كتاباً وقال: أبلغه أمير المؤمنين.
فساروا حتى انتهوا إلى مرج عذراء بالقرب من دمشق، وأبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن
الأخنس من سعد بن بكر، وسعد بن نمران الهمداني، فكملوا أربعة عشر رجلاً، فلما
انتهوا إلى مرج عذراء بعث معاوية إلى وائل بن حجر، وكثير بن شهاب فأدخلهما، وأخذ
كتابهما فقرأه، ثم قرأ كتاب شريح فإذا فيه: " بلغني أن زياداً كتب شهادتي، وإن شهادتي
على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر، حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه ".
فقال معاوية: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم.
فقام يزيد بن أسد البجلي فاستوهبه ابني عمه وهما عاصم وورقاء، وكان جرير بن عبد
الله البجلي قد كتب بتزكيتهما وبراءتهما فأطلقهما معاوية، وشفع وائل بن حجر بالأرقم
فتركه له، وشفع ابن الأعور السلمي في عتبة فتركه له، وشفع حمرة بن مالك الهمداني في
سعد بن نمران فوهبه له، وشفع حبيب بن مسلمة في عبد الله بن حوية فتركه له، وقام
مالك بن هبيرة السكوني، فقال: دع لي ابن عمي حجراً، فقال: " هو رأس القوم، وأخاف
إن خليت سبيله أن يفسد علي مصره، فأحتاج أن أشخصك إليه بالعراق! " فقال: " والله
ما أنصفتني يا معاوية! قاتلت معك ابن عمك يوم صفين حتى ظفرت وعلا كعبك، ولم تخف
الدوائر، ثم سألتك ابن عمي فمنعتني إياه ". ثم انصرف فجلس في بيته.
فبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي، والحصين بن عبد الله الكلابي وأبا شريف البدي
إلى حجر وأصحابه؛ ليقتلوا من أمروا بقتله، فأتوهم عند المساء، فلما رأى الخثعمي
أحدهم أعور قال: يقتل نصفنا ويترك نصفنا! فكان كذلك، وعرضوا عليهم قبل القتل
البراءة من علي ولعنه ويتركوهم، فامتنعوا من ذلك، فحفرت القبور وأحضرت الأكفان.

فقام حجر بن عدي وأصحابه يصلون عامة الليل، فلما كان من الغد قدموا للقتل، فقال لهم
حجر: اتركوني حتى أتوضأ وأصلي فإني ما توضأت إلا صليت. فتركوه، فصلى ثم
انصرف، وقال: والله ما صليت صلاة قط أخف منها، ولولا أن تظنوا بي جزعاً من الموت
لاستكثرت منها. ثم قال: " اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا،
وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها إني لأول فارس من المسلمين هلك في
واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها ". ثم مشى إليه هدبة بن فياض بالسيف،
فارتعد، فقالوا له: زعمت أنك لا تجزع من الموت فابرأ من صاحبك وندعك. فقال: "
ومالي لا أجزع وأرى قبراً محفوراً وكفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً. وإني والله إن جزعت
من القتل لا أقول ما يسخط الرب ". فقتلوه وقتلوا خمسة.
فقال عبد الرحمن بن حسان - وكريم الخثعمي: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في
هذا الرجل مثل مقالته. فاستأذنوا معاوية فيهما، فأذن بإحضارهما، فلما دخلوا عليه قال
كريم: " الله الله يا معاوية! فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ثم
مسئول عما أردت بسفك دمائنا. فقال: ما تقول في علي؟ قال: أقول فيه قولك. قال: أتبرأ
من دينه الذي يدين الله به؟ فسكت، وقام شمر ابن عبد الله من بني قحافه بن خثعم،
فاستوهبه إياه، فوهبه له على ألا يدخل الكوفة.
ثم قال لعبد الرحمن: ما تقول في علي يا أخا ربيعة؟ قال: دعني لا تسألني فهو خير لك.
قال: والله لا أدعك. قال: " أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً، من الآمرين بالحق
والقائمين بالقسط والعافين عن الناس رضي الله عنه ". قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو
أول من فتح أبواب الظلم، وغلق أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت ولا
ربيعة بالوادي. يعني ليشفعوا فيه فرده إلى زياد وأمره أن يقتله شر قتلة، فدفنه حياً.
وكان عدة من قتل سبعة وهم: حجر بن عدي، وشريك بن شداد، وصيفي بن فسيل،
وقبيصة بن ضبيعة، وحرز بن شهاب، وكدام بن حيان، وعبد الرحمن بن حسان الذي

دفن حياً.
قال: وأما مالك بن هبيرة السكوني حين لم يشفعه معاوية في حجر، فإنه جمع قومه وسار
بهم إلى عذراء ليخلص حجراً وأصحابه، فلقيه قتلتهم، فلما رأوه علموا أنه جاء ليخلص
حجراً، فقال لهم: ما وراءكم؟ قالوا: قد تاب القوم وجئنا لنخبر أمير المؤمنين. فسكت
وسار إلى عذراء فلقيه بعض من جاء منها فأخبره بقتل القوم، فأرسل الخيل في قتلهم فلم
يدركوهم، ودخلوا على معاوية فأخبروه، فقال لهم: إنما هي حرارة يجدها في نفسه، فكأنها
قد طفئت. وعاد مالك إلى بيته ولم يأت معاوية، فلما كان الليل أرسل إليه معاوية مائة ألف
درهم، وقال: " ما منعني أن أشفعك إلا خوف أن تعيدوا لنا حرباً، فيكون ذلك من البلاء
على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر ". فأخذها وطابت نفسه.
قال: ولما بلغ الحسن البصري قتل حجر وأصحابه قال: أصلوا عليهم وكفنوهم ودفنوهم
واستقبلوا بهم القبلة؟ قالوا: نعم. قال: حجوهم ورب الكعبة! ".
قال: ولما بلغ خبر حجر عائشة رضي الله عنها، أرسلت عبد الرحمن ابن الحارث إلى
معاوية فيه وفي أصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له عبد الرحمن: أين غاب عنك حلم
أبي سفيان؟ قال: " حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت! ".
وقالت عائشة: " لولا إنا لم نغير شيئاً إلا صارت بنا الأمور إلى ما هو أشد منه لغيرنا قتل
حجر! أما والله إن كان ما علمت لمسلماً حجاجاً معتمراً! ".
وقال الحسن البصري رحمه الله: " أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة
منهن لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف، حتى أخذ الأمر عن غير مشورة،
وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير
ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الولد للفراش
وللعاهر الحجر. وقتله حجراً وأصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر! ".

قيل: وكان الناس يقولون: أول ذل دخل الكوفة موت السن ابن علي، وقتل حجر بن عدي،
ودعوة زياد.
وقالت هند بنت زيد الأنصارية ترثي حجراً وكانت تتشيع.
ترفع أيها القمر المنير تبصر هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ليقتله كما زعم الأمير
تجبرت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولاً كأن لم يحيها مزن مطير
ألا يا حجر حجر بني عدي تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عدياً وشيخاً في دمشق له زئير
فإن يهلك فكل زعيم قوم من الدنيا إلى هلك يصير
وقد قيل في قتل حجر غير ما تقدم، وهو أن زياداً خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر
الصلاة، فقال له حجر بن عدي: الصلاة. فمضى في خطبته فقال له: الصلاة. فمضى في
خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من حصى، وقال إلى الصلاة
وقام الناس معه، فلما رأى زياد ذلك نزل فصلى بالناس، وكتب إلى معاوية وكبر عليه،
فكتب إليه معاوية ليشده في الحديد ويرسله إليه، فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه، فقال
حجر: لا ولكن سمعاً وطاعة. فشد في الحديد، وحمل إلى معاوية، فلما دخل عليه قال:
السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال معاوية: " أأمير المؤمنين أنا؟ والله لأقتلنك ولا أستقيلك
أخرجوه فاضربوا عنقه ".
فقال حجر للذين يلون أمره: دعوني حتى أصلي ركعتين. فقالوا: فصلى ركعتين خفف
فيهما ثم قال: لولا أن تظنوا بي غير الذي أردت لأطلتهما، وقال لمن حضره من قومه: لا
تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً، فإني ملاق معاوية غداً على الجادة ". وضربت
عنقه.
قال: فلقيت عائشة معاوية فقالت: أين كان حلمك عن حجر؟ فقال لم يحضرني رشد؟
وقال ابن سيرين: بلغنا أن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول: يومي منك يا حجر طويل!
وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن معاوية.
سنة اثنتين وخمسين
كان فيها من الغزاة وأمر الخوارج ما قدمن ذكره. وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن
العاص.

سنة ثلاث وخمسين
في هذه السنة توفي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، على أحد الأقوال،
وقيل بعد ذلك.
وفاة زياد بن أبيه
كانت وفاته بالكوفة يوم الثلاثاء لأربع خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين،
واختلف في مولده، فقيل: ولد عام الهجرة، وقيل: قبل الهجرة وقيل ولد يوم بدر. وقال
المدائني: ولد عام التاريخ.
وكان يكنى أبا المغيرة حكاه أبو عمر قال: وليست له صحبة ولا رواية، قال: وكان رجلاً
عاقلاً في دنياه، داهية، خطيباً، له قدر وجلالة عند أهل الدنيا.
قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: وكان زياد كتب إلى معاوية: " إني قد ضبطت لك العراق
بشمالي، ويميني فارغة، فأشغلها بالحجاز ". ففعل. فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نفر منهم
عبد الله ابن عمر بن الخطاب! فذكروا ذلك له، فقال: ادعوا الله عليه يكفيكموه.
فاستقبل القبلة واستقبلوها، فدعوا ودعا، وكان من دعائه أن قال: اللهم اكفنا يمين زياد!
فخرجت طاعونة على إصبع يمينه، فمات منها.
فلما حضرته الوفاة دعا شريحاً القاضي فقال: قد حدث بي ما ترى، وقد أمرت بقطعها
فأشر علي. فقال شريح: إني أخشى أن يكون الأجل قد دنا فتلقى الله أجذم، وقد قطعت
يدك كراهية لقائه، أو أن يكون في الأجل تأخير، فتعيش أجذم ويعير ولدك " فقال: لا أبيت
والطاعون في سجاف واحد، وخرج شريح من عنده فسأله الناس، فأخبرهم فلاموه،
وقالوا: هلا أشرت بقطعها؟ فقال: " المستشار مؤتمن ".
وقيل أراد زياد قطعها، فلما رأى
النار والمكاوي جزع وتركها وقيل: تركها لما أشار عليه شريح.
ولما حضرته الوفاة قال له ابنه: هلا هيأت لك ستين ثوباً أكفنك بها، فقال: يا بني قد دنا
من أبيك لباس خير من لباسه أو سلب سريع! فمات ودفن بالثوية إلى جانب الكوفة، وهو
موضع فيه مقبرة الكوفة.
فلما موته ابن عمر قال: " اذهب ابن سمية! لا الآخرة أدركت، ولا الدنيا أبقيت عليك!
".

قال: وكان زياد فيه حمرة، وفي عينه اليمنى انكسار، أبيض اللحية مخروطها، عليه قميص
ربما رقعه.
وفيها مات الربيع بن زياد الحارثي عامل خراسان قبل وفاة زياد، وكان سبب موته أنه
سخط قتل حجر بن عدي، حتى إنه قال: " لا تزال العرب تقتل بعده صبراً! ولو نفرت عند
قتله لم يقتل رجل منهم صبراً، ولكنها أقرت فذلت! " ثم مكث بعد هذا الكلام جمعة، ثم
خرج يوم الجمعة فقال: " أيها الناس، إني قد مللت الحياة، وإني داع بدعوة فأمنوا ". ثم رفع
يديه بعد الصلاة فقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً! وأمن الناس، ثم
خرج، فما توارت ثيابه حتى سقط، وحمل إلى بيته، واستخلف ابنه عبد الله، ومات من
يومه، ثم مات ابنه بعده بشهرين، واستخلف خليد بن يربوع الحنفي، فأقره زياد، ولما مات
زياد كان على البصرة سمرة بن جندب، وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد، فأقر
معاوية سمرة على البصرة ثمانية عشر شهراً، وقيل ستة أشهر ثم عزله، فقال سمرة: " لعن
الله معاوية! والله لو أطعت الله كما أطعته ما عذبني أبداً! ".
وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص.
سنة أربع وخمسين
ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان
في هذه السنة عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة، واستعمل مروان بن الحكم.
وكان سبب ذلك أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص أن يهدم دار مروان، ويقبض أمواله
كلها فيجعلها صافية ويقبض منه فدك، وكان وهبها له، فراجعه سعيد في ذلك، فأعاد
معاوية الكتاب بذلك، فلم يفعل سعيد، ووضع الكتابين عنده، فعزله معاوية وولى مروان،
وكتب إليه يأمره بقبض أموال سعيد وهدم داره فأخذ الفعلة وسار إلى دار سعيد ليهدمها،
فقال له سعيد: يا أبا عبد الملك أتهدم داري؟ قال: نعم كتب إلي أمير المؤمنين ولو كتب
إليك في هدم داري لفعلت. فقال: ما كنت لأفعل: قال: بلى والله قال: كلا. وقال سعيد
لغلامه: ائتني بكتابي معاوية، فجاء بالكتابين، فلما رآهما مروان قال: كتب إليك فلم تفعل،

ولم تعلمني! فقال سعيد: ما كنت لأمن عليك وإنما أراد معاوية ليحرض بيننا! فقال
مروان: والله أنت خير مني! ولم يهدم داره.
وكتب سعيد إلى معاوية: " العجب لما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا، إنه يضغن بعضنا
على بعض، فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الأخبثين وعفوه، وإدخاله
القطعة بيننا والشحناء، وتوارث الأولاد ذلك، فوالله لو لم نكن بني أب واحد إلا لما جمعنا
الله عليه من نصرة الخليفة المظلوم، وباجتماع كلمتنا لكان حقاً عليك أن ترعى ذلك! "
فكتب إليه معاوية يعتذر من ذلك ويتنصل، وأنه عائد إلى أحسن ما يعهده.
وقدم سعيد على معاوية فسأله عن مروان فأثنى عليه خيراً.
وفي هذه السنة عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة، واستعمل عليها عبد الله بن
عمرو بن غيلان ستة أشهر.

استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان
ومسيره إلى جبال بخارى

وفي هذه السنة استعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان وسبب ذلك أنه قدم عليه
بعد وفاة أبيه، فسأله معاوية عن عمال أبيه، فأخبره بهم، فقال: لو استعملك أبوك
لاستعملتك. فقال عبيد الله: أنشدك الله أن يقولها لي أحد بعدك " لو استعملك أبوك
وعمك استعملتك ". فولاه خراسان وكان عمره خمساً وعشرين سنة.
فسار إليها، وقطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل، فكان أول من قطع جبال بخارى في
جيش، ففتح رامني ونسف وبيكند، وهي من بخارى، ومن ثم أصاب البخارية وغنم منهم
غنائم كثيرة، ولما لقي الترك وهزمهم، كان مع ملكهم زوجته، فأعجلوها عن لبس خفيها،
فلبست أحدهما وبقي الآخر، فأخذه المسلمون فقوم بمائتي ألف درهم. وظهر منه بأس
شديد.
وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وكان على الكوفة عبد الله
بن خالد، وقيل: الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان، والله
أعلم.

سنة خمس وخمسين

ذكر ولاية عبيد الله بن زياد على البصرة
في هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة، وولاها عبيد الله بن
زياد.
وسبب ذلك أن عبد الله خطب على منبر البصرة، فحصبه رجل من بني ضبه، فقطع
يده، فأتاه بنو ضبة وقالوا: " إن صاحبنا جنى ما جنى وقد عاقبته، ولا نأمن أن يبلغ
خبره أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم، فاكتب لنا كتاباً إلى أمير المؤمنين، يخرج به أحدنا
إليه، تخبره أنك قطعته على شبهة وأمر لم يصح " فكتب لهم، فلما كان رأس السنة توجه
عبد الله إلى معاوية، ووافاه الضبيون بالكتاب، وادعوا أنه قطع صاحبهم ظلماً، فلما رأى
معاوية الكتاب قال: " أما القود من عمالي فلا سبيل إليه، ولكني أدي صاحبكم من بيت
المال ". وعزل عبد الله عن البصرة، واستعمل ابن زياد عليها، فولى ابن زياد علة خراسان
أسلم بن زرعة الكلابي.
وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد عن الكوفة، وولاها الضحاك بن قيس، وقيل: كان
قبل ذلك كما تقدم.
وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وهو أمير المدينة.
سنة ست وخمسين
ذكر البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد
في هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية لولاية العهد، قال: وكان ابتداء ذلك وأوله أن
معاوية لما أراد أن يعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة، ويستعمل سعيد بن العاص عليها،
فبلغه ذلك، فشخص إلى معاوية ليستعفيه حتى تظهر للناس كراهيته للولاية، فجاء إلى يزيد
وقال له: " إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكبراء قريش، وإنما
بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم، وأحسنهم رأياً، وأعلمهم بالسياسة، وإني لا أدري ما يمنع
أمير المؤمنين أن يعقل لك البيعة " .
قال: أوترى ذلك يتم؟ قال: نعم فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فلما حضر
المغيرة عند معاوية قال له معاوية: ما يقول يزيد؟ فقال: " يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان
من سفك الدماء، والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعقد له البيعة، فإن

حدث بك حدث كان كهفاً للناس، ولا تسفك الدماء ولا تكون فتنة، قال: ومن لي بهذا؟
قال: " أنا أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين من
يخالفك " . قال: " فارجع إلى عملك وتحدث مع من تثق إليه في ذلك وترى ونرى " .
فودعه ورجع إلى أصحابه فقال: لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة
محمد صلى الله عليه وسلم.
ورجع المغيرة، فلما قدم الكوفة ذاكر من يثق إليه من شيعة معاوية فأجابوا إلى بيعته،
فأوفد منهم عشرة، ويقال أكثر، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسى،
فقدموا على معاوية وزينوا له بيعة يزيد، ودعوه إلى عقدها، فقال: لا تعجلوا بإظهار هذا
وكونوا على رأيكم، ثم قال لموسى، بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفاً،
فقال: لقد هان عليهم دينهم.
وقيل: أرسل أربعين، وجعل عليهم ابنه عروة بن المغيرة، فلما دخلوا على معاوية قاموا
خطباء فقالوا: إنما أشخصنا إليك النظر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقالوا: " يا
أمير المؤمنين، كبرت سنك، وخفنا انتشار الحبل، فانصب لنا علماً وحد لنا حداً ننهي إليه
" . فقال: أشيروا علي. فقالوا: نشير بيزيد بن أمير المؤمنين، فقال: أوقد رضيتموه؟ قالوا:
نعم. قال: وذاك رأيكم؟ قالوا: نعم ورأي من ورائنا. فقال معاوية لعروة سراً عنهم: بكم
اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربعمائة دينار. قال: لقد وجد دينهم عندهم
رخيصاً، وقال لهم: " ننظر ما قدمتم له، ويقضي الله تعالى ما أراد، والأناة خير من العجلة
". فرجعوا وقد قوي عزم معاوية على البيعة ليزيد.
مراسلاته في شأن البيعة
وما دار بين زياد وبين عبيد بن كعب النميري من الرأي وما اتفقا عليه
قال: ولما قوي عزم معاوية على البيعة ليزيد، كتب إلى زياد بن أبيه يستشيره، وزياد إذ ذاك
يلي البصرة، فلما ورد عليه كتاب معاوية أحضر عبيد بن كعب النميري وقال له: " إن لكل
مستشير ثقة، ولكل سر مستودع، وإن الناس قد أبع بهم خصلتان: إذاعة السر وإخراج

النصيحة إلى غير أهلها، وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل آخرة يرجو ثواباً، ورجل
دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه، وقد خبرتهما منك، وقد دعوتك إلى أمر
أبهمت عليه بطون الصحف، إن أمير المؤمنين كتب إلي يستشيرني في كذا وكذا، وإنه
يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعته، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب
رسلة وتهاون، مع ما قد أولع به من حب الصيد فالق أمير المؤمنين وأد إليه عني فعلات
يزيد، وقل له رويدك بالأمر وأحرى أن يتم لك، ولا تعجل فإن دركاً في تأخير خير من فوت
في عجلة ". فقال له عبيد: أفلا غير هذا؟ قال: وما هو؟ قال: " لا تفسد على معاوية
رأيه، ولا تبغض إليه ابنه، وألقى أنا يزيد وأخبره أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في
البيعة له، وأنك تتخوف خلاف الناس، لهنات ينقمونها عليه، وأنك ترى له ترك ما ينقم
عليه، لتستحكم له الحجة على الناس ويتم ما تريد، فتكون قد نصحت أمير المؤمنين،
وسلمت مما يخاف من أمر الناس ". فقال زياد: " لقد رميت الأمر بحجره! اشخص على
بركة الله، فإن أصبت فما لا ينكر، وإن يكن خطأ فغير مستغش، ونقول ما ترى ويقضي
الله بغيب ما يعلم ".
فقدم عبيد على يزيد، فذكر ذلك له، فكف عن كثير مما كان يصنع.
وكب زياد إلى معاوية يشير عليه بالتؤدة وألا يعجل. فتأخر الأمر حتى مات زياد ثم عزم
معاوية على البيعة.
إرسال معاوية إلى مروان بن الحكم وأمر البيعة
وإنكار أهل المدينة ذلك وما وقع بسببه
قال: ولما عزم معاوية على البيعة ليزيد أرسل إلى عبد الله بن عمر بمئة ألف درهم، فقبلها،
فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر رضي الله عنه: " هذا أراد؟ إن ديني إذاً عندي
لرخيص! " وامتنع. ثم كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحكم، وهو على المدينة
يومئذ، يقول: " إني قد كبرت سني، ورق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي،
وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك،

فاعرض ذلك عليهم، وأعلمني بالذي يردون عليك ".
فقام مروان في الناس وأخبرهم، فقال الناس: أصاب ووفق، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا
يألو. فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فأعاد عليه الجواب بذكر يزيد، فقام مروان في الناس
فقال: إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده.
فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال: " كذبت والله يا مروان،
وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنكم أردتم أن
تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل! ". فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه : "
والذي قال لوالديه أف لكما " الآية. فسمعت عائشة رضي الله عنها مقالته، فقامت من
وراء الحجاب وقالت: يا مروان! فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه، فقالت: " إن القائل
لعبد الرحمن إنه نزل فيه القرآن كذب، والله ما هو فيه، ولكنه فلان بن فلان، ولكنك أنت
فضض من لعنة نبي الله صلى الله عليه وسلم ".
وقام الحسين بن علي رضي الله عنهما فأنكر ذلك، وفعل مثله عبد الله بن عمر، وعبد
الله بن الزبير.
فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فأوجب ذلك مسيره إلى الحجاز بعد أن أخذ بيعة أهل
العراق والشام!.
من وفد إلى معاوية من أهل الأمصار
في شأن البيعة. وما تكلم به بعضهم وبيعة أهل العراق والشام ليزيد
قال: وكان معاوية قد كتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه، وأن يوفدوا إليه الوفود من
الأمصار، فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة، والأحنف بن قيس في وفد
أهل البصرة، فقال محمد بن عمرو لمعاوية: إن كل راع مسئول عن رعيته فانظر من تولى أمر
أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فأخذ معاوية يهتز حتى جعل يتنفس في يومٍ شاتٍ، ثم
وصله وصرفه.
وأمر معاوية الأحنف بن قيس أن يدخل على يزيد فدخل عليه، فلما خرج من عنده قال
له: كيف رأيت ابن أخيك؟ قال: رأيت شباباً ونشاطاً وجلداً ومزاحاً.

ثم إن معاوية قال للضحاك بن قيس الفهري لما اجتمع الوفود عنده: إني متكلم فإذا سكت
فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثني عليها، فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر
الإسلام وحرمة الخلافة وحقها، وما أمر الله تعالى به من طاعة ولاة الأمر، ثم ذكر يزيد
وفضله وعلمه بالسياسة، وعرض ببيعته.
فعارضه الضحاك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "يا أمير المؤمنين، إنه لابد للناس من وال
بعدك وقد بلونا الجماعة والألفة فوجدناهما أحقن للدماء، وأصلح للدهماء، وآمن للسبيل،
وخيراً في العافية، والأيام عوج رواجع، والله كل يوم في شأن، ويزيد بن أمير المؤمنين في حسن
هديه وقصد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علماً وحلما، وأبعدنا رأيا، فوله
عهدك، واجعله لنا علماً بعدك، ومفزعاً نلجأ إليه ونسكن إلى ظله". وتكلم عمرو ابن
سعيد الأشدق بنحو من ذلك.
ثم قام يزيد بن المقنع العذري فقال: هذا أمير المؤمنين -وأشار إلى معاوية- فغن هلك فهذا
-وأشار إلى يزيد- ومن أبى فهذا -وأشار إلى سيفه- فقال معاوية: اجلس فأنت سيد
الخطباء.
وتكلم من حضر من الوفود، فقال معاوية للأحنف: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: "نخافكم إن
صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره
وعلانيته ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله تعالى ولهذه الأمة رضىً فلا تشاور فيه،
وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا، وأنت صائر إلى الآخرة، وإنما علينا أن نقول:
سمعنا وأطعنا". وقام رجل من أهل الشام فقال: "ما ندري ما تقول هذه المعدية العراقية،
وإنما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف.
فافترق الناس يحكون قول الأحنف.
قال: وكان معاوية يعطي المقارب، ويداري المباعد ويلطف به، حتى استوثق له أكثر
الناس، وبايعوه، فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز.
مسير معاوية إلى الحجاز
وكيف أخذ البيعة ليزيد على أهل الحجاز
قال: وفي هذه السنة اعتمر معاوية في شهر رجب، وسار إلى الحجاز في ألف فارس، فلما

دنا من المدينة لقيه الحسن بن علي رضي الله عنهما أول الناس، فلما نظر إليه معاوية قال:
"لا مرحباً ولا أهلا! بدنةٌ يترقرق دمها والله مهريقه!" قال: مهلاً فإني لست بأهل لهذه
المقالة. قال بلى ولشر منها.
ثم لقيه عبد الله بن الزبير فقال له: "لا مرحباً ولا أهلا! خب ضب، تلعة يدخل رأسه
فيضرب بذنبه، ويوشك والله أن يؤخذ بذنبه ويدق ظهره، نحياه عني" فضرب وجه
راحلته.
ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال له معاوية: "لا مرحباً ولا أهلا! شيخ قد
خرف وذهب عقله" ثم أمر بضرب وجه راحلته: ثم فعل بابن عمر نحو ذلك.
فأقبلوا معه لا يتلفت إليهم حتى دخل المدينة، فحضروا بابه فلم يؤذن لهم على منازلهم،
ولم يروا منه ما يحبون، فخرجوا إلى مكة، فأقاموا بها.
وخطب معاوية بالمدينة، فذكر يزيد فمدحه، وقال: "من أحق منه بالخلافة في فضله
وعقله؟ وموضعه؟ وما أظن قوما بمنتهين حتى يصيبهم بوائق تجتث أصولهم، ولقد أنذرت
إن أغنت النذر" ثم أنشأ متمثلا:
قد كنت حذّرتك آل المصطلق وقلت يا عمرو أطعني وانطلق
إنك إن كلّفتني ما لم أطق ساءك ما سرّك منّي من خلق
دونك ما استسقيته فاحس وذق
ثم دخل على عائشة رضي الله عنها وقد بلغها أنه ذكر الحسين وأصحابه، فقال: "لأقتلنهم
إن لم يبايعوا" فشكاهم إليها، فوعظته عائشة وقالت: بلغني أنك تهددهم بالقتل، فقال: "يا أم
المؤمنين، هم أعز من ذلك، ولكني بايعت ليزيد، وبايعه غيرهم، أفترين أن أنقض قد
تمت؟". قالت: فارفق بهم فإنهم يصيرون إلى ما تحب إن شاء الله. قال: أفعل. وكان في
قولها له: ما يؤمنك أن أقعد لك رجلاً يقتلك وقد فعلت بأخي ما فعلت؟ تعني محمداً فقال
لها: كلا يا أم المؤمنين إني في بيت أمن. قالت: أجل.
ومكث معاوية بالمدينة ما شاء الله، ثم خرج إلى مكة، فلقيه الناس، فقال أولئك النفر:
نتلقاه لعله قد ندم على ما كان منه، فلقوه في بطن مرّ، فكان أول من لقيه الحسين رضي الله
عنه، فقال له معاوية: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله وسيد شباب المسلمين. وأمر له بدابة

وركب وسايره، ثم فعل بالباقين مثل ذلك، وأقبل يسايرهم ولا يسير معه غيرهم حتى دخل
مكة، فكانوا أول داخل عليه وآخر خارج، ولا يمضي يوم إلا ولهم منه صلة، ولا يذكر لهم
شيئاً، حتى قضى نسكه وحمل أثقاله وقرب مسيره، فقال بعضهم لبعض: "لا تخدعوا فما
صنع هذا لحبكم، وما صنعه إلا لما يريد أن يفعل، فأعدوا له جواباً" فاتفقوا على أن يكون
المخاطب له عبد الله ابن الزبير.
فأحضرهم معاوية وقال: "قد علمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم وحملي ما كان
منكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم، وأردت أن تقدموه باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تولون
وتعزلون وتؤمرون، وتجبون المال وتقسمونه، ولا يعارضكم في شيء م ذلك". فسكتوا، فقال:
ألا تجيبون؟ مرتين.
ثم أقبل على عبد الله بن الزبير ثم قال: هات فلعمري إنك خطيبهم. قال: نعم، نخيرك بين
ثلاث خصال. قال: اعرضهن. قال: تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو
كما صنع أبو بكر، أو كما صنع عمر رضي الله عنهما، قال معاوية: ما صنعوا؟ قال:
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف أحدا، فارتضى الناس أبا بكر. قال:
ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف الاختلاف. قالوا: "صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر،
فإنه عمد إلي رجل من قاصية قريش ليس من بني تميم فاستخلفه، أو كما صنع عمر، جعل
الأمر شورى في ستة نفر، ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه". قال معاوية: هل
عندك غير هذا؟ قال: لا، قال: فأنتم؟ قالوا: قولنا قوله. قال: "فإني أحببت أن أتقدم
إليكم، إنه قد أعذر من أنذر، إني كنت أخطب، فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على
رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح، وإني قائم لمقالة فأقسم بالله لئن رد علي أحدٌ منكم
كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمةٌ غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين
رجل إلا على نفسه!".
ثم دعا صاحب حرسه حضرتهم فقال له: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين، ومع

كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يرد عليّ كلمةً بتصديق أو تكذيب فليضرباه
بسيفيهما.
ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إن هؤلاء الرهط
سادة المسلمين وخيارهم، لا يبرم أمر دونهم ولا يقضى إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا
وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله". فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر، ثم
ركب معاوية رواحله وانصرف إلى المدينة.
فلقي الناس أولئك النفر فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون فلما أرضيتم وأعطيتم بايعتم!
قالوا: والله ما فعلنا. قالوا: فما منعكم أن تردوا على الرجل؟ قالوا: كادنا وخفنا القتل.
وبايعه أهل المدينة، ثم انصرف إلى الشام، وجفا بني هاشم، فأتاه ابن عباس فقال له: ما
بالك جفوتنا؟ قال: إن صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تنكروا ذلك عليه. فقال: "يا معاوية،
إني لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل، فأقيم، ثم أنطلق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم
خوارج عليك". قال يا أبا العباس تعطون وترضون وترادون!.
وقيل: إن ابن عمر قال لمعاوية: "أبايعك على أني داخل فيما تجتمع عليه الأمة، فوالله لو
اجتمعت على حبشي لدخلت معها". ثم عاد إلى منزله، فأغلق بابه، فلم يأذن لأحد.
وقد ذكرنا وفاة عبد الرحمن بن أبي بكر في سنة ثلاث وخمسين، والمشهور أنه كان في هذه
الحادثة باق، وقد ورد خبره مع مروان ابن الحكم وما قالته عائشة رضي الله عنها في
الصحيح.
استعمال سعيد بن عثمان
بن عفان على خراسان وغزوه
في هذه السنة استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان وعزل ابن زياد
عنها، وكان سبب ذلك أنه سأل معاوية أن يستعمله على خراسان، فقال: إن بها عبيد الله
بن زياد. فقال: "والله لقد اصطنعك أبي حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا تجارى إليه
ولا تسامى، فما شكرت بلاءه ولا جازيته بآلائه، وقدمت على هذا -يعني يزيد- وبايعت
له، والله لأنا خيرٌ أباً وأماً ونفسا!" فقال معاوية: أما بلاء أبيك فقد يحق على الجزاء به،

وقد كان من شكري لذلك أني قد طلبت بدمه، وأما فضل أبيك على أبيه فهو والله خيرٌ
مني، وأما فضل أمك على أمه فلعمري امرأة من قريش خير من امرأة من كلب، وأما
فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة ملئت به رجالاً مثلك!" فقال له يزيد: "يا أمير
المؤمنين، ابن عمك، وأنت أحق من نظر في أمره، قد عتب عليك فأعتبه". فولاه حرب
خراسان، وولى إسحاق ابن طلحة خراجها، فمات إسحاق بالري فولى سعيد حربها
وخراجها.
فلما قدم خراسان قطع النهر إلى سمرقند، فخرج إليه أهل الصغد، فتواقفوا يوماً إلى الليل
ولم يقتتلوا، ثم اقتتلوا من الغد، فهزمهم سعيد، وحصرهم في مدينتهم، فصالحوه وأعطوه
رهناً منهم خمسين غلاماً من أبناء عظمائهم، فسار إلى الترمذ ففتحها صلحاً، ولم يف لأهل
سمرقند، وجاء بالغلمان معه إلى المدينة.
وفي هذه العزوة قتل قثم بن العباس بن عبد المطلب.
وحج في الناس في هذه السنة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.
سنة سبع وأربعين
في هذه السنة عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة، واستعمل الوليد بن عتبة بن أبي
سفيان. وقيل: لم يعزل مروان في هذه السنة.
وحج بالناس الوليد بن عتبة.
سنة ثمان وأربعين
في هذه السنة توفيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وتوفي عميرة بن يثربي قاضي
البصرة، فاستقضى مكانه هشام بن هبيرة.
وحج بالناس الوليد بن عتبة.
عزل الضحاك عن الكوفة
واستعمال عبد الرحمن بن أم الحكم وطرده عنها واستعماله على مصر وطرده عنها أيضاً
في هذه السنة عزل معاوية الضحاك بن قيس عن الكوفة، واستعمل عليها عبد الرحمن بن
عبد الله بن عثمان الثقفي، وهو ابن أم الحكم، وأم الحكم أخت معاوية، فخرج الخوارج
بالكوفة في ولايته على ما قدمناه من خبرهم.
ثم طرد أهل الكوفة عبد الرحمن لسوء سيرته، فلحق بخاله معاوية، فولاه مصر، فاستقبله
معاوية بن حديج على مرحلتين من مصر، فقال له: ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا

سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة، فرجع.
ثم وفد معاوية بن حديج إلى معاوية، وكان إذا قدم زينت له الطرق بقباب الريحان تعظيماً
لشأنه، فدخل على معاوية وعنده أخته أم الحكم فقالت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال:
"بخ بخٍ! هذا معاوية بن حديج!" فقالت: "لا مرحبا! تسمع بالمعيدي خير من أن تراه".
فسمعها ابن حديج، فقال: "على رسلك يا أم الحكم، والله لقد تزوجت فما أكرمت،
وولدت فما أنجبت، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من
أهل الكوفة، ما كان الله ليريه ذلك، ولو فعل لضربناه ضرباً يطأطىء منه ولو كره هذا
القاعد!" يعني معاوية، فالتفت إليها معاوية فقال: كفى. فكفت.

سنة تسع وخمسين

في هذه السنة استعمل معاوية النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة، بعد ابن أم
الحكم.
واستعمل معاوية عبد الرحمن بن زياد على خراسان فبقي عليها إلى أن قتل الحسين، ثم
قدم على يزيد ومعه عشرون ألف ألف درهم، فقال له يزيد: "إن شئت حاسبناك وأخذنا
ما معك ورددناك إلى خمسمائة ألف درهم" قال بل تعطيني ما معي وتعزلني. ففعل، وأرسل
عبد الرحمن إلى ابن جعفر بألف ألف، وقال: هذه خمسمائة ألف من يزيد وخمسمائة ألف
مني.

عزل عبيد الله بن زياد
عن البصرة وعوده إليها

وفي هذه السنة عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن البصرة وأعاده إليها ولم يول غيره.
وسبب ذلك أن ابن زياد وفد على معاوية في وجوه أهل البصرة وفيهم الأحنف بن قيس،
وكان ابن زياد لا يكرمه، فلما دخلوا على معاوية رحب بالأحنف وأجلسه معه على
سريره، فأحسن الوفد الثناء على عبيد الله بن زياد والأحنف ساكت، فقال له معاوية: ما
بالك يا أبا بحر لا تتكلم؟ فقال: إن تكلمت خالفت القوم. فقال معاوية: انهضوا، عزلته
عنكم واطلبوا والياً ترضونه، فلم يبق من القوم رجل إلا أتى رجلاً من بني أمية أو من أهل

الشام، والأحنف لم يبرح من منزله ولم يأت أحداً، فلبثوا أياماً، ثم جمعهم معاوية، وقال لهم:
من اخترتم فاختلفت كلمتهم، والأحنف ساكت، فقال: مالك لا تتكلم؟ فقال: "إن وليت
علينا أحداً من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحدا، وإن وليت غيرهم فانظر في ذلك".
فرده معاوية عليهم، وأوصاه بالأحنف وقبح رأيه في مباعدته.
وحج بالناسفي هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وفيها توفي سعيد بن العاص.
سنة ستين
ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان وما أوصى به عند وفاته
كانت وفاته بدمشق في شهر رجب من هذه السنة، قيل: في مستهله، وقيل: في النصف
منه، وقيل: لأربع بقين منه، وقيل: في يوم الخميس لثمانٍ بقين من شهر رجب سنة تسع
وخمسين قال: وكان معاوية قد خطب الناس قبل موته فقال: "إني لزرع مستحصد وقد
طالت إمرتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي، لن يأتيكم
بعدي إلا من أنا خير منه، كما أن من كان قبلي كان خيراً مني، وقد قيل: من أحب لقاء
الله أحب الله لقاءه، اللهم إني أحببت لقاءك فأحبب لقائي وبارك لي فيه". فلم يمض غير
قليل حتى ابتدأ به مرضه الذي مات فيه.
قال ولما مرض دعا ابنه يزيد وقال: "يا بني إني قد كفيتك الشد والترحال، ووطأت لك
الأمور، وذللت الأعداء، وأخضعت، لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد،
فانظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب وانظر أهل
العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أيسر من أن يشهر
عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام، فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن رابك من عدوك
شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغيرها
تغيرت أخلاقهم، وإني لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش:
الحسن بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأما ابن
عمر فرجل قد وقذته العبادة، فإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين فإنه رجل خفيف،

ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإن خرج فظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحماً ماسة
وحقاً عظيماً وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم، وأما ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه
صنعوا شيئاً صنع مثله ليست له همة إلا في النساء واللهو، وأما الذي يجثم لك جثوم
الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإن أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها
بك فظفرت به فقطعه إرباً إرباً، واحقن دماء قومك ما استطعت". هكذا في هذه الرواية
ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر، والصحيح أنه مات قبل معاوية.
وقيل إن يزيد كان غائباً في مرض أبيه وموته، وأن معاوية أحضر الضحاك بن قيس ومسلم
بن عقبة المري وأمرهما أن يؤديا عنه هذه الرسالة إلى يزيد ابنه. وصححه ابن الأثير.
قيل: ولما اشتدت علته وأرجف به قال لأهله: احشوا عيني إثمداً وادهنو رأسي، ففعلوا
وبرقوا وجهه، ثم مهد له مجلس وأذن للناس، فدخلوا وسلموا قياماً ولم يجلس أحد، فلما
خرجوا تمثل بقول الأول وهو الهذلي:

وتجلّدي للشّامتين أريهمو أنّي لريب الدهو لا أتضعضع
وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

ومات في يومه.
وكان يتمثل - وقد احتضر -:

فهل من خالد إمّا هلكنا؟ وهل بالموت للنّاس عار؟

وروى محمد بن عبد الله بن الحكم قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: لما ثقل
معاوية كان يزيد غائباً، فكتب إليه بحاله فلما أتاه الرسول أنشأ يقول:

جاء البريد بقرطاسٍ يخبّ به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا: لك الويل! ماذا في صحيفتكم قال: الخليفة أمسى مثبتاً وجعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا كأنّ ثهلان من أركانه انقلعا
أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه كانا جميعا وظلاّ يسريان معا
لا يرفع الناس ما أوهى وإن جهدوا أن يرفعوه، ولا يوهون ما رفعا
أغرّ أبلج يستسقى الغمام به لو قارع الناس عن أحلامهم قرعا

والبيتان الأخيران للأعشى.
قال: فلما وصل إليه وجده مغموراً فأنشأ يقول:

لو عاش حيٌّ إذاً لعاش إما   م الناس لا عاجزٌ ولا وكل
الحوّل القلّب الأريب ولن   يدفع ريب المنية الحيل
قال فأفاق معاوية وقال: يا بني إني صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
لحاجته، فاتبعته بإدواة، فكساني أحد ثوبيه الذي يلي جلده، فخبأته لهذا اليوم، وأخذ
رسول الله عليه الصلاة والسلام من أظافره وشعره ذات يوم، فأخذته وخبأته لهذا اليوم،
فإذا أنا مت فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلدي، وخذ ذلك الشعر والأظافر
فاجعله في فمي وعلى عيني ومواضع السجود مني، فإن نفع شيء فذاك، وإلا فإن الله غفور
رحيم.
وهذه الرواية تدل على أن يزيد أدركه قبل وفاته، وقد قيل: إنه أوصى فيها غير يزيد والله
أعلم.
قال ابن الأثير: وتمثل معاوية عند موته بشعر الأشهب بن زميلة النهشلي:
إذا متّ مات الجود وانقطع النّدى   من الناس إلاّ من قليلٍ مصرّد
وردّت أكفّ السائلين وأمسكوا   من الدّين والدنيا بخلف مجدّد
فقالت إحدى بناته: كلاّ يا أمير المؤمنين بل يدفع الله عنك.
فقال متمثلاً:
وإذا المنية أنشبت أظفارها "البيت" وقال لأهله:
اتقوا الله فإنه لا واقي لمن لا يتقي الله! ثم قضى.
وأوصى أن يرد نصف ماله إلى بيت المال.
وأنشد لما حضرته الوفاة:
إن تناقش يكن نقاشك يا ربّ   ب عذاباً، ولا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب صفوحٌ   عن مسيءٍ ذنوبه كالتراب
قال: ولمّا مات خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر، وأكفان معاوية على يديه، فحمد
الله وأثنى عليه، ثم قال: "إنّ معاوية كان عود العرب، وحد العرب، وجد العرب، قطع الله
به الفتنة، وملكه على العباد، وفتح به البلاد، ألا إنه قد مات، وهذه أكفانه ونحن مدرجوه
فيها، ومدخلوه قبره، ومخلون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة! فمن كان يريد
أن يشهده فعند الأولى". قال: وصلى عليه الضحاك لغيبة يزيد، وكان بحوارين فقدم بعد
دفنه فصلى على قبره.
وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وأياماً تقريباً منذ خلص له الأمر.

وكان عمره خمساً وسبعين سنة، وقيل: ثلاث وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، وقيل توفي
وهو ابن خمس وثمانين سنة.
وكان أول من اتخذ الخدام الملازمة في الإسلام. وأول من علق الستور واتخذ الحرس
وأرباب الشرط. واستخدم الحجاب وركب الهماليج، وقيدت بين يديه الجنائب ولبس الخز
والوشي الخفيف، وعمل الطراز بمصر واليمن والرهاو الإسكندرية.
وأول من قتل مسلما صبرا، قتل حجر بن عدي وأصحابه كما تقدم.
وهو أول من اقتنى الضياع، وأحدث في أيامه ديوان الخاتم، وكان سبب ذلك أنه أمر لعمرو
بن الزبير بمائة ألف درهم، وكتب له بها على زياد، فصير عمرو المائة مائتين، فلما رفع
حساب زياد أنكرها معاوية، وأخذ عمراً بردها، فوفاها عنه أخوه عبد الله. ثم أمر
معاوية بختم الكتب وحزمها.
وزاد في منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعله ثماني درجات، وأول من جعل
درجات المنبر خمس عشرة مرقاة، واتخذ المقصورة في المسجد.
وأول خليفة بايع لابنه، وأول من وضع البريد، وأول من سمى الغالية التي يطيب بها
"غالية".
وكان يقول: أنا أول الملوك.
شيء من سيرته وأخباره
كان يضرب بحلم معاوية المثل، ولم يعرف له زلة تنافي الحلم إلا قتل حجر ابن عدي
وأصحابه.
وقد نقل من كلامه ألفاظ، منها أنه قال: إنني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي،
وجهلٌ أكثر من حلمي، وعورةٌ لا أواريها بستري، أو إساءة أكثر من إحساني.
وقال: العقل والحلم أفضل ما أعطي العبد، فإذا ذكر ذكر، وإذا أعطي شكر، وإذا ابتلي
صبر، وإذا غضب كظم، وإذا قدر غفر، وإذا أساء استغفر، وإذا وعد أنجز.
قال عبد الله بن عمير: أغلظ رجل لمعاوية، فأكثر، فقيل له: أتحلم عن هذا؟ فقال: إني لا
أحول بين الناس وألسنتهم. ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا.

وروى ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال: أخبرنا المسور ابن مخرمة أنه وفد على
معاوية، قال: فلما دخلت عليه سلمت، فقال: ما فعل طعنك على الأمة يا مسور؟ قلت:
دعنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له، قال: والله لتكلمني بذات نفسك. قال فلم أدع شيئاً
أعيبه إلا أخبرته به. فقال: "لا أبرأ من الذنوب! أفمالك يا مسور ذنوب تخاف أن تهلك إن
لم يغفرها الله لك؟ فوالله لما أنا ألي من الإصلاح بين الناس وإقامة الحدود والجهاد في سبيل
الله والأمور العظام التي ليست أحصيها ولا تحصيها أكثر مما تلي. وإني لعلي دين يتقبل الله
فيه الحسنات ويعفو عن السيئات، ووالله لعلي ذلك ما كنت لأخير بين الله وبين ما سواه إلا
اخترت الله على ما سواه.
قال المسور: ففكرت حين قال ما قال فعرفت أنه خصمني!
قال: فكان إذا ذكر بعد ذلك
دعا له بخير. قال أبو عمر: هذا الخبر من أصح ما يروى عن ابن شهاب.
وقد نسب معاوية إلى بخلٍ مع كثرة عطاياه، فمن ذلك ما حكي أن عبيد الله بن أبي بكرة
دخل على معاوية، ومعه ولد له، فأكثر من الأكل، فلحظه معاوية، وفطن عبيد الله، فأراد
أن يغمز ابنه فلم يمكنه فلم يرفع رأسه حتى فرغ من أكله، ثم عاد عبيد الله وليس معه
ابنه، فقال معاوية ما فعل ابنك التلقامة؟ قال: اشتكى.
صفة معاوية وأولاده وأزواجه
وكتابه وقضاته وحجابه وشرطه وعماله
كان معاوية طويلاً أبيض اللون إذا ضحك تقلصت شفته العليا، وكان يخضب بالحناء
والكتم.
وأما نساؤه وولده: فمن نسائه ميسون ابنة بحدل بن أنيف الكلبية، وهي أم يزيد، وقيل،
ولدت له بنتا اسمها "أمة رب المشارق" فماتت صغيرة.
ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، ولدت له عبد الرحمن
وعبد الله، وكان عبد الحق أحمق، وعبد الرحمن مات صغيرا.
ومنهن نائلة ابنة عمارة الكلبية، تزوجها وقال لميسون: انظري إليها، فنظرت إليها وقالت:
"رأيتها جميلة، ولكني رأيت تحت سرتها خالاً، ليوضعن رأس زوجها في حجرها" فطلقها

معاوية، فتزوجها حبيب بن مسلمة الفهري، ثم خلف عليها بعده النعمان ابن بشير، فقتل
ووضع رأسه في حجرها.
ومنهن كتوة ابنة قرظه، أخت فاختة، غزا قبرص وهي معه فماتت هناك.
وأما كتابه فكان كاتبه وصاحب أمره سرجون الرومي، وكتب له عبيد الله بن أويس
الغساني.
وقضاته. كان على القضاء فضالة بن عبيد الأنصاري، فمات فاستقضى أبا إدريس
الخولاني.
وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميري، ونقش خاتمه "لكل عمل ثواب"،
وقيل: كان نقشه "لا حول ولا قوة إلا بالله".
وحاجبه سعد مولاه، ثم صفوان مولاه.
وكان على شرطته قيس بن حمزة الهمداني ثم عزله، واستعمل زمل ابن عمرو العذري،
وقيل: السكسكي.
وكان على حرسه رجل من الموالي يقال له الختار، وقيل: أبو المخارق مالك مولى حمير.
وأما عماله فقد تقدم ذكرهم، وكان العمال عند وفاته: على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي
سفيان، على مكة عمرو بن سعيد الأشدق، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى
الكوفة النعمان بن بشير، وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد، وعلى سجستان عباد بن
زياد، وعلى كرمان شريك بن الأعور، وعلى مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري، وكان
القاضي بمصر سليمان بن عمير عشرين سنة.
بيعة يزيد بن معاوية
هو أبو خالد يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن
عبد مناف بن قصي، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية.
وهو الثاني من ملوك بني أمية، بويع له بعد وفاة أبيه في شهر رجب سنة ستين.
فكان أول ما بدأ به يزيد أن كتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وهو عامل المدينة،
يخبره بموت معاوية، وكتابا آخر صغيراً فيه: "أما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وابن
الزبير بالبيعة أخذاً ليس فيه رخصةٌ حتى يبايعوا والسلام".
فلما أتاه نعي معاوية استدعى مروان بن الحكم، وكان قبل ذلك قد صارمه وانقطع عنه،

فلما جاءه وقرأ عليه الكتاب بموت معاوية استرجع وترحم عليه، واستشاره الوليد كيف
يصنع، قال: "أرى أن تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت
عنهم، وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموته وثب كل
رجل بناحية، وأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، أما ابن عمر فلا يرى القتال، ولا يحب أن يلي
على الناس إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفوا".
إرسال الوليد الى الحسين
بن علي وعبد الله بن الزبير، وما كان بينهم في أمر البيعة وخروجهما إلى مكة رضي الله
عنهما
قال وأرسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو غلام حدث، إلى الحسين وابن الزبير
يدعوهما، فوجدهما في المسجد، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، فقال:
أجيبا الأمير فقالا: انصرف الآن نأتيه.
فقال ابن الزبير للحسين: ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟ فقال
الحسين رضي الله عنه: أظن طاغيتهم هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في
الناس الخبر. فقال: وأنا ما أظن غيره، فما تريد أن نصنع؟ قال الحسين: أجمع فتياني
الساعة ثم أمشي إليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه. قال: فإني أخاف عليك إذا
دخلت. قال: لا آتيه إلا وأنا قادر على الامتناع.
فقام الحسين رضي الله عنه فجمع إليه أصحابه وأهل بيته، ثم أقبل إلى باب الوليد، وقال
لأصحابه: "إني داخل، فإذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فادخلو علي بأجمعكم، وإلا
فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم".
ثم دخل فسلم ومروان عنده، فقال الحسين: "الصلة خير من القطيعة، والصلح خير من
الفساد، وقد آن لكما أن تجتمعا، أصلح الله ذات بينكما" وجلس، فأقرأه الوليد الكتاب،
ونعى إليه معاوية، ودعاه إلى البيعة، فاسترجع الحسين وترحم على معاوية، وقال: "أما
البيعة فغن مثلي لا يبايع سراً، ولا تجتزي بها مني سراً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم
إلى البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحد" فقال له الوليد - وكان يحب العافية -

انصرف.
فقال له مروان: "لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر
القتلى بينك وبينه، احبسه، فإن بايع وإلا ضربت عنقه". فوثب الحسين عند ذلك وقال:
"يا ابن الزرقاء أنت، تقتلني أو هو؟ كذبت والله ولؤمت! ثم خرج حتى أتى منزله.
فقال مروان للوليد: عصيتني! لا والله لا يمكنك من نفسه بمثلها أبدا، فقال الوليد: "ويح
غيرك يا مروان!، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا
وملكها وأني قتلت حسيناً إن قال لا أبايع! والله إني لأظن أمراً يحاسب بدم الحسين
خفيف الميزان عند الله يوم القيامة!" قال مروان: قد أصبت بقولك هذا يقول وهو غير
حامد له على رأيه.
وأما ابن الزبير فإنه أتى داره وجمع أصحابه واحترز، فألح الوليد في طلبه وهو يقول
"أمهلوني". فبعث الوليد إليه مواليه فشتموه، وقالوا له: يا ابن الكاهلية لتأتين الأمير أو
ليقتلنك فقال لهم: والله لقد استربت لكثرة الإرسال، فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من
يأتيني برأيه. فبعث أخاه جعفر بن الزبير فقال له: "رحمك الله، كف عن عبد الله فإنك قد
أفزعته وذعرته، وهو يأتيك غداً إن شاء الله تعالى، فمر رسلك فلينصرفوا عنا" فبعث
إليهم، فانصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث فسارا نحو
مكة فسرح الوليد الرجال في طلبه فلم يدركوه، فرجعوا، وتشاغلوا به عن الحسين يومهم.
ثم أرسل الوليد الرجال إلى الحسين فقال لهم: أصبحوا ثم ترون ونرى. فكفوا عنه، فسار
من ليلته نحو مكة، وأخذ معه بنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية
فإنه قال للحسين رضي الله عنهما: "يا أخي أنت أحب الناس إلي وأعزهم علي، ولست
أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما
استطعت، وابعث رسلك إلى الناس فادعوهم إلى نفسك فإن بايعوك حمدت الله على ذلك،
وإن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك

ولا فضلك، إني أخاف أن تأتي مصر وجماعةً من الناس فيختلفون عليك، فمنهم طائفة
معك، وأخرى عليك، فيقتتلون، فتكون لأول الأسنة، فإذا خير هذه الأمة كلها نفسا وأباً
وأما، أضيعها دماً وأذلها أهلا!" قال الحسين: فأين أذهب يا أخي؟ قال: "انزل مكة، فغن
اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال وخرجت من
بلد إلى أخرى، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، ويفرق لك الرأي، فإنك أصوب ما تكون
رأياً وأخرمه عملا حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور أبدا أشكل منها حين
تستدبرها!" قال: قد نصحت وأشفقت وأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً إن شاء الله.
ثم دخل المسجد وهو يتمثل بقول يزيد بن مفرغ:
لا ذعرت السّوام في شفق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطي من المهابة ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا
ثم خرج نحو مكة وهو يتلو "فخرج منها خائفاً يترقّب قال ربّ نجّني من القوم الظالمين"، ولما
دخل مكة قرأ "ولمّا توجه تلقاء مدين قال عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل".
قال: وأما ابن عمر فإن الوليد أرسل إليه ليبايع، فقال: إذا بايع الناس بايعت. فتركوه، وكانوا
لا يخافونه.
وقيل: إن ابن عمر كان بمكة هو وابن عباس، فعاد إلى المدينة، فلقيا الحسين وابن الزبير،
فقالا لهما: ما وراءكما؟ قالا: موت معاوية وبيعة يزيد، قال ابن عمر: لا تفرقا جماعة
المسلمين. وقدم هو وابن عباس المدينة، فلما بايع الناس بايعا.
قال: ودخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد فقال: أنا عائذ بالبيت. ولم يكن يصلي
بصلاتهم، ولا يفيض بإفاضتهم، وكان يقف هو وأصحابه ناحية.
استعمال عمرو بن سعيد على المدينة
وإرسال عمرو ابن الزبير بالجيش إلى مكة لقتال أخيه عبد الله ابن الزبير وهزيمة جيشه،
ووفاة عمرو ابن الزبير تحت السياط.
وفي هذه السنة عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن المدينة، واستعمل عليها عمرو بن
سعيد الأشدق، فقدمها في رمضان، واستعمل على شرطته عمرو ابن الزبير، لما كان بينه
وبين أخيه من البغضاء، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضرباً شديداً: لهواهم في

أخيه عبد الله، منهم أخوه المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر وعبد الرحمن بن الأسود
بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، ومحمد بن عمار بن ياسر،
وغيرهم، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين.
فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير فيمن يرسله إلى أخيه فقال: لا توجه إليه رجلاً
أنكأ له مني، فجهز معه سبعمائة فيهم أنيس بن عمرو الأسلمي.
فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال له: "لا تغز مكة، واتق الله ولا تحل حرمة
البيت، وخلوا ابن الزبير فقد كبر، له ستون سنة" فقال عمرو بن الزبير: والله لنغزونه في
جوف الكعبة على رغم أنف من رغم.
وأتى أبو شريح الخزاعي إلى عمرو فقال له: لا تغز مكة فإني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول "إنما أذن لي في القتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالأمس"
فقال له عمرو: نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ.
فسار عمرو بن الزبير وسار أنيس في مقدمته.
وقيل إن يزيد كتب إلى عمرو بن سعيد أن يرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه عبد الله،
فأرسله ومعه جيش نحو ألفي رجل، فنزل أنيس بذي طوى، ونزل عمرو بالأبطح، فأرسل
عمرو إلى أخيه: بر يمين يزيد - وكان قد حلف أنه لا يقبل بيعته إلا أن يؤتى به في جامعة -
تعال حتى أجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى، ولا يضرب الناس بعضهم ببعض، فإنك
في بلد حرام.
فأرسل عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان نحو أنيس فيمن معه من أهل مكة ممن
اجتمع إليه، فهزمه بذي طوى، وقتل أنيس. وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمرو بن
الزبير، فتفرق عن عمرو أصحابه، فدخل دار ابن علقمة، فأتاه أخوه عبيدة فأجاره، ثم أتى
عبد الله فقال: قد أجرت عمرا. فقال: "أتجير من حقوق الناس هذا مالا يصلح، وما
أمرتك أن تجير هذا الفاسق المستحل لحرمات الله!". ثم أقاد عمراً من كل من ضربه إلا
المنذر وابنه فإنهما أبيا أن يستقيدا، ومات عمرو بن الزبير تحت السياط.
ولنرجع إلى أخبار الحسين رضي الله عنه.
مقدم الحسين إلى مكة

وما ورد عليه من كتب أهل الكوفة، وإرساله مسلم بن عقيل إليهم وما كان في خلال ذلك
قال: لما خرج الحسين من المدينة إلى مكة لقيه عبد الله بن مطيع، فقال له: جعلت فداك
أين تريد؟ قال: أما الآن فمكة وأما بعد فإني أستخير الله.
فقال: خار الله لك وجعلنا
فداك، فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة فإنها بلد مشئومة، بها قتل أبوك وخذل
أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، الزم فإنك سيد العرب، لا يعدل بك أهل
الحجاز أحداً ويتداعى إليك الناس من كل جانب، ولا تفارق الحرم فداك عمي وخالي،
فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك!.
فأقبل حتى نزل مكة، وأهلها يختلفون إليه ويأتونه ون بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن
الزبير يأتي إليه ويشير عليه بالرأي، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، لأن أهل الحجاز لا
يبايعونه ما دام الحسين بمكة.
قال: ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير رضي الله
عنهم من البيعة، أرجفوا بيزيد، واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكروا
مسير الحسين رضي الله عنه إلى مكة، وكتبوا إليه عن نفر منهم: سليمان بن صرد
والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظهر: "بسم الله الرحمن الرحيم، وسلام
عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو،أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار
العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضا
منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وإنه ليس علينا إمام، فأقبل، لعل الله يجعلنا بك
على حق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو بلغنا
إقبالك إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته". وسيروا الكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وائل.
ثم كتبوا إليه كتاباً آخر وسيروه بعد ليلتين، فكتب الناس معه نحو من مائة وخمسين
صحيفة ثم أرسلوا إليه رسولاً ثالثاً يحثونه على المسير إليهم، ثم كتب إليه شبث بن ربعي

وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج
الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي بذلك.
فلما اجتمعت كتبهم عنده كتب إليهم: "أما بعد فقد فهمت كل الذي اقتصصتم، وقد
بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب إلي
بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى منكم على
مثل ما قدمت به رسلكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله تعالى، فلعمري ما الإمام إلا
العالم بالكتاب، والقائم بالقسط والدائن بدين الحق والسلام".
وقدم على الحسين رضي الله عنه من البصرة يزيد بن أبي نبيط وابناه عبد الله وعبيد الله
إلى مكة، فكانوا معه حتى قتل وقتلوا معه.
ثم دعا الحسين مسلم بن عقيل فسيره إلى الكوفة، وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف
فإن رأى الناس مجتمعين له عجل إليه بذلك.
فسار مسلم إلى المدينة، فصلى في مسجد رسول النبي صلى الله عليه وسلم وسلم، وودع
أهله، وسار حتى بلغ الكوفة، فنزل في دار المختار وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما
اجتمع إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين، فيبكون ويعدونه النصرة والقتال، فبلغ
النعمان بن بشير أمير الكوفة ذلك، فصعد المنبر فقال: "أما بعد فلا تسارعوا إلى الفتنة
والفرقة، فإن فيهما تهلك الرجال وتسفك الماء وتغصب الأموال" ثم قال: "إني لا أقاتل من لم
يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب علي ولا أنبه نائمكم ولا أتحرش بكم، ولا آخذ بالقرف
ولا الظنة ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتم صفحتكم ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله
الذي لا إله إلا هو لأضربنكم بسيفي ما دام قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر ولا
معين. أما إني لأرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل" فقام إليه عبد
الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال: "إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم،
إن هذا الذي أنت عليه رأى المستضعفين". فقال: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله
أحب إلي من أن أكون من الأعزين في معصية الله". ثم نزل. وكان حليماً ناسكاً يحب

العافية. وقيل: إنه لم يقل ذلك، وإنما قال: يا أهل الكوفة إن ابن بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحب إلي من ابن بنت بحدل.
استعمال عبيد الله على الكوفة
وقدومه إليها وخبره مع هانئ بن عروة
قال: ولما تكلم النعمان بن بشير بما تكلم به، كتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد يخبره بقدوم
مسلم بن عقيل إلى الكوفة، ومبايعة الناس له، ويقول: "إن كان لك بالكوفة حاجة فابعث
إليها رجلا قويا ينفذ أمرك، ويعمل مثل عمل عدوك، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو
يتضعف" ثم كتب إليه بعده عمارة بن الوليد بن عقبة وعمر بن سعد بن أبي وقاص بنحو
ذلك.
فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية، فأقرأه الكتب، واستشاره
فيمن يوليه أمر الكوفة، وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال له سرجون: أرأيت لو
نشر لك معاوية أكنت تأخذ برأيه؟ قال: نعم. فأخرج له عهد عبيد الله على الكوفة،
فقال: هذا رأي معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب، فأخذ يزيد برأيه، وجمع له بين الكوفة
والبصرة، وكتب له بعهده وسيره إليه مع مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة، وأمره بطلب
مسلم بن عقيل وقتله أو نفيه.
فلما وصل كتابه إلى عبيد الله تجهز ليسير من الغد.
وكان الحسين قد كتب إلى أشراف البصرة، منهم مالك بن مسمع، والأحنف بن قيس
والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم، وعمر بن عبيد الله بن معمر.
يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله، فإن السنة قد ماتت، والبدعة قد أحييت، فكلهم
كتم كتابه إلا المنذر بن الجارود، فإنه خشي أن يكون دسيساً من ابن زياد، فأتاه بالرسول
والكتاب، فضرب عنق الرسول، وخطب الناس ثم قال في آخر كلامه: "يا أهل البصرة، إن
أمير المؤمنين ولا ني الكوفة، وأنا غاد إليها بالغد، وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن
زياد، فإياكم والخلاف والإرجاف، فوالله لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه
ووليه، ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم خلاف ولا شقاق إني أنا

ابن زياد، أشبهته من بين من وطئ الحصى، فلم ينتزعني شبه خالٍ ولا ابن عم!".
ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وشريك ابن الأعور الحارثي وحشمه
وأهل بيته، وكان شريك شيعيا. وقيل: كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه، وكان أول من
سقط شريك، ورجوا أن يقف عليهم فيسبقه الحسين إلى الكوفة، فلم يقف على أحد منهم
حتى دخل الكوفة وحده، فجعل يمر بالمجالس فلا يشكون أنه الحسين بن علي فيقولون:
مرحبا بك يا ابن رسول الله، وهو لا يكلمهم، وخرج إليه الناس من دورهم، فساءه ما رأى
منهم.
وسمع به النعمان، فأغلق عليه الباب، وهو لا يشك أنه الحسين، وانتهى إليه عبيد الله
ومعه الخلق يصيحون، فقال له النعمان: "أنشدك الله إلا تنحيت عني، فوالله ما أنا مسلم
إليك أمانتي، ومالي في قتالك من حاجة!" فدنا منه عبيد الله وقال: "افتح لا فتحت!"
فسمعها إنسان خلفه فرجع إلى الناس فقال: إنه ابن مرجانة!" ففتح له النعمان فدخل،
وأغلقوا الباب وتفرق الناس.
وأصبح فجلس على المنبر، وقيل بل خطبهم من يومه، فقال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين
ولاني مصركم وثغركم وفيئكم وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، والإحسان
إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفذ
فيكم عهده، فأنا لمحسنكم كالوالد البر، ولمطيعكم كالأخ الشقيق، وسيفي وسوطي على
من ترك أمري وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه". ثم نزل.
وأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، وقال: "اكتبوا إلي الناس الغرباء، ومن فيكم من طلبة
أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم
لي فقد برئ، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا ما في عرافته لا يخالفنا فيهم مخالف، ولا
يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة، وحلال لنا ماله ودمه، وأيما عريف
وجد في عرافته أحد من بغية أمير المؤمنين لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت
تلك العرافية من العطاء وسير إلى موضع بعمان". ثم نزل.

قال: وسمع مسلم بن عقيل بمقالة عبيد الله فخرج من دار المختار وأتى دار هانئ بن عروة
المرادي فدخل بابه واستدعاه، فخرج إليه، فلما رآه كره مكانه، فقال له مسلم: أتيتك
لتجيرني وتضيفني. فقال هانئ. "لقد كلفتني شططا، ولولا دخولك داري لأحببت أن
تنصرف عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام، ادخل!" فآواه، واختلفت الشيعة إليه في دار
هانئ.
قال ومرض هانئ، فأتاه عبيد الله يعوده، فقال له عمارة بن عمير السلولي: دعنا نقتل هذا
الطاغية، فقد أمكن الله منه، فقال هانئ ما أحب أن يقتل في داري، وجاء ابن زياد فجلس
عنده ثم خرج، فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور، وكان شديد التشيع،
فأرسل إليه ابن زياد: إني رائح إليك العشية. فقال لمسلم ابن عقيل: "إن هذا الفاجر
عائدي العشية فإذا جلس فاقتله ثم اقصد القصر ليس أحد يحول بينك وبينه، فإن بريت
من وجعي سرت إلى من بالبصرة فكفيتك أمرهم". فلما كان من العشي أتاه عبيد الله
فقام مسلم بن عقيل ليدخل، فقال له شريك لا يفوتنك إذا جلس. فقال هانئ بن عروة: إني
لا أحب أن يقتل في داري. وجاء عبيد الله فجلس عند شريك وأطال، فلما رأى شريك
أن مسلما لا يخرج خشي أن يفوته، فأخذ يقول: "ما تنظرون بسلمى أن تحيوها! اسقونيها
وإن كانت فيها نفسي!" يقول ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال عبيد الله: "ما شأنه؟ ترونه
يخلط!" فقال هانئ: "نعم، ما زال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه". فانصرف.
وخرج مسلم، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ فقال: "أمران: أحدهما كراهية هانئ أن
يقتل في منزله، والثاني حديثٌ حدثه علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:
"الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن". فقال هانئ: لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً
غادراً!.
ومات شريك بعد ذلك بثلاث، فصلى عليه عبيد الله، فلما علم أنه كان يحرض مسلماً
على قتله قال: واله لا أصلي على جنازة عراقي أبدا!.

قال: وكان عبيد الله بن زياد قد أعطى مولىً له ثلاثة آلاف درهم وأمره أن يتلطف في
الدخول على مسلم بن عقيل وأصحابه، وقال: أعطهم هذا المال وأعلمهم أنك منهم واعلم
أخبارهم. ففعل، وأتى مسلم بن عوسجة الأسدي فقال له: "يا عبد الله، إني امرؤ من
أهل الشام، انعم الله علي بحب أهل البيت، وهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل
منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني أتيتك
ليقبض المال وتدخلني على صاحبك أبايعه، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه". فقال:
"لقد سرني لقاؤك إياي لتنال الذي تحب، وينصر الله بك أهل بيت نبيه وقد ساءني معرفة
الناس هذا الأمر من قبل أن يتم، مخافة هذا الطاغية وسطوته" فأخذ بيعته والمواثيق
المعظمة ليناصحن وليكتمن.
واختلف إليه أياماً، حتى أدخله على مسلم بن عقيل، فأخذ بيعته وقبض ماله، وذلك
بعد موت شريك، وجعل يختلف إليهم ويعلم أسرارهم وينقلها إلى ابن زياد.
وكان هانئ قد انقطع عن عبيد الله بعذر المرض، فدعا عبيد الله محمد بن الأشعث وابن
أسماء بن خارجة، وعمر بن الحجاج الزبيدي، فسألهم عن هانئ وانقطاعه، فقالوا إنه
مريض. قال: بلغني أنه يجلس على باب داره وقد برئ، فأتوه فمروه لا يدع ما عليه في ذلك
من الحق.
فاتوه فقالوا له: "الأمير قد سأل عنك، وقال: لو أعلم أنه شاكٍ لعدته، وقد بلغه أنك تجلس
على باب دارك، وقد استبطأك، والجفا لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت
معنا". ففعل فلما دنا من القصر أحست نفسه بالشر، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة:
يا ابن أخي إني لهذا الجل لخائف، فما ترى؟ فقال ما أتخوف عليك شيئاً، فلا تجعل على
نفسك سبيلاً، ولا يعلم أسماء مما كان شيئاً.
قال: فدخل القوم على ابن زياد، فلما رأى هانئ بن عروة قال لشريح القاضي: أتتك بحائن
رجلاه. فلما دنا منه قال عبيد الله:
أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فقال له هانئ وما ذاك؟ فذكر له خبر مسلم بن عقيل، وأنه في داره، فأنكر ذلك، وطال
بينهما النزاع، فاستدعى عبيد الله مولاه الذي كان يأتيهم، فجاء فوقف بين يديه، فقال:
أتعرف هذا فقال: نعم. وعلم هانئ أنه كان عيناً عليهم، فسقط في يده ساعة، ثم راجعته
نفسه فقال: "اسمع مني وصدقني، فوالله لا أكذبك، والله ما دعوته ولا علمت بشيء من
أمره حتى رأيته جالساً على بابي يسألني النزول علي، فاستحييت من رده ودخلني من ذلك
ذمام، فأدخلته داري وضفته، وقد كان من أمره الذي بلغك، فإن شئت أعطيتك الآن موثقاً
تطمئن إليه، ورهينة تكون في يدك حتى أنطلق وأخرجه من داري وأعود إليك". فقال: لا
والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به. قال لا آتيك بضيفي لتقتله أبداً، فقال ابن زياد: والله
لتأتيني به أو لأضربن عنقك. قال إذاً والله تكثر البارقة حول دارك. فقال: أبالبارقة
تخوفني؟!.
وقيل إن هانئاً لما رأى ذلك اللعين قال: أيها الأمير إنه قد كان الذي بلغك، ولم أضيع يدك
عندي، فأنت آمن وأهلك فسر حيث شئت، فأطرق عبيد الله عند ذلك ومهران قائم
على رأسه، فقال واذلاه! هذا الحائك يؤمنك في سلطانك! فقال: خذه، فأخذ مهران
ضفيرتي هانئ، وأخذ عبيد الله القضيب ولم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخديه حتى كسر
أنفه، وسيل الدماء على ثيابه، ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب،
وضرب هانئ يده إلى قائم سيف شرطي وجبذه فمنع منه، فقال عبيد الله: أحروري!
أحللت بنفسك وحل لنا قتلك، ثم أمر به فألقي في بيت وأغلق، فقام إليه أسماء بن
خارجة وقال: "يا غادر أرسله، أمرتنا أن نجيئك بالرجل فلما أتيناك به هشمت وجهه،
وسيلت دمه، وزعمت أنك تقتله". فأمر به عبيد الله فلهز وتعتع ثم ترك فجلس. وأما ابن
الأشعث فقال: رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أو علينا.
وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئاً قد قتل، فأقبل في مذحج حتى أحاطوا بالقصر، ونادى:
"أنا عمرو بن الحجاج، هذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة، ولم نفارق جماعة.

فقال ابن زياد لشريح القاضي: "ادخل على صاحبهم، فانظر إليه، ثم اخرج إليهم فأعلمهم
أنه حي لم يقتل وأنك قد رأيته" فدخل عليه، وخرج إليهم فقال: قد نظرت إلى صاحبكم
وأنه حي لم يقتله، فقالوا: إذ لم يقتله فالحمد لله، ثم انصرفوا.
ظهور مسلم بن عقيل
واجتماع الناس عليه، ومحاصرته عبيد الله بن زياد بالقصر وكيف خذله من اجتمع إليه
وتفرقوا عنه وخبر مقتله ومقتل هانئ بن عروة
قال: ولما أتى الخبر مسلم بن عقيل خرج من دار هانئ، ونادى في أصحابه: "يا منصور
أمت" وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وحوله في الدور أربعة آلاف، فاجتمع إليه ناس كثير،
فعقد لعبد الله بن عوسجة على ربع مذحج وأسد، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع
تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، وأقبل نحو القصر.
فلما بلغ ابن زياد إقاله تحرز بالقصر وأغلق الباب، وأحاط مسلم بالقصر، وامتلأ المسجد
والسوق بالناس، وما زالوا يجتمعون حتى المساء، وضاق بعبد الله أمره، وليس معه في
القصر الإثلاثون رجلاً من الشرط، وعشرون من الأشراف وأهل بيته ومواليه، وأقبل
أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين، والناس يسبون ابن زياد
وأباه.
فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي، وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيخذل
الناس عن ابن عقيل ويخوفهم، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كنده
وحضرموت فيرفع راية الأمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي،
وشبث بن ربعي التيمي، وحجار بن أبحر العجلي، وشمر بن ذي جوشن الضبابي وترك
وجوه الناس عنده استئناساً بهم، لقلة من معه.
وخرج أولئك النفر على الناس من القصر، فمنوا أهل الطاعة، وخوفوا أهل المعصية، فلما
سمع الناس مقالة أشرافهم تفرقوا، حتى إن المرأة لتأتي ابنها وأخاها، فتقول: "انصرف،
الناس يكفونك"، ويفعل الرجل مثل ذلك.
فما زالوا يتفرقون حتى بقي مسلم بن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً، فلما رأى ذلك

خرج نحو أبواب كندة، فلما وصل إلى الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقة الكوفة لا
يدري أين يذهب.
فانتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها طوعة - أم ولد كانت للأشعث، فأعتقها، فتزوجها
أسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً وكان بلال قد خرج مع الناس، وهي تنتظره - فسلم
عليها، وطلب منها ماءً فسقته، فجلس، فقالت: يا عبد الله ألم تشرب؟! قال: بلى،
فقالت، فاذهب إلى أهلك، فسكت، فكررت ذلك عليه ثلاثاً فلم يبرح، فقالت: سبحان
الله! إني لا أحل لك الجلوس على بابي. فقال: ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة،
فهل لك في أجر معروف، ولعلي أكافئك به بعد اليوم. قالت وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن
عقيل، كذبني هؤلاء القوم وغروني. قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي
تكون فيه وعرضت عليه العشاء فلم يتعش، وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في ذلك
البيت، فسألها، فلم تخبره، فألح عليها، فأخبرته، واستكتمته وأخذت عليه الأيمان بذلك.
قال: وأما ابن زياد، فلما سكنت الأصوات قال لأصحابه: انظروا هل ترون منهم أحداً؟
فنظروا فلم يروا أحداً فنزل إلى المسجد قبل العتمة، وأجلس أصحابه حول المنبر، وأمر
فنودي: "برئت الذمة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلى العتمة إلا في
المسجد، فامتلأ المسجد، فصلى بالناس، ثم قام فحمد ثم قال: "أما بعد، فإن ابن عقيل
السفيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت الذمة من رجل وجدناه في
داره، ومن أتانا به فله ديته" وأمرهم بالطاعة ولزومها، وأمر الحصين ابن تميم أن يمسك
أبواب السكك، ثم يفتش الدور.
وأصبح ابن زياد فجلس، فأتى بلال إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأخبره بمكان
ابن عقيل، فأتى عبد الرحمن أباه وهو عند ابن زياد فساره بذلك، فأخبر محمد ابن
الأشعث ابن زياد، فقال له: قم فأتني به الساعة، وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس
السلمي في سبعين من قيس، فأتوا الدار، فخرج ابن عقيل إليهم بسيفه حتى أخرجهم من

الدار، ثم عادوا إليه فحمل عليهم فأخرجهم مراراً، وضربه بكر بن حمران الأحمري فقطع
شفته العليا وسقط سنتاه، وضربه مسلم على رأسه وثنى بأخرى على حبل العاتق
فكادت تطلع على جوفه، فلما رأوا ذلك أشرفوا على سطح البيت، وجعلوا يرمونه
بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه، فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم
في السكة، فقال له محمد بن الأشعث لك الأمان فلا تقتل نفسك، فأقبل يقاتلهم ويقول:

أقسمت لا أقتل إلّا حرّاً وإن رأيت الموت شيأً نكرا
ويخلط البارد سخناً مرا رد شعاع النفس مستقرّا
كلّ امرئ يوماً ملاقٍ شراً أخاف أن أكذب أو أغرّا

فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تخدع، القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا
ضاربيك، وكان قد أثخن بالحجارة، وعجز عن القتال، وأسند ظهره إلى حائط تلك الدار،
فأمنه ابن الأشعث والناس غير عمرو بن عبيد الله السلمي فإنه قال: لا ناقتي فيها ولا
جملي.
وأتى ببغلة فحمل عليها، وانتزعوا سيفه، فكأنه أيس من نفسه فدمعت عيناه وقال: هذا
أول الغدر. قال محمد: أرجو ألا يكون عليك بأس. قال: وما هؤلاء إلا الرجاء! أين
أمانكم! ثم بكى، فقال له عمرو بن عبيد الله: من يطلب الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي
نزل بك لم يبك، فقال: ما أبكي لنفسي، ولكن أبكي لأهلي المنقلبين إليكم: أبكي للحسين
وآل الحسين. ثم قال لمحمد بن الأشعث: "إني أراك تعجز عن أماني، فهل تستطيع أن تبعث
من عندك رجلاً يخبر الحسين بحالي، ويقول له عني: ليرجع بأهل بيته ولا يغره أهل الكوفة،
فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل؟" فقال ابن الأشعث: والله
لأفعلن. وفعل وأبى الحسين الرجوع.
قال: وجاء محمد بمسلم إلى القصر فأجلسه على بابه ودخل هو إلى ابن زياد فأخبره
بأمانه، فقال له: ما أنت والأمان! ما أرسلناك لتؤمنه، إنما أرسلناك لتأتينا به.
قال: ولما جلس مسلم على باب القصر رأى جرة فيها ماء بارد فقال اسقوني من هذا

الماء، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها! والله لا تذوق منها قطرة حتى
تذوق الحميمفي نار جهنم! فقال له ابن عقيل: من أنت؟ قال: "أنا من عرف الحق إذ
أنكرته، ونصح الأمة وإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته، أنا مسلم بن عمرو.
فقال له ابن عقيل: لأمك الثكل،ما أجفاك وأفظك وأقسى قلبك وأغلظك! أنت يا ابن
باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني!" قال: فدعا عمارة بن عقبة بماء بارد فصب
له في قدح، فأخذ يشرب فامتلأ القدح دماً: فعل ذلك ثلاثاً، ثم قال: لو كان من الرزق
المقسوم لشربته.
وأدخل على ابن زياد، فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلم على الأمير.
فقال إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه! وإن كان لا يريده فليكثرن تسليمي عليه. فقال
ابن زياد: لعمري لتقتلن. قال فدعني أوصي إلى بعض قومي. قال: افعل. فقال لعمر بن
سعد بن أبي وقاص: "إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة وسر". فلم يمكنه من
ذكرها، فقال له ابن زياد: لا تمتنع من حاجة ابن عمك. فقام معه، فقال: "إن علي بالكوفة
ديناً استدنته أنفقته: سبعمائة درهم، فاقضها عني، وانظر جثتي فاستوهبها فوارها، وابعث
إلى الحسين فاردده". فقال عمر لابن زياد أتدري ما سارني؟ فقال: أكثرتم على ابن عمك،
فقال: الأمر أكبر من هذا. قال: اكتم على ابن عمك، قال: الأمر أكبر من هذا، وأخبره بما
قال. فقال ابن زياد لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن. أما مالك فهو لك تصنع به ما
شئت، وأما حسي فإن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه، وأما جثته فإنا لا نشفعك
فيها" وقيل: إنه قال: وأما جثته فإذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها.
ثم قال: يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتيت بينهم، وتفريق
كلمتهم. قال: "كلا ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم
وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب. فقال
وما أنت وذاك؟ ثم كانت بينهما مقاولة قال له ابن زياد في آخرتها: قتلني الله إن لم أقتلك

قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام، فقال: "أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما
إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحدٍ من الناس أحق بها
منك!" فشتمه ابن زياد وشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً ولم يكلمه مسلم.
ثم أمر به، فأصعد فوق القصر وهو يستغفر الله تعالى ويسبح، وأشرف به على موضع
الحدادين فضربت عنقه، وكان الذي قتله بكير بن حمران ثم أتبع رأسه جسده.
قال وقام محمد بن الأشعث فكلم ابن زياد في هانئ بن عروة، وقال قد عرفت منزلته من
المصر وبيته، وقد علم قومه أني أنا وصاحبي. سقناه إليك، فأنشدك الله لما وهبته، فإني
أكره عداوة قومه!".
فوعد أن يفعل، ثم بدا له فأمر به حين قتل مسلم فأخرج إلى السوق فضربت عنقه.
وبعث عبيد الله بن زياد برأسيهما إلى يزيد، فكتب إليه يزيد يشكره، ويقول له: "قد بلغني
أن الحسين بن علي توجه نحو العراق، فضع المراصد والمسالح واحترس، واحبس على
التهمة، وخذ بالظنة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك".
قال: وكان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة لثمان ليالٍ مضين من ذي الحجة سنة ستين.
وقيل: لتسع مضين منه.
وكان فيمن خرج معه المختار بن أبي عبيد، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، وطلبهما ابن
زياد وحبسهما.
وكان فيمن قاتل مسلماً محمد بن الأشعث، وشبث بن ربعي - وهو أحد من كتب إلى
الحسين - والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم إلى الليل يتفرقوا. فقال له
القعقاع: إنك قد سددت عليهم وجه مهربهم، فافرج لهم يتفرقوا.
وحج بالناس في هذه السنة عمرو بن سعيد الأشدق، وهو عامل مكة والمدينة. وفيها
مات أبو أسيد الساعدي، واسمه مالك ابن ربيعة، وهو آخر من مات من البدريين، وقيل:
مات سنة خمس وستين. ومات حكيم بن حزام وله مائة وعشرون سنة، ستون في
الجاهلية وستون في الإسلام. ومات جماعة ممن لهم صحبة في هذه السنة.

سنة إحدى وستين
مسيرة الحسين بن علي
وخبر من نهاه عن المسير
كان مقتله بالطف على شاطئ الفرات من أرض كربلاء، وذلك في يوم الجمعة لعشر خلون
من المحرم من هذه السنة.
ولنبدأ بخبر مسيره من مكة شرفها الله تعالى، وسبب مسيره ومن أشار عليه بالمقام بمكة
وترك المسير إلى الكوفة، ثم نذكر ما كان من خبره في مسيره إلى أن قتل رضي الله عنه،
فنقول:
كان مسيره من مكة لقصد الكوفة يوم التروية، وكان سبب مسيره إلى الكوفة ما ورد عليه
من كتب أهلها كما تقدم، ثم أكد ذلك عنده وحمله عليه وقوى عزمه ورود كتاب مسلم بن
عقيل بن أبي طالب عليه يخبره أنه بايعه بالكوفة ثمانية عشر ألفاً، ويستحثه على المسير
إليها، وكان هذا من مسلم في ابتداء أمره.
قال: ولما عزم الحسين رضي الله عنه على المسير إلى الكوفة أتاه عمر بن عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام فقال له: "إني أتيتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك، فإن كنت ترى أنك
تستنصحني قلتها وأديت ما علي من الحق فيها، وإن ظننت أنك لا تستنصحني كففت عما
أريد!" فقال له: قل فوالله ما أستغشك ولا أظنك بشيء من الهوى قال: "قد بلغني أنك
تريد العراق، وإني مشفق عليك أنك تأتي بلداً فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال،
والناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب
إليه ممن يقاتلك معه!" فقال له الحسين رضي الله عنه: جزاك الله خيراً يا ابن عم، فقد
علمت أنك مشيت بنصح، وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن، أخذت برأيك أو
تركته، فأنت عندي أحمد مشير، وأنصح ناصح.
وأتاه عبد الله بن عباس فقال له: قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت
صانع فقال له: قد أجمعت السير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى. فقال له ابن
عباس: "فإني أعيذك بالله من ذلك، خبرني رحمك الله، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم،

وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم
وأميرهم عليهم، قاهر لهم، وعماله تجبى بلادهم، فإنما دعوك إلى الحرب، ولا آمن عليك
أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك، فيكونوا أشد الناس عليك!" فقال
الحسين: فإني أستخير الله وأنظر ما يكون. فخرج ابن عباس.
وأتاه عبد الله بن الزبير فحدثه ساعة، ثم قال: "ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم، وكفنا
عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، وولاة هذا الأمر دونهم، خبرني ما تريد أن تصنع؟!" فقال
الحسين: "لقد حدثت نفسي بإتياني الكوفة، ولقد كتب إلي شيعتي بها، وأشراف الناس
وأستخير الله". فقال ابن الزبير: أما إنه لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت عنها. ثم
خشي أن يتهمه، فقال أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر هاهنا ما خالفنا
عليك وساعدناك وبايعناك ونصحناك. فقال له الحسين رضي الله عنه: "إن أبي حدثني أن
لها كبشاً به تستحل حرمتها، فما أحب أن أكون ذلك الكبش!" قال: فأقم إن شئت
وتوليني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى، قال: ولا أريد هذا الأمر أيضا. ثم إنهما أخفيا كلامهما،
فالتفت الحسين إلى من هناك وقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا قال: فإنه يقول قم في هذا
المسجد أجمع لك الناس، ثم قال الحسين: "والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من
أن أقتل فيها، ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إلي من أن أقتل خارجاً منها بشبر، ويم
الله، لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله
ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت!" فقام ابن الزبير وخرج من عنده.
فلما كان من العشي أو من الغد أتاه ابن عباس فقال: "يا ابن عم، إني أتصبر ولا أصبر،
إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر فلا تنفر
إليهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا
فاكتب إليهم لينفروا عاملهم وعدوهم، ثم قدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى

اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت على
الناس في عزلة فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك
الذي تحب في عافية!" فقال له الحسين: "يا ابن عم، إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق،
وقد أزمعت وأجمعت المسير!" فقال ابن عباس: "فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك
وصبيانك، فإني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه!" ثم قال له ابن
عباس: "لقد أقررت عين ابن الزبير بالخروج من الحجاز، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك،
والله لو أعلم أني إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس أطعتني فأقمت
لفعلت ذلك!". ثم خرج من عنده.
فمر بابن الزبير فقال: قرت عينك يا ابن الزبير، ثم قال:
يا لكِ من قبّرةٍ بعمر خلا لك الجوّ فبيضي وأصفري
ونقِّري ما شئت أن تنقري
هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز.
قال وخرج حسين من مكة يوم التروية، فاعترضه رسل عمرو بن سعيد مع أخيه يحيى
يمنعونه، فأبى عليهم ومضى، وسار فمر بالتنعيم فرأى عيراً قد أقبلت من اليمن، بعث بها
بحير بن ريسان الحميري عامل اليمن إلى يزيد، وعليها الورس والحلل، فأخها الحسين ثم
سار، فلما انتهى إلى الصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فقال له الحسين: بين لي خبر الناس خلفك
فقال: "الخبير سألت، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء،
والله يفعل ما يشاء!" فقال الحسين صدقت، لله الأمر يفعل ما يشاء، وربنا كل يوم في شأن،
إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، هو المستعان على أداء الشكر، وإن حال
القضاء دون الرجاء فلم يتعد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته.
قال وأدرك الحسين كتاب عبد الله بن جعفر مع ابنيه عون ومحمد بقول: "أما بعد، فإني
أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فإني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون
فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت الآن طفئ نور الأرض فإنك علم المهتدين،

ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير، فإني في إثر كتابي، والسلام!".
وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد وقال: "اكتب للحسين كتاباً تجعل له فيه
الأمان، وتمنيه فيه البر والصلة، وترفق في كتابك، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك
فيرجع. فقال له عمرو اكتب ما شئت،وأتني به حتى أختمه. فكتب عبد الله بن جعفر
الكتاب، ثم أتى به عمر بن سعيد: فقال: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى فإنه أحرى أن
تطمئن به نفسه، ويعلم أنه الجد منك ففعل. وكان مضمون الكتاب: "بسم الله الرحمن
الرحيم من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أما بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما
يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك. بلغني أنك قد توجهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من
الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله ابن جعفر ويحيى بن
سعيد، فأقبل إلي معهما، فإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار، لك الله على
بذلك شهيد وكفيل، وراع ووكيل، والسلام عليك".
فأخذا الكتاب ولحقا حسيناً، فأقرأه يحيى الكتاب. وكان مما اعتذر به أن قال: إني رأيت
رؤيا، رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرت بأمر أنا ماضٍ له، فقالا له: ما تلك
الرؤيا؟ قال: ما حدثت أحداً بها ولا أنا محدث أحداً بها حتى ألقى ربي.
وكتب الحسين إلى عمرو بن سعيد: "أما بعد، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة، فخير الأمان
أمان الله، ولن يؤمن بالله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب
لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبري فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة،
والسلام".
قال: ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن نمير التميمي صاحب
شرطته، فنزل القادسية، ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى
القطقطانة وإلى جبل لعلع.

وأقبل الحسين حتى إذا بلغ الحاجز من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الأسدي ثم
الصيداوي إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم: "بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن
علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا
هو. أما بعد، فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم
على نصرنا والطلب بحقنا، فنسأل الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم
الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجة يوم التروية،
فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن
شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله".
وكان مسلم بن عقيل قد كتب إلى الحسين قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة، أما بعد، فإن
الرائد لا يكذب أهله، إن جميع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي والسلام.
قال: وأقبل قيس بن مسهل بكتاب الحسين إلى أهل الكوفة، فلما بلغ القادسية أخذه
الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد، فقال له عبيد الله: اصعد القصر فسب الكذاب ابن
الكذاب الحسين بن علي. فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس، إن
الحسين بن علي رضي الله عنهما خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقته بالحجاز فأجيبوه" ثم لعن عبيد الله بن زياد
وأباه، واستغفر لعلي، فأمر به عبيد الله فرمي من فوق القصر فتقطع فمات.
قال: ثم أقبل الحسين رضي الله عنه يسير نحو الكوفة، فانتهى إلى ماء مياه العرب، فإذا
عليه عبد الله بن مطيع العدوي فلما رأى الحسين قام إليه، فقال: بأبي أنت وأمي يا ابن
رسول الله، ما أقدمك؟ واحتمله فأنزله فقال له الحسين: إنه كان من موت معاوية ما قد
بلغك، فكتب إلى أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم. فقال: "أذكرك بالله يا ابن رسول الله
وحرمة الإسلام أن تنتهك، وأنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله

لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعد أحداً أبداً، والله إنها
لحرمة الإسلام تنتهك، فلا تفعل ولا تأتي الكوفة، ولا تعرض نفسك لبني أمية!" فأبى إلا أن
يمضي.
فلما نزل بزرود أتاه خبر بقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، فاسترجع مرارا، فقال له
عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديان، وكانا قد لحقاه حين قضيا حجهما:
"ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة
ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك!" فوثب بنوا عقيل فقالوا لا: والله لا نبرح
حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا. فقال الحسين رضي الله عنه: لا خير في العيش
بعد هؤلاء. فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت